ونين القلب

مجموعة قصصية

زينب أبو الوفا

دار بيوند للنشر والتوزيع

obeikan.com

دار بيوند للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

الكتاب: وتين القلب

المؤلف: زينب أبو الوفا

تصنيف الكتاب:م. ج. قصصية

تصميم الغلاف: محمد علي

إخراج داخلي: صبرينة غلمي

المقاس: 14*20

رقم الإيداع: 29210 / 2017

الترقيم الدولي:978-977-8645-05-9

رئيس مجلس الإدارة

محمد عزالدين

المدير العام

صبرينة غلمي

All Rights Reserved

Beyond for Publishing and Distribution

+2 01095600007

beyond.dbh@gmail.com

www.facebook.com/beyond.PDH

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف ودار النشر

obeikan.com

الفهرس

- وتين القلب.
- الستار الزجاجى.
- إهداء.
- قصاصة ورق.
- حكاية روح.
- توباز.
- ذاكرة الحنين.
- صائد الكنوز.

obeikan.com

بسم الله الرحمن الرحيم

{ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ }

سورة الروم (21)

" سبحان الذي خلق بين قلوبنا المودة والرحمة وجعلها سكن لأرواحنا "

obeikan.com

إهداء

إلى كل القلوب التي ما زالت تؤمن بحقيقة الحب....

إلى كل نبض صادق بعث بالقلوب عشقًا حقيقيًا، دون زيف أو تشبه بالحب....

إلى كل القلوب التي يغمرها العشق، وتتمسك بخيوطه حتى وإن أدمت تلك الخيوط أرواحهم يبقون صامدين.....

إليكم يا كل العاشقين في مشارق الأرض ومغاربها أهدى كلماتى وحكاياتى، علَّها تقترب في الشبه مما تشعرون.

obeikan.com

إهداء ثانٍ

إلى فارس أسر قلبي وجوارحي، حين خطى القلب خطواته الأولى نحو نبض المشاعر، وكشف معاني العشق نحو الحياة.... وحين اكتملت أنوثتي ونضج عقلي؛ أسر العقل بجميل كلماته وبديع خياله القصصي، وبت أبحث له عن شبيه؛ ليحيا بقلبي شريان ونبض مستكين ومازال البحث جاريًا.

إلى روح فارس القلم والكلمِ صاحب الأثر الطيب في نفوس من يعرفوه، ومن يقرأون كلماته جيل بعد جيل أُهدى كلماتي.

إلى روح المبدع (يوسف السباعي)

obeikan.com

صديقي:

لم يخذلني قط حتى حين يتوارى عنى نوره ليلة بعد أخرى، أُدرك تمامًا أنه سوف يعود، لذا لم أسأم انتظاره أبدًا.

كانت ليلة مختلفة عن ليالى سابقة، كانت ليلة اكتمال نوره في السماء، ولطالما عنت لي الكثير ليلة الاكتمال، أنتظرها كل شهر وأقيم لها طقوسًا خاصةً، أجلس بشرفة منزلي؛ وأستمع إلى موسيقاي المفضلة، حين يسمو صاحب الأنامل الذهبية المبدع "عمر خيرت" بأعذب الألحان، التي أحتفظ بها جميعها وأكاد أحفظ إيقاعها المتناغم عن ظهر قلب.

يشاركني كل شيء وأروى له عن كل شيءٍ، أحلام الطفولة يعرفها، وجنون الصبا كان برفقته، ودموع الخذلان كانت تتلألأ على وجنتي تحت أشعة ضيائه، وحين يأتيني طوفان الفرح أذهب إليه؛ لأعلِمه بأفراحي، وحين يدنو مني الشجن أشاطره إياه؛ فيحمل عنى أكثر من نصيبه من أحمالى وهموم روحي، وحين مس قلبي العشق كان هو أول الشاهدين.

استمعت طوال نهار هذه الليلة لحديث الناس حول ذلك الخسوف، الذي سوف نشهده اليوم بالقمر، وأنه سوف يبدو في السماء بدون توهجه المعتاد، لا والله لا يخذلني صديقي أبدًا، حتى وإن توارى نوره عنهم فلن يحدث ذلك معي، أخذني غروري بعشقه مأخذ الهذيان؛ فبت أتخيل أنه سوف يختصني بضيائه الفضي دون العالمين، يا لي من عاشقة متيمة بصديق لا يحظى به الكثيرون، يقولون أن القمر يتحدث إلى عاشقيه فلماذا لا تحدثني يا قمري، فلطالما تمنيت حديثك وتمنيت أن تروى لي قصص العاشقين، الذين يتخذوك خليلًا في لياليهم الساهرة في الشوق والحنين، وربما في آلام الفراق. أتراها سوف تأتى تلك الليلة التي تحدثني فيها، أم أن ذلك من هذيان جنوني بعشقك الصديقي.

بالفعل كانت ليلة شديدة الظُّلمة، خالية من أي نور عدا المشكاة، التي مازالت مستنيرة بقلبي ولنورها مسميات كثيرة، ربما هو نور الأمل أو نور الحلم الذي لم يكتمل بعد.

أين عساك أن تكون يا صديقي، أبحث عنك في حنايا السماء وفي الدروب والأزقة بين السحب المتناثرة في الفضاء الفسيح، بقيت منتظرة ساعة بعد أخرى، حتى أقترب موكب شروق الشمس؛ فأيقنت أنه لا ظهور لصديقي اليوم، ورغم شدة اشتياقي إليه إلا أنى سلمت بالأمر الواقع وبخسوفه اليوم عن الكون بأسره.

لملمت بقايا دقائق الآنتظار، وما تبقي من نغمات ليلي الساهر، وهممت بالخلود إلى النوم فلا أمل اليوم في لقاءه، وحين كنت أبدأ خطواتي رأيت ظلي أمامي، ومن خلفي نور ساطع، ولم أكد أصدق عيني حتى أنى ظننت في بادئ الأمر أن خيالى قد صور لي ذلك، وإن البدر قد شق طريقه وكسر حواجز الخسوف وأنتصر على ظُلمة الليل وسكونه، ولكنه لم يكن خيال، وهذا ما تأكدت منه حين استمعت إلى ذلك الصوت الجلي، الذي اخترق حاجز سكون روحي بمزيج من الفرح والآندهاش في آن واحد.

- هل تظنين أن بمقدور قلبك الصغير هذا أن يتحمل هموم قلوب العاشقين؟!!!

شعرت أنه يضعني في تحدى بيني وبين قوة قلبي؛ فالتفت إليه لأجيبه بكل حزم وثقة:

- وما أدراك أن قلبي صغير وغير قادر على التحمل، بلى هو قادر على ذلك وأظن أنك خير الشاهدين.

خُيل إلى لبرهة من الزمان أنه أبتسم بوجهه المضيء على أثر ما تحدثت، وأنا في ثورتي وردى على ما قال، فاستطرد قائلًا:

- كما أنت لا تتبدلين ولا تتغير طباعك الثائرة، دومًا بمجرد الاقتراب من حاجز عزة النفس، كما أنت يا صديقتي.

هنا أدركت أنى لا أتخيل وأن النور والصوت الظاهرين أمامي الآن حقيقة، فعلمت أن صديقي يحدثني بالفعل.

- إذن فسوف تروي لي بعضًا من حكايات العاشقين، كما يُذكر دائمًا إنك ترافقهم وتشهد على قصص قلوبهم.
- ما دمتي ترغبين في ذلك فليكن، ولكن عليك أن تتذكري إنى قد حذرتك مما سوف أقول، فليس قصص العشق كلها سعادة، بل إن الأشجان تغلبها في أحيان كثيرة، وربما تعصف بجذورها وتنهيها قبل أن تؤتى ثمارها.
- لا تخش على يا صديقي؛ فقلبي قوى كما سبق وأن أخبرتك، ما عليك سوى أن تفي بعهدك، وتروى وأنا كلي آذان مصغية.

وهنا وفي تلك اللحظة بدأت حكايات البدر.....

obeikan.com

وتين القلب

أسدل الليل ستائره، وبات كل شيء ساحرًا مفعمًا بالراحة والسكينة، أنه فصل الحنين كما يطلق عليه البعض،"الشتاء" حيث تمتزج قطرات المطر بعبير الذكريات فلا مهرب منها.

وقفت تنظر من خلف زجاج النافذة، ترى حبات اللؤلؤ المتساقطة من السماء صابغة الهواء برائحة لا مثيل لها، ذلك المشهد الساحر كان كفيلًا بأن يبعث في نفسها حنين الذكريات، يحدث أن يشعر الآنسان أحيانًا بالحنين لعمر مضى وإن كان بداخله الألم، ربما لأن شعور الألم في حد ذاته هو ما يجعلنا نتذوق حلاوة الفرح حينما يُبعث بأيامنا.

جلست على مقعدها المفضل، ونظرت بجانبها للمنضدة الصغيرة، فوقها الأوراق والقلم، حزمت أمرها، سوف تكتب وتُحصى سنوات العمر في بضعة كلمات، سوف تسكب قطرات الحنين فوق تلك الأوراق البيضاء فتتشكل الحروف والكلمات؛ لتصف أيامًا وليالي مضت.

{العشق.... لم يكن لتلك الكلمة معني في قاموس مفرداتي، حتى سماعها ممن يطلقون على أنفسهم عاشقين، لم يكن مستساغ لمسامعي... ما حاجتي للعشق...لماذا؟!!! لأتألم، فكل قصص العاشقين كانت تحمل من الألم ما يتجاوز لحظات السعادة الزائفة التي يشعرون بها، نعم فأنا امرأة تكاد تجزم بأن الحب ما هو إلا أكبر أوهام الحياة، يجتمع قلبان ثم يفترقان، ومهما كانت أسباب الفراق فإنه يحدث لا محال، فلماذا أفعل ذلك بقلبي إذن، لماذا أجلب لنفسي كل هذا العبث، أوصدت أبواب قلبي ونصبت عقلي حارسًا عليها مخاطبة إياه:

obeikan.com

"إياك أن تسمح لنفسي في لحظة حماقة أن تقع فريسة لذلك الوهم، إياك ياعقلي أن تسمح لقلبي بهذا الهراء"

استطعت أن أملأ يومي ووقتي بأشياءً كثيرة: العمل والأصدقاء والحياة الاجتماعية المتكاملة، شغفي الأول والأخير كان العمل، كنت أعشق عملي وأستمتع به كثيرًا، وأمنحه أغلب وقتي؛ فأصبحت في فترة قصيرة من أشهر مهندسي الديكور، وأصبح لأسلوبي واسمى شهرة طيبة في نطاق عملي، كلما استطعت أن أثبت كفاءة في عملي؛ شعرت بأني لا ينقصني شيء، يكفي أن يتردد اسم مكتب"ياسمين رأفت" للهندسة والديكور في أرقى الأوساط، وتظل تصميماتي من أشهر ما يُطلب في مجالى.

كنت أحرص دومًا على أن أقضى يوم إجازتي في راحة، وأبتعد تمامًا عن العمل؛ حتي أعود مرة أخري أكثر نشاطًا، ومن روتين يوم الإجازة الذهاب لصديقة طفولتي وشبابي ورفيقة أيامى"داليا" كانت تمتلك مشروعها الخاص، وقد كان حلمها منذ أيام الدراسة، كانت دومًا تحلم بأن تمتلك متجرًا للزهور، بشكل مختلف وأسلوب متطور، ليس مجرد محل بيع زهور عادى، ولكن معرض لأنواع فريدة ونادرة منها... وكان معظم عملائها على قدر عالٍ من الثقافة والرقى، ولهم أذواق مميزة في شراء الزهور والنباتات النادرة... كنت أحرص في نهاية يوم إجازتي أن أذهب إليها ونجلس سويًا؛ ونستمتع ببضع ساعات قبل أن أعود لدوامة العمل المعتادة.

كنت أصفها دائمًا بأنها رومانسية وخيالية وحالمة، وتولي القلب اهتمامًا خاصًا، وكأنه اتهام أتهمها به، وحينما نتحدث عن الحب وتتمنى لي رفيقًا وزوجًا؛ أبتسم ساخرةً وأعيد على مسامعها رأيي في الحب، وأنه أبعد ما يكون عنى، ربما في عالم أخر غير ذلك الذي نعرفه، وتمر الساعات سريعًا، وقبل أن أرحل تكون قد أعدت لي باقةً من زهور الأور كيدا، التي لا أشعر باكتمال إجازتي وراحتي الأسبوعية إلا بها، وكأن بيني وبين تلك الزهرة

شيء مشترك لا أعرفه، ربما لأنى كنت أشعر أنها رفيقة أسبوعي حتى تذبل بانتهائه، وأعود بباقة نضرة جديدة تبدأ معي من جديد.

(زهرة عطر الملوك) كما أطلق عليها الفيلسوف الصيني كونفوشيوس،

ها هو أسبوع أخر من العمل المتواصل يمضي، كان أسبوع شاقًا ذهبت إلى المنزل وخلدت إلى النوم، لعله يمحو أثار الإرهاق والتعب اللذين ألما بعقلي وجسدي من كثرة ساعات العمل، منذ تلك الغفوة بدأت حياتي تتغير، لم أكن أتخيل أني سوف أغلق عينيَّ في تلك اللحظة لأنفصل عن نفسي التي أعرفها جيدًا؛ لأتحول إلى عالم أخر كان بالأمس القريب أبعد ما يكون عن ناظري.

أغمضت عيني واستسلمت لنوم عميق، ثم في لحظة مباغتة استمعت إلى تلك الأصوات العالية، حيث كنت في شارع مزدحم يعج بالضجيج والبشر، وألوان الحياة المختلفة. أقف على أحد جانبي الطريق، تمر أمامي سيارات مسرعة وحافلات كبيرة، وأنا أنظر إلى الطرف الأخر. كنت أراه على الجانب الأخر من الطريق، ينظر إليَّ نظرةً حانيةً تنفذ إلى صميم قلبي وتخترق حواجز روحي، تبعث بقلبي نبضًا خاملًا. وتحطم القلاع الحصينة حوله، كان يحمل قدرًا من الوسامة ممتزجة بملامح طيبة تنم عن روح صافية يحملها بداخله ذلك الرجل، لا أعلم لماذا ينظر إليَّ، أنا لا أعرفه ربما هو يعرفني؛ هممت بعبور الطريق لأذهب إليه وأعرف من هو ذلك المجهول، ولكن أوقفتني حافلة كبيرة مرت أمامي، وبعدها نظرت فلم أجده، بحثت بنظري سريعًا في كل الاتجاهات فلم أجده، استيقظت من نومي في تلك اللحظة شاردة أنظر في أركان الغرفة في كل الاتجاهات، وكأني ما زلت أبحث عنه.

استيقظت من نومي بروح شاردة، ونبضات قلب لم أعهدها في نفسي من قبل، أبعدت كل تلك الأفكار عن قلبي وعقلي، وأيقنت إنه مجرد حلم وها أنا أبدأ

يومًا جديدًا من الواقع، من حسن حظي إن يوم إجازتي كان قد حان وها هو صباحه يبدأ، اتبعت طقوسي المعتادة للاستمتاع بذلك اليوم دون التفكير في شيء، ومضي اليوم وأدركت ليله فذهبت إلى صديقتي، وجلست شاردة وقد علمت هي أن بي أمر مختلف، وحين سألتني عن ذلك لم أجد ما أجيبها به، هل هو حلم ما فعل بي كل هذا الشرود أم ماذا؟!!

كانت ليلة شتاء قاسيةً أستمع إلى صوت نسائم البرد تحاول جاهدة أن تنزعني من شرودي، ولكن تبوء كل محاولاتها بالفشل، يبدو إن على أن أنهى هذا اليوم، ربما إن غفوت مرة أخرى تحل عنى تلك اللعنة، وأعود إلى سابق عهدي بنفسي، ودعت صديقتي واصطحبت باقة الأوركيدا رفيقة أيامي، وهممت بالذهاب كنت أحملها وأمضي، وأنا أتحدث إلى صديقتي ونتبادل الضحكات، وفي لحظة لا أعلم مقدارها من الزمان شعرت باصطدام وسقط كل شيء من يدى، شعرت بحرج شديد فلم ألاحظ دخول شخص أثناء خروجي من الباب، وأنا منشغلة بعذوبة الحديث وضحكاتنا المتبادلة فاصطدمت بذلك الوافد، انحني ليلملم لي زهوري المبعثرة وهو يعتذر رغم أني أنا المخطئة، أذكر تلك اللحظة جيدًا حينما اعتدل واقفًا ليقدم لي ورودي رأيته ... إنه هو ... من كان في حلمي بنفس تلك النظرة الحانية النافذة إلى قلبي، توقف بي الزمان واختلط واقعى بخيالى، شعرت بمشاعر متباينة ما بين خوف وسعادة، تراجعت خطوات للوراء وسط ذهول صديقتي، التي كانت تناديني وأنا لا أجيبها.... فقط أنظر إليه ولا أتحدث بكلمة واحدة.

انطلقت أعدو إلى منزلي تاركةً كل شيءٍ خلفي حتى ورودي، تركته حاملًا إياها... لا أعلم مما كنت أهرب، فقط أعدو في طريقي بأقصى ما أوتيت من قوة، اختبأت في فراشي وأنا أشعر ببرد شديد، ليست تلك برودة الشتاء المعتادة، ولكن شعور أخر، شيء أشبه بلعنة أصابت قلبي؛ فأصبح يرتجف كطير صغير يتعلم الطيران في سماء العشق المحرمة عليه، وبات السؤال

الذي يشغل عقلي الآن: أهو من عبر أحلامي إلى واقعي أم أني لم أستيقظ من غفوتي بعد؟!

مضت أيام كثيرة بعد ذلك اليوم ربما أسبوع أو أكثر لم أكن أُحصي الأيام، كنت فقط أحصي نبضات قلبي العابثة بروحي، أبحث عنه في كل الوجوه، حتمًا أصابتني لعنة، يا ويل قلبي أتراها لعنة العشق التي طالما كنت أخشاها، توسط عقلي بيني وبين قلبي ربما نستطيع أن نتجاوز ذلك الشعور سويًا ونعود على وفاق مرة أخرى.

أقنعت نفسي أن ما بي ليس إلا وهمًا قد أصابني، فكيف لي أن أعشق رجلًا لا أعلم عنه شيئًا؟!! كنت أوشكت بالفعل على أن ًاتصالح مع قلبي ونعود سويًا كسابق العهد، حتي رأيته للمرة الثانية في نفس المكان، ولا أدرى حتى الآن هل كانت صدفة جمعتني به، أم هي أقداري التي أهدتني جديد اللقاء.

كان ذلك اليوم هو يوم إجازتي التي تلت لقائنا الأول، ذهبت إلى "داليا" في موعدنا المعتاد وما أن خطوت خطواتي الأولى حتى شعرت بنبض قلب يشبه ذلك الذي كان في حضرة وجوده، ويبدو إن ذلك الشعور كان واضحًا في نظرة عيناي التي كانت تعرفها صديقتي حق المعرفة.

- ألن تخبريني؟!!

باغتتني "داليا" بذلك السؤال فيما كان بيننا من أحاديث.

- أخبرك بماذا؟!!

_ تخبريني بما أصابك في الأسبوع الماضي، ولماذا ذهبتي بهذا الشكل دون حديث، بل إنك أيضًا تتجنبي الحديث عن ذلك اليوم.

كانت مُحقةً تمامًا فيما قالت، أنا بالفعل أتجنب ذكر ذلك؛ حتى لا أولي الأمر اهتماما كبيرًا.

- ليس لدي ما أقوله.
- ولكن أنا بلى، يوجد لدى ما أتحدث عنه، بعد أن ذهبتي ظل هو واقفًا ينظر إليك حتى غبت عن مرمى البصر؛ ثم سألني عنكِ، فاعتذرت عما حدث، وهو بدوره اعتذر عن ذلك المشهد المحرج، واشترى وروده كعادته ثم رحل، وبالمناسبة هو عميل دائم هنا، ألا ينتابك الفضول لمعرفة من يكون؟؟؟

قالتها وهي تبتسم لأنها تعرف أنه قد عصف بوجداني ذاك الفضول، ولكني رفضت الاعتراف بذلك، فاستطردت قائلة:

- أشرف عامر عز الدين

اخترق اسمه أوصال قلبي قبل حتى أن تحتضنه أذناي، فأكملت صديقتي حديثها التعريفي عنه:

- هو من أبرز زبائني وله ذوق خاص في اقتناء الورود، يعمل في المحاماة منذ سنوات عديدة، ومعروف عنه الصدق والأمانة وعدم الدفاع إلا عن الحق، وله عدة مقالات منشورة ببعض الصحف وتم استضافته أيضًا في عدة برامج.

حين قالت ذلك خُيل إلى أني ربما أكون قد رأيته في إحدى تلك الحلقات؛ فعلقت صورته بذهني، مما دفعني لرؤيته في أحلامي ثم سرعان ما تذكرت أنى لا أملك الوقت الكافي لمشاهدة البرامج، ها أنا أعود إلى نقطة الصفر لماذا إذن رأيته في حلمي، لماذا؟؟؟

عدت لدوامة التفكير تبتلعني، وتعصف بما بقي لدي من رجاحة عقل وعصيان على العشق، حتى لاحت ملامحه تقترب من نفس ذلك الباب الذي عبر منه أول مرة، ولكن هذه المرة نفذ إلى قلبي نفاذ سهم أصاب وجهته، دون أن يحيد عنها فكنت حينها قد أصبحت من العاشقين.

أقسم أن عبير عطره قد أخفي ما ببتلات الزهور من رحيق، مجرد رؤيته مرة أخرى أعادت لنفسي توازنها، مضت لحظات طويلة من السكون كان لابد أن أقطعها بالحديث أو بالأحرى الاعتذار منه عما بدر مني سابقًا؛ تحدثنا كثيرًا وتعارفنا، وتوالت اللقاءات التي كنت أبررها لنفسي بأنها صدفة، ولكنها تحولت فيما بعد إلى مواعيد بيننا أنتظرها بلهفة دومًا، أدمنت حديثه وأدمنت شعور السعادة الذي يمنحني إياه.

كنت أعلم جيدًا أني أسير في طريق العشق، تسألت كثيراً بيني وبين قلبي ماهي لعنة العشق التي كنت أهابها دومًا؟؟ أهو ذلك الشعور المبهج الذي يستوطن أوصال قلبي الآن؟؟ وإن كانت كذلك فما أعذبها من لعنة أتمني أن تصاحبني ما حييت، أنظر إلى عينيه فتكفيني ما بقي من عمرى سعادةً، وحينما يبتسم تزهر الورود والرياحين بروحي وأحيا بربيع دائم لا يعقبه صحو.

كان كل شيء معد لاستقباله، قلب خالي لم يعرف الحب مسبقًا وروح نقية لا يشوبها ألم، وأيام عمر بها الكثير من الفصول؛ ليكتب فيها قصة عشقه.

أذكر لقاءً بيننا كانت السعادة تغمرنا وتضفي على نور الشمس بهاءً جديدًا غير ذلك الذي نعرفه، كنا نسير في الطريق وهو ممسك بيدي بحنو أب يخشى على صغيرته من الضياع في زحام الحياة، وقف مرة واحدة ونظر إلى فقال:

- هل تعلمين من أنتِ؟

أيقنت ما يرنو إليه من حديث فأجبته والخجل يعانق حروفي:

- حبيبتك.

قال:

- وماذا أيضًا؟

قلت:

- ياسمينة عمرك.

قال:

- وماذا أيضًا؟

قلت:

- شقيقة قلبك.

قال:

- وماذا أيضًا؟

هنا تورد قلبي بحمرة الخجل من فرط ما أصابني من عشق، بعد أن استنفذت كل المسميات التي كان يناديني بها، ولم يكتفِ فقلت له:

- إن كان يوجد أجمل من تلك المسميات التي أعتد عليها منك فقلها أنت، وحدك يحق لك الغزل ويطيب لقلبي الخجل.

قال:

obeikan.com

- وتين قلبي.

كانت تلك الصفة جديدة على مسامعي تمامًا؛ فسألته ماذا تعنى فاستطرد يكمل حديثه:

- وتين القلب، ليس فقط ذلك الشريان الذي يمنحنا الحياة، ودونه يتوقف القلب عن الخفقان، أحيانا يتمثل ذلك الوتين في الحبيب الذي يسكن عشقه الفؤاد، وتأبى الروح أن تعشق سواه، ودونه يتوقف تقويم العمر بل وتتوقف الحياة؛ ونبقى فقط أجساد تتشبه بالحياة وأرواح تائهة كسفن مبحرة دون مرساة.

كنت على موعد معه في ذلك اليوم، واستيقظت كعادتي أشعر بالفرح يملأ جنبات يومي، تناولت قهوتي وجلست أحادث نفسي بما أصابها عادت لي كل مخاوفي مرة أخرى، ولكن أشد قوة من ذي قبل، عادت تؤرق على غفوتي وأحلامي.

- ماذا عن الفراق ألم تعودي تخشين الفراق؟؟
- بلي أخشاه كثيرًا يا نفسي، ولكن سلطان قلبي على عظيمًا، هل أبتعد من الآن قبل أن يبتعد هو؟ لم أعد أعرف ما على فعله، أنا تلك العاشقة الحائرة بين الحب والخوف، المبعثرة بين القلب والعقل.

بالفعل انتصرت على مخاوفي وقررت الابتعاد، وسوف أبدأ من تلك اللحظة ومن ذلك الموعد قررت أن أختفي من عالمه، لن يستطيع الوصول إليَّ وإن بحث في أرجاء الكون كله، سوف أختبئ منه وأظل على عهد قلبي أواصل حبي له في الخفاء، و بالفعل خلفت موعدي ولكنى ذهبت إلى حيث نلتقي رأيته جالسًا في انتظاري، أتعجب كثيرًا من حالي ففي كل مرة كنت أراه أشعر بتلك الهالة التي تحيط به لا أعلم ماهيتها، ولكنها تضفي عليه مزيدًا من

الوسامة وقوة الشخصية، أعترف أني للحظة فكرت في نقض عهدي مع نفسي والتراجع عن قرار الهروب، ولكن غلبني خوفي والتزمت بما قررته.

مضت أيام كثيرة ومواعيد متتالية أخلفتها جميعها، وامتدت إلى شهور عديدة كنت أكتفي بالنظر إليه من بعيد، بينما كان محافظًا على موعدنا الدائم، وكأنه يتمني في كل مرة أن أعود، لا يمل انتظاري ولا أكتفي أنا من عشقه، علمت أنه بحث عني في كل مكان ، في عملي وعند صديقتي وفي كل مكان يستطيع أن يراني فيه، ولكن كنت حريصة على ألا تأتى تلك الصدفة أبدًا.

منتهي الأنانية مني أن أراه ولا يستطيع هو رؤيتي، ولكني كنت حريصة في كل موعد على أن أراه دقائق معدودة، ثم أعود أدراجي من حيث أتيت، إلى تلك الوحدة التي أخترتها لنفسي وبكامل إرادتي، إلى أن جاء ذلك اليوم الذي خلف فيه هو الموعد ولم يأتي، بل وأنه كف عن البحث عني، ربما فقد الأمل في العثور على، أو أنه أحب من جديد.

بدأت عذابات قلبي منذ ذاك الحين، لم أكن أتخيل أن عدم رؤيته سوف يؤلمني، ويعذب قلبي إلى هذا الحد...ولكن مم أتعجب ألم يكن دومًا عذاب الشوق على قدر العشق، وأنا بالفعل أحببته والآن موعدي مع تبعات الحنين والشوق.

تبدل حالي كثيرًا وكأني أتعرف على نفسي من جديد؛ فقد اغتربت هي الأخرى عني، ربما كان ذلك عقاب داخلي على قراري الظالم لقلبي ولحبي الأول والأوحد، كنت أتابع مقالاته في الجرائد رغم أني لست من هواة القراءة، وخاصة في الموضوعات السياسية، ولكني منذ بداية تعارفنا بدأت أقرأ كل ما يكتب، وأتابع ردود الأفعال على أراءه، وكنت أخشي عليه دومًا من أي رأي معارض له، ربما يعرضه لأذى أو استهداف، فهو يعشق تراب

وطنه، ويتمني لـه دومًا الخير والتقدم ولكن هناك الكثير من المعارضين لـه ولفكره لأسباب وأهداف شخصية،

"أشرف عامر " ذلك الرجل الذي يعشق تراب وطنه ولا يخشى في الحق لومة لائم، وعلى قدر جسارة قلبه كنت أخشى عليه من كل لائم، تلك القوة التي يحملها في طيات شخصيته وفكره وأراءه، كانت تذوب أمامها قوة قلبي الصامد على مدى سنوات أمام طوفان العشق، الذي ما غمرني إلا حين أحببته.

حاولت أن أركز في عملي كثيرًا، ربما يساعدني على النسيان أو بمعن آخر التناسي عن عمد، كان قد مضي على ذلك الفراق ما يقارب العامين، وأنا لا أعلم عنه شيئًا سوى أخباره العامة مثلي مثل حال كل قراءه ومتابعيه... في أثناء ذلك ازدهر عملي كثيرًا وجاءني عميل يطلب تنفيذ ديكور كامل لشقته، وترك لي ولمكتبي حرية التنفيذ في كل تفصيله كبيرة وصغيرة؛ ثقة منه في المستوى المتميز الذي أقدمه أنا وفريق عملي بفضل الله، كان عملًا مرهقًا؛ ولكني استمتعت به؛ لأنني كنت أختار ما يناسب ذوقي في الأثاث والألوان والديكورات والتصميمات وكل شيء، وبالفعل أنهيت العمل وأستلم العميل بيته وسعد به كثيرًا، سعادة اقتبست منها القليل لنفسي، ربما تعيد إليَّ بهجة أيامي السابقة.

جلسنا نتحدث أنا وداليا وسط عبير زهور متجرها، الذي كانت هي أجمل ما به من رياحين، بنفسها الصافية وروحها الطيبة، شقيقة روحي كانت تعرف ما بي دون الحاجة للإفصاح عنه، كانت تعلم ألمي جيدًا وتحاول قدر المستطاع مواساتي، رغم معارضتها لي ولقراري ولكن حدث ما حدث ولم يعد هناك مجال لشيء، ولم أعد املك شيئًا سوي محاولاتي المستميتة للنسيان والتصالح مع نفسي مرة أخرى.

تمضى أيام عمري وأنا أفعل كل شيء لأسابق الزمان، لا لشيء سوى اللحاق بقطار النسيان، وحين ظننت أني أصبحت من ركابه أدركت أني لست بركابه، أنا أسير وقلبي في الطريق المعاكس، كلما تمنيت النسيان عصفت الذكرى بروحي أكثر.

- أكتبي

قالتها "داليا" في لحظة قطعت بها الصمت الذي تلا حديثنا.

- ماذا أكتب؟؟؟؟
- أكتبي عنه، أكتبي له، أكتبي كل ما تشعرين به أيا ما كان، ساعدي قلبك وروحك على تجاوز ذلك الألم، ربما تكف نفسك عن تعذيبك، وربما يرق قلبك لحالك فيعود كما كان.

منحتني الورقة والقلم وابتسمت لي ابتسامتها الرقيقة فاستجبت لها،

(((ويبقي الحنين يمزق أوصال قلبي، أشتاق لضحكة قلبك المسموع أصدائها بجدران روحي، كيف أنت يا عشقي الأبدي، أتُراك بخير، هل تذكرني بين الحين والآخر، أم أني لم أعد بقلبك، هل أسكنته أنثى غيرى، يقتلني الشوق وأبقي على البعد محافظةً، فهل لي أن أعود بعد هجر اخترته أنا طواعية.

فلتعلم يا عشق القلب وشقاءه أنى دونك قد أفتقد كوني ألوانه، فلا الشمس عادت مبهجة ولا القمر عاد رفيق ليلي، اغترب كل شيء عني بذلك البعد الذي أخترته أنا.

حين أصاب قلبي هواك علمت أنى بحاجة لألف عام فقط؛ لأتمم حالة عشق تليق بك، أقسم لك بقدر ما أحببتك في كل نسمة صباح عابرة وهمسة ليل

ساكنة، أنك ما زلت وستظل دومًا المرادف الوحيد، الذي تعرفه نفسي للعشق لا تليه معاني أخرى ما حييت.

ربما تتساءل ولماذا كان البعد إذا كنتِ للقرب عاشقة؟؟ دعني أجيبك بصدقك، أنه الخوف والفكر، وإليك إحدي قواعد شمس الدين التبريزي الأربعون للعشق:

" يتكون الفِكر والحب من مواد مختلفة. فالفكر يربط البشر في عُقَد لكن الحب يذيب جميع العُقَد، إن الفِكر حذرٌ على الدوام وهو يقول ناصحًا "احذر الكثير من النشوة" بينما الحب يقول "لا تكترث أقدم على هذه المجازفة" وفي حين أن الفكر لا يُمكن أن يتلاشى بسهولة، فإن الحب يتهدم بسهولة ويصبح ركامًا من تلقاء نفسه، لكن الكنوز تتوارى بين الآنقاض، والقلب الكسير يخبئ كنوزا "

ليتني استسلمت لحبي وتركته يذيب تلك العقد، ليتني لم أكترث وأقدمت على المجازفة، ليتني استمعت إلى صوت قلبي الصامت الآن دومًا، ويرفض مخاطبتي حتى ولو بعتاب، فهو رحل معك حين كففنا عن اللقاء، سيبقي حبك دومًا كنزي المتواري بين أنقاض قلبي الكسير)).

أنهيت كلماتي وانهمرت الدموع الحبيسة بمقلتي عيني طوال تلك الأشهر العديدة، وكأني كنت أرفض حتى التعبير عن ألمي، تركت ما كتبت وودعت صديقتي ورحلت، ولماذا أحمل كلماتي معي فهي منقوشة بجدران قلبي.

مضت أيام قليلة وكانت بداية العام الجديد قد اقتربت، وباتت الاحتفالات والاستعدادات للاحتفال بليلة رأس السنة، وأعتاد فريق العمل بمكتبي تنظيم

الرحلات المختلفة كهدايا لكل العاملين، وأصدقائي اختاروا لي رحلة وقاموا بتنظيم كل شيء يخصها، وأصروا على أن أحظى بإجازة مثلى مثل الجميع، وأمام كل ذلك الإصرار لم أستطع الرفض، كانت تلك الهدية حجز باسمى تابع لشركة سياحية؛ لقضاء يومين بفندق "أدرير أميلال" بسيوة الساحرة.

أعشق السفر داخل بلدي الغالية؛ لأشاهد ما بها من جمال وسحر لا يضاهيها فيه أي مكان أخر، هذا الفندق تحديدًا تمنيت كثيرًا زيارته، وربما لأن وقت العمل لا يسمح؛ فقد نسيت تحقيق تلك الأمنية، وها هي تتحقق الآن، فندق رملي بصحراء سيوة الخلابة. لا يوجد به كهرباء ويمنع استخدام أي أجهزة الكترونية، فقط الاستمتاع بروعة الطبيعة وسحرها الآخاذ. بالفعل هذا ما كنت بحاجة إليه ليصفو ذهني وأبتعد قليلًا عن ضغط العمل. قد أحسن أصدقائي إهدائي وإسعادي بتلك الهدية، وبالفعل حزمت حقائبي وذهبت وأمضيت أول ليلة في مكان تجسد فيه الراحة والرقي أزهى معانيها، وفي صباح اليوم التالي استيقظت باكرًا لأنعم بدفء الشمس وجمالها، وروعة أشجار النخيل التي تمنح الظل لساحة الفندق المكشوفة، توجهت إلى المطعم لتناول الإفطار والاستمتاع بدفء الشمس، وأثناء انتظار الطعام قرأت الجريدة اليومية، طالعت ما بها من أخبار، ثم جاء إفطاري ووضع بجانبه باقة من زهور الأوركيدا، ابتسمت ابتسامة صافيةً، ها هي صديقتي تكمل إسعادي وبهجتي وترسل لي زهوري الرقيقة، ولكني لاحظت معها رسالة ملفوفة بشريط بلون أبيض ناصع الصفاء، انتابني فضول عارم وفتحتها بسرعة لأقرأ ما فيها، وما أن وقعت عيني على الكلمات حتي تبينتها في لحظة، إنها كلماتي التي كتبتها في لحظات الحنين، وتركتها ورحلت؛ أكملت قراءتها ثم قراءة ما تبعها من كلمات:

((هل يكفيك إلى هذا الحد فراق أم إنك ما زلتي بحاجة إلى المزيد من الوقت؟؟ قبل أن تجيبي على سؤالي اعلمي إن باستطاعتي انتظارك ما تبقى من عمرى حتى تتغلبي على مخاوفك، واعلمي يا قدري وعشق روحي إنك لم تغيبي عن ناظري أبدا، كنت أعلم بكل شيء منذ البداية، حتي إني كنت أشعر بك حينما تأتين إلى موعدنا، وتراقبينني من بعيد ثم ترحلين، وفي كل موعد كنت أرغب بشدة في الالتفات والنظر إلى عينيك، اللتين أشتاق إليهما دومًا، ولكنى كنت أكتفي بأن أشعر بوجودك بقلبي وروحي، لم أخلف موعدي كما ظننت أبدًا، بل إننى رغبت في الترفق بحالك وألا تريني، وأصبحت أنا من يراكِ من بعيد، وكنت أنتظر حتى تعودين ثم أعود، كل شيء متوقف عند لحظة الفراق، لم ولن أعشق سواكِ وهل قلبي ملكي لأسكن امرأة أُخرى به ، سأبقى دومًا في انتظارك، سوف أحيا في انتظار تلك اللحظة التي يقترن بها اسمك باسمى، وتصبحين زوجتي ومليكة عرش قلبي وزهرة بيتي، الذي أعددته بنفسك، بكل تفاصيله الصغيرة والكبيرة، لا تندهشي نعم بيتك هو ذلك المنزل الذي توليتي تجهيزه على أنه مجرد عمل، ولكنه كان بيتك ورغبت في أن يكون السلوى وقت الألم، الذي كنت تعيشينه، ولأنى أعلم جيدًا إنك لن تكوني لغيرى زوجةً وحبيبةً، ودعوت الله كثير أن يجمع بيننا في مودة ورحمة؛ فقد اتخذت قراري واشتريته، وبعثت مَنْ يتفق معك على العمل به وإتمامه، وبالفعل سعدت به كثيرًا وفي لحظة دخولي إليه رأيتك تُزفين إلىَّ عروسًا في ثوب أبيض يزيدك سحرًا وبهاءً، ويبقى صفاء قلبك أنصع منه بياضًا، إليك زهورنا التي شهدت أول لقاء ربما تشفع لي عندك. أعدك ألا يكون بيننا فراق أبدًا ما حييت، إن كان لكلماتي وقع وصدً في نفسك، وإن كنتِ قررتي أن تتغلبي على هاجس الفراق يكفي فقط أن تنظري خلفك فتجديني دومًا أرافق ظلك حبًا وشوقًا...)).

أنهيت قراءة كلماته وسط مشاعر متباينة، وقطرات دمع تنساب من مقلتي فرحًا، ثم نظرت خلفي فرأيته مبتسمًا واثقًا في أنني كنت بالفعل سوف أتجاوز الخوف، وأنقذ العشق الذي جمع بيننا من الضياع، وقد كان، وأحتفل بنا كل مَنْ في صالة الطعام، وسط تصفيق وهتافات واحتفال من إدارة الفندق، فقد كان كل شيء مرتب دون علمي، وتم زفافنا وسط فرحة كبيرة من الأهل والأصدقاء، وأصبحت الزوجة والحبيبة والأم، وقد كان بالفعل نعم الزوج والأب والحبيب، وكانت له جملة يرددها كثيرًا على مسامعي؛ فتبتهج أوصال قلبي حين يقول:

(أحلم دائمًا بذلك اليوم الذي نجتمع به مع أحفادنا جد وجدة، والحب بيننا كما هو بل أصبح أكثر عمقًا).

كأنت تلك الكلمات تبعث بنفسي بعضًا من الطمأنينة، وتبدد قليلًا من مخاوفي التي لم ترحل عني أبدًا، رغم تلك النهاية السعيدة لقصة العشق المكتوبة بأقداري، حتى جاء ذلك اليوم الموعود الذي انتهت فيه مخاوفي تمامًا؛ كنا في طريقنا لحضور حفل زفاف أحد الأصدقاء، وكنت أرتدي أبهى ثيابي، وكان هو أنيق كعادته وأكثر وسامة، فقدت لاقت به ملابس السهرة كثيرًا، أو ربما لأني كنت أراه أجمل في كل يوم عن ذي قبل، هذا هو سحر العشق يا سادة...لا تكتفي من النظر إلى الحبيب ولا تراه إلا وقد زاد جمالًا في كل يوم، وفي طريق عودتنا تعرضنا لحادث ولا أذكر شيئًا من تلك الليلة، سوى أني بدأت أستفيق وأنا ممددة على فراش بالمشفى ولا أفكر في شيء سوى الاطمئنان عليه، وهممت بسؤال الممرضات اللاتي كن بالغرفة عن حاله إلا إني سمعتهم يتحدثن عن الحادث، وأنه رغم صعوبته إلا أن إرادة الله سبحانه وتعالى كتبت لمن كان يتولى قيادة السيارة النجاة، وهو بالفعل من كان يقودها فأطمئنت نفسي لما سمعته من حديثهن، منذ ذلك الحين شفيت تمامًا من كل مخاوفي، فلم يستطع الفراق أن يتمكن من حبنا، وستبقى قلوبنا متحدة دائمًا.

ليتني كنت أعلم من البداية أن الحب والخوف لا يجتمعان سويًا، فإن أحببت بصدق تمسك بمن تحب، وتحدى الصعاب وقاتل من أجل الحفاظ على هذا الشعور الساحر، الذي لا يحظى به الكثيرون، فسعداء الحظ فقط هم من يعيشون معنى الحب الحقيقي، وكثير من البشر يولدون ويموتون دون أن يعرفوا ما هو الحب وكيف يكون.

أكتب كلماتي تلك ليعلم كل من يقرأها إن في ذلك الكون رجلًا أنقذ قلب امرأة من الضياع، وساعدها في تخطى حواجز ومخاوف كثيرة، وأسعد أيامها بكل معاني الكلمة، رجل رأيته بأحلامي ثم تجسد بواقعي، إنه وتين قلبي النابض بعشقه، حبيبي وزوجي وجد أحفادي)).

أنهت كتابتها مع خيوط النور الأولى للصباح، فقد أمضت الليل كله تكتب، وفي تلك اللحظة استمعت إلى صوت باب المنزل يفتح، وها هو قد عاد مع الأحفاد من السفر، فقد اعتاد أن يأخذهم في رحلات داخل وطنهم؛ ليتعرفوا على الأماكن الأثرية والحضارات التي يفخر دومًا بها، ويشاركه أحفاده هذا الفخر، وقد ورثوا عنه عشق تراب الوطن.

وقفت تنتظره داخل الغرفة التي كانت تجلس بها، وقفت مبتسمة تستقبله بابتسامتها التي اعتادت أن تستقبله دائمًا بها.

- اشتقت إليك يا حبيبتي.

قالها وهو ينظر إليها بنظرته الحانية، التي لم تغيرها سنوات العمر أبدًا،

ابتسمت هي في حياء لم يتغير أيضًا مع مرور الزمان.

- أعلم إنكِ أشتقتِ إليَّ أيضًا، ولكن هكذا كُتبت أقدارانا، ولكنى على عهود قلوبنا محافظًا.

كان يكمل حديثه وهو ينظر إلى صورتها المعلقة بجدار الغرفة، فاستطرد يقول:

- ها هم أحفادنا كما حلمنا وتمنينا أن يرزقنا الله بهم، فيهم من يشبهك كثيرًا وأراكِ بملامح وجوههم وصفاء قلوبهم، الذي ورثوه عنك، وأعلم أيضًا إنك الآن حولي، وتريني كما كنت أراكِ في ذلك الزمن البعيد الذي اجتمعنا فيه، مليكة عرش قلبي وعشق روحي الأبدي، وستبقين دومًا كذلك حتى يأذن الله وأنتمى إلى ذلك العالم الذي تنتمين إليه الآن.

استمعت إلى كلماته تلك وامتزجت دموعها بتلك الحقيقة، التي لا مهرب منها، ونظرت إلى الورقة التي كتبت عليها كلماتها؛ فإذا بالكلمات تتلاشى فليست المرة الأولى التي تكتب فيها ذلك، ابتسمت ابتسامة ممتزجة بالدمع.... تلك هي الحقيقة... ماهي الآن إلا روح رحلت عن دنيانا الفانية، تسبح في ملكوت الخالق، نعم ففي يوم الحادث حين كانت ممددة على فراش المشفى، كانت جسدًا قد فارق الحياة، ولكن لم تدرك ذلك إلا بعد مرور بعض الوقت.

يقولون أن الروح تبقى أحيانًا قريبة ممن تحب، ربما ذلك حقيقة أو ربما يكون وهمًا، ولكن الحقيقة الثابتة عبر العصور والأزمان، وبقصص العشق الماضية والحاضرة، وربما الآتية إن الحب الصادق يتغلب على كل شيء، ولا يفنى ولا يتغير إلا في حالة واحدة فقط ألا وهى حين يتخلى عنه أربابه، ففي تلك الحالة يتلاشى، وربما يكون وهمًا، وكأنه ولم يكن حبًا صادقا أبدًا.

((الحب الصادق يبقى أما الأوهام فلا دوام لها))

الستار الزجاجي

مع رحيل أخر شخص من المدعوين استقل سيارته متجهًا إلى منزله، كانت شوارع القاهرة ليلًا ساحرةً مبهرةً، كل شيء بتلك الليلة كان ساحرًا بالنسبة له...تغمره سعادة وارتياح تمنى كثيرًا أن يشعر به.... تم كل شيء الليلة كما كان يتمنى، وها هو عائد إلى بيته بعد يوم طويل، وبالأحرى بعد سنوات طويلة كان يتحمل فيها مسؤولية كبيرة، وكان أهلا لتلك المسؤولية....

وما أن وصل إلى بيته حتى دخل غرفته، وجلس على طرف سريره وكان كل شيء حوله ساكنًا هادئًا يزيد النفس صفاءً ...خفتت الأصوات من حوله عدا صوت نسائم الربيع، التي كانت تتسلل إلى غرفته من زجاج نافذتها المفتوح.....اتكأ على وسادته يسترجع كل ما فات، ومازال عطر الفرح يغلف نسيج بذلته الآنيقة ....اليوم أتم ما عليه من مسؤولية حملها سنوات عديدة.....الليلة أتم واجبه نحو أصغر أشقائه وسعد برؤيته يتزوج ممن يحب، وباقي أشقائه حاضرون بأسرهم الصغيرة، وملامحهم جميعًا ترتسم بها علامات السعادة والرضا.....وما كان يطلب لنفسه أكثر من ذلك....

بعد وفاة والديه أصبح هو والدهم، فكان لهم الأب والأم والأخ والصديق....لم يفكر يومًا في نفسه بقدر ما وضع نصب عينيه الأمانة التي تركها والديه له، وقد كان حافظًا لها....كل منهم أتم دراسته وأسس بيتًا وحياةً مستقرةً.....كان متعلقًا بوالده كثيرًا فمنذ أن كان طفلًا صغيرًا كان يذهب مع والده إلي المكتبة، التي كان يمتلكها وكانت مصدر رزقه ورزق الأسرة، ومع مرور الوقت أصبحت تلك المكتبة بمثابة حياة بالنسبة له، وخاصة بعد أن أصبحت هي مصدر الرزق الوحيد له ولإخوته.....كان يعاون والده فيما يخص العمل، حتى أصبح يعلم كل شيء عن هذا المجال؛ فقد قضى طفولته وصباه بين الكتب، وصارت جزءًا منه، وهو ينتمى إليها بسحر ما فيها من كلمات

وبرائحة الورق التي لطالما كان يحيا بقربها.....تركها كما هي رغم أن بداخله رغبة عارمة في تجديدها وتحويلها إلى مكتبة عصرية، تحاكى مثيلاتها من المكتبات الحالية، ولكنه يتراجع عن قراره كلما تمسك بكل ذكرى تحملها له مع والده حتى تلك الشقوق الصغيرة في الحائط تعنى له الكثير، ولكنه يعلم أنه سوف يحين موعد لبعث الروح فيها من جديد ولكن لا يعلم متى ذاك الموعد...

كان "مجدي" شابًا في العقد الرابع من عمره.... الآن أصبح وحيدًا بعد أن أتمم ما عليه من واجبات، وحرص على استقرار أشقائه، ولكنه لم يفكر يومًا في الحب والزواج.... ربما لأنه لم يكن يملك متسعًا من الوقت لذلك، أو لاهتمامه الشديد بما كان له وما عليه.....

كان يسترجع كل تلك السنوات في مخيلته، وحينما جاء الحديث عن القلب أغمض عينيه وشعر بنبض قلبه العاشق...بالفعل منذ ما يقارب العام وهو عاشق..... يتوارى بعشقه عن الآنظار..... يتمنى أن يبوح به فيملأ الكون بنسائم عشق تعانق صفاء السماء..... ربما حانت اللحظة التي يتقدم فيها خطوة ...تحدث إلى نفسه يحثها على المضي قدمًا نحو أمنيته...لم يبدل ثيابه أغمض عينيه وأستسلم لنومٍ عميق وهو يردد بصوت خافت...

(ربما حان وقت القلب ...ربما)

أعتاد أن يستقبل يومه بابتسامة أمل يتجدد بقلبه مع شروق شمس كل صباح... ذلك الأمل الذي بات يحلم به كل ليلة، ويتمنى أن يسعى إليه في الصباح التالي....

كل البشر يستقبلون اليوم الجديد بشمس واحدة إلا هو كان لديه شمس أخرى، لا يستنير يومه دونها...منذ أن رأها أول مرة استوطنت فؤاده وكأن لعنة عشق أصابت روحه، فلا خلاص منها ولم يكن يتمنى أبدًا الخلاص...

جلس في مكتبته يراقب الطريق من خلف الواجهة الزجاجية للمكتبة، والتي تفصل بينه وبين الطريق، ويرى من خلفها كل مظاهر الحياة ... (الستار الزجاجي) الذي يفصله عنها كما كان يطلق عليها في طفولته ...

كل صباح ينتظر رؤيتها آتيه فيبدأ يومه كالعادة ببهجة رؤيتها..... كان يحفظ مواعيدها عن ظهر قلب..... فقد كانت تأتى في الصباح الباكر لفترة صباحية تستقبل فيها المرضى ثم تعود مرة أخرى لفترة مسائية..... كان لها طابع خاص في عملها، وما عرفه بعد ذلك أنها تعمل فقط في عيادتها الخاصة، وليست تابعة لأي مشفى خاص كان أم عام..... يتذكر أول مرة رأها حين كانت تؤسس عيادتها الخاصة في العمارة المقابلة لمكتبته....كان يراقبها وهي تقف تشرف على نقل الأثاث وتركيب اللافتة على واجهة العيادة (دكتورة بيسان زاهر).....

كانت ملامحها رقيقة وقسمات وجهها تظهر سنها بوضوح، ربما هي أقرب إليه في السن أو يفصل بينهما أعوام قليلة.....لم يكن يعرف عنها شيئًا سوى أنها أعادت النبض لقلبه بمجرد أن رأها...وأصبح يومه يبدأ برؤيتها، ولا يغادر مكتبته إلا بعد أن يراها تستقل سيارتها وتذهب بعد نهاية يوم عمل طويل....

بداخله دائمًا حاجز يفصل بينه وبينها....ربما لأنه لم يستطع أن يتمم تعليمه الجامعي، وذلك خلق بداخله شعورًا بأن هناك فارقًا بينهما، رغم أنه قارئ ومثقف وواسع الإدراك والمعرفة، ولكنه أقل منها في المستوى التعليمي... كلما همَّ بالتعرف عليها واختلاق موقف للحديث معها؛ يتراجع في أخر لحظة... ولكن إلى متى سيبقى هكذا في تلك الحالة غير المفهومة...ربما عليه أن يتعرف عليها أولً،ا ويترك الأقدار تفعل بقلبه ما تشاء...وذكَّر نفسه بجملة كان قد قرأها للعبقري"أنيس منصور" حين كتب قائلًا: (لا نجاح ولا فشل في الحب... يكفي أنك أحببت).....

حتى جاء ذلك اليوم الذي قرر فيه أن يذهب إليها، ويلقى تحية الصباح ويحاول أن يتعلل بحديث يجعل بينهم صداقة، ثم مع الأيام يبوح لها بمكنون قلبه، وبالفعل ما أن رآها تصف سيارتها وتترجل منها لتصعد لمكتبها، حتى هم بعبور الطريق ذاهبًا في اتجاهها، وساعدته الأقدار شيئا ما حين وقعت منها بعض الأوراق التي كانت تحملها، وقد كان بالفعل عابرًا الطريق فساعدها ولملم الأوراق معها، فبادرته بابتسامة عذبة قائلة:

- صباح الخير

كانت المرة الأولى التي يستمع فيها إلى صوتها....حاول جاهدًا أن ينتزع نفسه من ذلك الشرود فبادلها تحية الصباح، ومد يده يعطيها أوراقها ويهيئ نفسه لحديث طويل يعرفها به عن نفسه...وما أن وقع بصره على يديها حتى انهارت تلك الأحلام في أقل من ثانية من الوقت...كانت ترتدى خاتم زواج... صُدم كثيرًا وكأنه لم يكن يتوقع أبدًا أنها من الممكن أن تكون مرتبطة أو متزوجة.... كيف لم يخطر ذلك في تفكيره...ألهذا الحد أخذه العشق والحلم، حتى أنه ألغى الاحتمالات المنطقية....دار كل ذلك بخلده وهو واقف أمامها دون أن ينطق بكلمة واحدة، في حين كانت منشغلة هي بتجميع الأوراق والتأكد من أنه لا يوجد بها مفقود.....ثم شكرته وصعدت إلى مكتبها مسرعةً وبقى هو واقفًا مكانه لم يتحرك خطوة واحدة...لا يدرك أهو الزمان الذي توقف أم أن الأرض ثابتة تأبى أن تطيع حركة قدميه.....

تجلت معاني الوحدة في أقسى صورها.....الآن هو بالفعل وحيد بعد أن ذهب حلمه أدراج الرياح....

عبر الطريق عائدًا الى حيث ينتمي وبداخله تتصارع الأفكار والمشاعر المتناقضة والمؤلمة في ذات الوقت...ربما لو كان صارحها منذ بداية رؤيته لها وتعرف علىها.. ربما كانت اليوم زوجته هو لا رجل أخر...ثم سرعان ما

أدرك أن الندم لن يفيده، فربما هي متزوجة منذ سنوات عدة، وإن كان تعرف عليها حينها كان سيجد نفس الحال...

إنها الأقدار ولا حيلة لنا بها..... كم تمنى أن يملك آلة زمن تعيده لسنوات عديدة سابقة؛ فيقابلها بشكل أخر، وفي زمان أخر؛ فتكون له حبيبة وزوجة، ولكن ذلك درب من الخيال لا أكثر، فالواقع ثابت ولا يمكن تغييره.... ما أقسى هذا الشعور على قلب رجل عاشق أن يرى حبيبته زوجة لغيره....

لملم أوجاع روحه وأكتفي بأن يراها كل يوم صباحًا ومساءً، ويتمنى لها السعادة في كل وقت وحين.....ليس بمقدورنا جميعًا أن نحقق النهايات السعيدة لقلوبنا.....

كانت "بيسان" طبيبة من طراز خاص.....كل شيء فيها مميز بدايةً من اسمها ونهايةً بشخصيتها التي تبدو قوية دون أن تفقدها سحرها الآنثوي، الذي يظهر بوضوح في قسمات وجهها، لاسيما عينيها اللتين كانتا بمثابة شموس وأقمار تسعد "مجدى" بمجرد النظر إليها من خلف ستاره الزجاجي ... الذي كان إلى حد كبير يجاهد نفسه على نسيان ذلك العشق، الذي لن تُكتب له نهايةً منطقيةً بالزواج ... وإن كان يدرك تمامًا أنه لن يستطيع نسيان المرأة الوحيدة التي أدخلت قلبه ذلك العالم الساحر، وأرفقت اسمه بسجل العاشقين الحالمين دون حتى أن تدرك هي ذلك..... توصل في نهاية الأمر إلى حقيقة مؤكدة ألا وهي أنه إن لم يكن له الحق في أن يتمناها زوجة له ربما فقط يحق له أن يبقى عاشقًا لا يعلم أحد من البشر عن نبضه قلبه شيئًا..... وما أكثر القلوب العاشقة التي لا يدرك عنها أحد شيئًا إلا خالقها سبحانه، عالم كل شيء ما ظهر منه وما بطن.....

كانت"بيسان" تخصص جزءًا من وقتها لعلاج المرضى غير القادرين على تكاليف العلاج الباهظة..... لم يكن ذلك الوقت المقطع ينقص من مكاسبها، على العكس تمامًا كانت كل يوم تزداد خبرةً ومعرفةً في مجالها كطبيبة، ويزداد اسمها تألقًا ويشهد لها الجميع بالكفاءة والنجاح... وعلى قدر الجهد الذي كانت تبذله طوال ساعات العمل الكثيرة؛ كانت تسعد حينما يشفي أحد مرضاها بفضل الله، أوحين تستمع إلى دعوة طيبة يطلقها قلب أحد هؤلاء الفقراء، التي لم تكن تتوانى عن مساعدتهم مهما كلفها الأمر من جهد.....

- أكاد لا أصدق ما أقرأه.... ألا يملك هؤلاء البشر قلوبًا... ألهذا الحد ماتت الضمائر؟!!

نطقت بتلك الكلمات وهي تحدث نفسها وتقرأ ملف خاص بتحاليل طبية وإشاعات"عم عوض"... رجل أخذ منه الزمان ما أخذ؛ فتبقى منه رجل تجاوز عامه الخمسين، ويعاني من أعباء معيشية كثيرة، وراتب بالكاد يكفيه..... كان"عم عوض" قد تعرض لأزمة صحية، وذهب للكشف في أحد المستشفيات الخاصة التي تخصص عيادات خارجية للكشف على المرضى بتكاليف بسيطة..... نصحه أحد معارفه بها فذهب، وحين أجرى الطبيب الكشف عليه أخبره أنه بحاجة إلى إجراء عملية جراحية؛ لوجود حصوات في الكُلى، ولأن"عم عوض" رجل بسيط لن يستطيع دفع تكاليف العلاج والعملية؛ أقترح عليه الطبيب التابع للمشفى أن يكتب طلب لإدارة المستشفى، وتتكفل بكل المصاريف إن تمت الموافقة على الطلب وبالفعل قد كان... وبعد فترة من التعافي ومعاودته لعمله اقترح عليه أحد أصدقائه أن يقوم بعمل كشف عام ليطمئن على صحته، حتى لا تتكرر أزماته الصحية مرة أخرى، خاصة بعد أن لاحظ عليه تغير كبير في قدرته على العمل، حيث كان يعمل عاملًا في مصنع للتعبئة والتغليف، وكان عمله يتطلب جهدًا وتركيزًا وهما ما أصبح يفتقده الآن... هو نفسه كان يلاحظ ذلك مما دفعه بالفعل لإجراء كافة التحاليل والإشاعات، ثم ذهب بها لعيادة دكتورة "بيسان" حين سمع عن كفاءتها

وأمانتها العلمية وهنا كانت المفاجأة الكبرى.... ذلك المشفى لم يجرى له الجراحة، ويتكفل بتكاليف العلاج من باب الرحمة، وإنما كان لهم مآرب أخرى..... لم يكن يعانى من حصوات كما أبلغه الطبيب، وإنها كانت مجرد اضطرابات بسيطة يمكن علاجها ببساطة دون تدخل جراحي، أما الجراحة فقد كانت لسرقة كليته..... هذا ما اكتشفته"بيسان" وحين أخبرته بذلك كاد أن يصاب بالجنون..... كل شيء كان يدور برأسه المجهد من ضربات الزمان الموجعة المتتالية..... حتى أنه فكر في لحظة أن يذهب إلى المشفى؛ ويُحدث ضجة كبيرة، ولكن بما يفيده كل ذلك..... ربما يتعرض لأذى أكبر منهم..... هدَّأت"بيسان" من ثورته وأخبرته أنها سوف تبقى بجانب الحق، وبصفتها طبيبة سوف تشهد بكل ما علمته عن حالته، وهو واثق فيما قالت، حتى أنه طلب منها أن تحتفظ بكل ما يثبت حقه من أوراق وتقارير طبية لديها؛ لأنه يخشى أن يستغلوا سطوتهم ونفوذهم ويسلبوه ما بقي له من حق..... رحبت "بيسان" بذلك وقد كان، ولكن ما لم تكن تتوقعه هو التهديدات التي كانت تتلاقاها من قبل إدارة هذا المشفى، والذي هو في حقيقة الأمر يتستر على مافيا لسرقة الأعضاء، وذلك ما علمته هي من البحث والاستقصاء عنهم، وهو ما زاد من عزيمتها للتمسك بالحق وإثباته دون أن تخشى كل تلك التهديدات التي تتلقاها منهم.....

دقت ساعة الحائط المعلقة معلنةً انتصاف الليل.... بالفعل لم تشعر بمرور الوقت وتأخرها عن موعد عودتها إلى منزلها، خاصة وأنها لابد أن تستيقظ باكرًا للحاق بأول جلسة في قضية "عم عوض" التي تمت إجراءاتها حتى يثبت حقه، وبالطبع هي مطلوبة للشهادة بها بصفتها الطبيبة المعالجة له، التي اكتشفت الجُرم الذي لحق به..... طوت الأوراق وبقيت الأفكار تتضارب في رأسها، وتبحث باستماته عن طريق تعيد به الحقوق المسلوبة من أربابها، ربما تتحول إلى قضيه رأي عام لكشف كل شبكات تجارة الأعضاء ومحاسبة

كل هؤلاء المجرمين.... همت بالرحيل والذهاب إلى منزلها لتنعم بقسط وافر من الراحة بعد يوم عمل طويل وشاق....

على الجانب المقابل لها كان يجلس"مجدي" بداخل مكتبته يراقب الطريق، الذي كان قد خلا تقريبا من المارة... وعيناه معلقة بنافذة غرفة مكتبها المطلة على الشارع..... لاحظ أنها تأخرت عن موعدها في الرحيل، ولكنه أبى أن يذهب إلى بيته دون أن يطمئن لرحيلها... مرت دقائق قليلة ولاحظ أنها أغلقت أضواء المكتب؛ فعلم أن موعد الذهاب قد حان، فهمَّ هو بدوره يغلق مكتبته ويستعد للرحيل، ولكنه توقف لحظة حين لاحظ سيارة تقف على جانب الطريق، واستعاد أحداث اليوم فأصابه بعض القلق، حين تذكر أن تلك السيارة لم تتحرك من مكانها، وبداخلها ثلاثة رجال لم يترجل أي منهم منها طوال تلك الساعات.... ربما هو فقط شديد الحذر لا أكثر، حاول أن يطمئن نفسه بتلك الكلمات، وأكمل ما كان يقوم به حتى رآها تخرج من باب البناية وتتجه صوب سيارتها....

في جزء ضئيل من الثانية حدث كل شيء، قبل أن يدرك أي منهم ما حدث كانت الدماء متناثرة في كل مكان.... حاولت أن تسترجع ما حدث في مخيلتها وهي تستقل سيارة الإسعاف متجهةً إلى أقرب مشفي... نظرت حولها لتستوعب وتدرك ما حدث..... حتى إن نسيج ثوبها تخضب بحمرة الدماء، لم تكن تلك دمائها بل كانت دماء "مجدي" الذي أسرع يعدو صوبها حين رأي هؤلاء الرجال يصوبون نحوها السلاح، فلم يشعر بنفسه إلا وهو واقف أمامها يحول بينها وبين الموت كدرع حصين لن ينفذ من خلاله أي أذى قد يصيبها، وحين انطلقت تلك الرصاصة من فوهة المسدس تلقاها بجسده؛ فأصابت كتفه الأيسر بالقرب من القلب، وإن كانت أصابت قلبه فلم يكن يبالي فهي صاحبة ذلك القلب ومليكة عرشه، فإن أصابه شيء فهو أمانة ردت لصاحبتها.....

كانت تضغط على الجرح بكلتا يديها والدماء تستمر في التدفق كشلال ينجرف نحو الهاوية دون توقف... ظلت على ذلك الحال حتى وصلت سيارة الإسعاف، ودون إرادة منها أو تفكير ولو للحظة بسيطة استقلت السيارة وأخبرتهم أنها طبيبة؛ فسمحو لها أن تشارك في إسعافه..... كانت تنظر إليه وكأنها تحاول جاهدة أن تتذكر ملامحه..... أين عساها أن تكون قابلته من قبل..... هي تعرفه حتمًا فملامحه لم تكن غريبة علىها وعلى قلبها.... ماذا؟؟ قلبها؟؟؟ شعرت بهذيان يكاد يعصف بما بقي لها من اتزان في روحها..... عن أي قلب تتحدث..... قلبها هذا لم يحفظ ملامح رجل قط، ولم يسع حتى في يوم إلى ذلك.....

وفي غمرة كل تلك الأفكار التي تدور بعقلها فتح مجدي عينيه ونظر إليها نظرة خاطفة وسريعة، وربما لم يكن حتى في الوعي والإدراك وكان يشعر وكأنه في حلم لا يرغب أن يستيقظ منه أبدًا..... حتى مع كل تلك الآلام التي يشعر بها في جسده كان قلبه ينبض بسعادة لم يكن يتوقعها..... هو الآن بين يديها وينظر في عينيها مباشرة، ويرى في تلك العينين التي لطالما عشق سحرهما وعذوبة النظر بهما نظرة خوف وقلق عليه.....

ما هذا الجنون الذي يرافق أرواحنا حين نعشق وما تلك النبضات المتسارعة التي تسبقنا تارة ونسبقها نحن تارة أخرى وجميعنا نعدو في سباق واحد وهو اللحاق بركب السعادة...

وصلت السيارة إلى أقرب مشفى، وحمله المسعفون إلى الداخل وهي تسرع الخُطى خلفه، وحينها كان بالفعل قد غاب عن الوعي، أما هي فكانت تكاد تغيب عن الوعي؛ فجلست على أقرب مقعد من مقاعد الآنتظار بعد أن أدلت بكل البيانات المطلوبة منها، وتم استدعاء الشرطة من قبل المشفى....

كانت الدماء متناثرة على ثيابها ومستقر بعض منها بحنايا كفيها..... نظرت إلى كل ذلك وهي ما زالت في حالة من الصدمة لم تستطع تجاوزها بعد..... كل ما حدث أعادها بالزمن إلى سنوات سابقة مضت... منظر الدماء أعادها قرابة عشرون عام من الزمان حين كانت طفلة صغيرة بالكاد تجاوزت العشرة أعوام، تنعم بالدفء والحب في كنف والديها اللذين لم ينجبا سواها..... أغلقت عينها وتنسمت تلك الريح الطيبة التي لم تنساها أبدًا.. روائح بساتين بيسان الفلسطينية..... الأرض الخصبة التي كانت تزدهر بما طاب من ورود تبعث في الأفق أريج ساحر، يتناغم مع ما بمنزل والديها من حب وحياة..... أسماها والدها "بيسان" من فرط عشقه لأرض مدينته الفلسطينية، فحين رزقه الله بابنة أسماها باسم أرضه الطيبة..... ذلك الاسم تشارك في اختياره مع والدتها التي جمع بين قلبها وقلبه عشق أصيل، جعلها تذهب من مصر إلى فلسطين لتحيا مع زوجها، الذي أحبت فيه تعلقه بالمقاومة وتمسكه بأرضه رغم ما يلاقيه من صعوبات...

"بيسان " نصفها مصري ونصفها فلسطيني؛ لذا فقد كانت متميزة بروح لا تشبه مثيلاتها..... كانت تحيا ببيت صغير مع والديها وبجوار ذلك البيت قطعة أرض صغيرة، يزرعها والدها وتدوم بهم الحياة من ثمارها، ولكنه كان يهب أكثر وقته لمقاومة العدو فيشارك بين الحين والأخر في بعض المظاهرات والاحتجاجات، التي كانت تعرضه لمخاطر جسيمة حتى حدث ما كانت والدتها تخشى حدوثه، حين علم العدو الغاشم بأنه من المقاومة؛ حدث ذات ليلة قصف على منزله، وتم القضاء على كل مظاهر الحياة فيما يحيط بهم، لم تكن تشعر بيسان الصغيرة بشيء إلا حين استمعت لصوت النيران، ورأت أباها يهرول مسرعًا وهو مضرج بالدماء؛ ليحتضن صغيرته ويحول بينها وبين الموت، بعد أن لحق بوالدتها ورفيقة قلبة ودربه ولم يستطع إنقاذها.... أخذ صغيرته وهو يصارع الحياة، وخرج من باب خلفي للمنزل كان أيضًا قد أصابه القصف... بالكاد قوته كانت كافية لأن يصل لأقرب

منزل لجيرانه؛ ليترك ابنته أمانة لديهم ويترك معها عنوان أهل زوجته في مصر، وأوصاهم بأن يوصلوا بيسان إلى أهلها؛ لأنه ليس لها في الدنيا سواهم، فهو لم يكن متبقيًا من أهله أحد لرعاية بيسان وتربيتها... أتم وصيته ثم صعدت روحه الأبية على الآنكسار إلى بارئ الحياة الحق العدل، وتركت صغيرته وهي تحاول استيعاب ما حدث في ليلة ليس لها فجر...

مضت بها السنوات وأتم تعليمها وصارت طبيبة تحمل بروحها ملامح من أبيها وأمها اللذين لم تكتفِ من حنانهما، فقد أبت الأقدار أن تمنحها ذلك ولم يعوضها حنان الأهل عن أبويها قط...

ما فعله "مجدي" في تلك الليلة كان يشبه ما فعله والدها، لذا فقد تجدد بداخلها شعور بالأمان كانت قد اعتادت على افتقاده، ولم تكن تتخيل أنها سوف تشعر به مرة أخرى بعد كل تلك السنوات..... بعد ما يقارب عقدين من الزمان...

- كتب الله له النجاة الرصاصة لم تقترب من القلب، فقط يحتاج إلى متابعة العلاج والراحة، وسوف يستعيد عافيته في أقرب وقت.

أخرجتها كلمات الطبيب من تلك الدوامة التي كانت تأخذ روحها في رحلة سريعة عبر الزمن... كان حديث الطبيب لها مطمئن استمعت إليه وشكرته ثم ذهبت لتطمئن على "مجدي" ...كان تحت تأثير المخدر نائمًا في غرفة المشفى، وجسده موصول بالأجهزة لمتابعة حالته.... نظرت إليه وكأنها ترغب في أن تسبر أغوار تلك الملامح؛ لتكشف خبايا الروح التي خلفها... من هو ذلك المجهول الذي افتداها بنفسه...ولِم فعل ذلك؟؟ من هذا الملاك الذي كاد أن يودي بحياته من أجلها وهى لا تعرفه...هي تعرف من أرادوا أن يقتلوها حتى تصمت عن كلمة الحق، ولكنها لن تحقق لهم مرادهم أبدًا... كان الفجر حينها قد أوشك على الاقتراب؛ فنظرت نظرة أخرى لتطمئن عليه ثم

همت بالرحيل.... عادت إلى منزلها بعد ليلة عصيبة.... حاولت النوم لكن بالطبع لم تفلح في ذلك، ومع شروق خيوط الشمس الأولى كانت قد تجهزت للذهاب إلى المحكمة، وبالفعل لحقت موعد الجلسة وأدلت بشهادتها على أكمل وجه، وفي طريق العودة اتصلت بالممرضة التي تعمل لديها في العيادة، وطلبت منها إلغاء كل مواعيد اليوم، فقد كانت في قرارة نفسها تنوي أن تقضى اليوم بأكمله معه في المشفى؛ لتعلم منه كل ما ترغب في معرفته، ولترد له ولو جزء بسيط من ذلك المعروف الذي بادر هو بتقديمه، ولكنها لم تكن تعلم ما في انتظارها... المزيد من المفاجآت.

أخبره الطبيب أنه كان لابد أن يبقى بالمشفى؛ فحالته لم تستقر بعد فأشار إليه بيديه أنه في بيته أفضل..... كان برفقه الطبيب شقيقه الأصغر "أحمد" والذي كان زفافه منذ بضعة أشهر مضت..... حين علم ما حدث ذهب مسرعًا إلى أخيه فإذا به يرجوه أنه يخرجه من المشفى، ويأخذه إلى منزله، ثم يحضر طبيب وممرض لرعايته حتى يتعافى.... أندهش "أحمد" كثيرًا من تصرف "مجدي" وطلبه العجيب بمجرد أن استطاع حتى الحديث، ولأنه يعرف أن شقيقه شديد التمسك بما يقول؛ فانصاع لأمره وبالفعل أخذه إلى المنزل وأحضر ممرض ليرافقه حتى تمام الشفاء؛ لأنه بالطبع يحيا وحيدًا فلابد أن يرعاه أحد...

- ماذا؟؟ رحل؟؟ كيف ذلك..... الحادث كان مساء أمس، فكيف يسمح له الطبيب بالخروج دون إتمام العلاج والتعافي؟؟؟

كانت تنطق بتلك الكلمات بغضب شديد زاد من الأجواء توترًا، فقد كان كل من في المكان على قد كبير من الآنزعاج لخروج المريض دون علم أحد... حاولت الموظفة الخاصة بالاستعلام عن المرضى تهدئة "بيسان" وتوضيح

الأمر لها، وأنهم فوجئوا جميعًا بعدم وجوده في الصباح، وحتى أن ذلك الأمر سوف يعرض الجميع للمساءلة القانونية؛ لأن دخوله كان بسبب حادث ما زال التحقيق فيه مستمرًا...

أدركت "بيسان" أن ثورتها العارمة تلك ليست في محلها تمامًا... هي ثائرة لأنها لم تعرف حتى اسمه، وهي التي كانت طوال الطريق تعد ما طاب من الكلمات التي تتحدث بها إليه..... ثم تذكرت أنه لابد أن يكون هناك بيانات مسجلة عنه في المشفى، فعادت للموظفة تسألها عن ذلك فأتتها المفاجأة التالية حين أخبرتها الموظفة أن المسعفين لم يعثروا على أي أوراق توضح بياناته الشخصية، فتم تسجيل الحالة على أنها وافدة من حادث حتى يتم سؤال المريض حين يستطيع الحديث..... هنا جلست "بيسان" على أقرب مقعد يدنو منها، فلم تعد روحها تقوى على كل تلك الأحداث سريعة الإيقاع قاسية الخطوات..... إذن هي الآن تبحث عن مجهول، وربما لن يكون معلوم لها ذات يوم....

كان نور الشمس يبدو خافتًا من خلف الستائر المعلقة على نافذة غرفته... كان ينظر إلى ذلك النور الخافت الذي يشبه العشق الذي بقلبه، وهو ينعم ببعض السكينة دون أن يغلبه النعاس...

لاحظ "حامد" الممرض الذي يرافقه أنه قد استيقظ، ولكن دون أن ينادي عليه.. ظل صامتًا كعادته من يوم أن أتى إلى منزله ليشرف على رعايته... فأراد أن يبدأ هو الحديث فقال له:

- صباح الخير أستاذ "مجدي"... أراك تنظر إلى النافذة هل ترغب في أن أزيح الستار ليدخل نور الشمس إلى الغرفة؟
- صباح النور... لا

- لماذا لا فربما نور الشمس ساعدك على الاستيقاظ، وربما يحسن حالتك النفسية فقد لاحظت - إن سمحت لي - أنك لا تعاني ضررًا جسديًا بليغًا بقدر ما تعاني من شيء يؤلم قلبك، ويطفئ نور البهجة بأوصاله...

نظر إليه "مجدي" نظرة تستميح الابتسام عذرًا فلا تستطيع أن تتحول إلى نظرة بهجة، أو حتى نظرة تكذيب زائفة لما قاله "حامد"...

- بل أترك الستار مُسدلًا فقلوبنا بها كثير مما يُسدل عليه الستار سواء شئنا ذلك أم أبينا...

ثم أغمض عينيه لينعم بغفوة لدقائق قليلة كان يساعد نفسه ليغفو حين يتخيل يديها الحانيتين تربت على كتفيه؛ لتخبره بأن كل شيء سوف يمضي وجراح القلب سوف تندمل، حتى وإن كان ذلك سوف يحدث في الخيال، الذي لنا فيه حياة أحيانًا تساعدنا على تجاوز صعوبات واقعنا....

مضت أسابيع عديدة حاولت أن تعود لحياتها كما كانت قبل تلك الليلة، ولكن لم تستطع أن تتوقف عن التفكير في "مجدي" والبحث عنه، ولكن دون جدوى.... العمل المستمر والساعات المتتالية المنقضية من العمر لا تفيد القلب في نسيان ما يرغب في نسيانه... فقط لو كانت تعرف أنه على بعد خطوات منها ما كانت لتتردد ثانية واحدة في أن تذهب إليه، وتعرف إجابةً لكل ما في رأسها من أسئلة حائرة....

توقفت بتفكيرها لبرهة من الوقت لتتساءل بينها وبين قلبها سؤالًا لابد أن تجد له إجابة... لماذا تبحث عنه بكل ذلك الإصرار؟!!...هل فقط لتشكره على ما فعله لإنقاذها؟! أم لتطفئ نيران الفضول التي كانت تشتعل بروحها وتطال

قلبها، ولكن بنيران تكاد تقترب من ذلك الذي يسمى عشق... وهل عشق الروح يصل إلى ذلك الحد من الجنون؟!... أم أنها عشقت من تشبّه بأبيها الذي أنقذها من الموت حين كانت طفلة صغيرة مازالت تبحث عن وقع خطواتها في الكون الفسيح... ربما يومًا ما ترسل لها أقدارها إجابات عن كل تلك التساؤلات، التي باتت ترافقها في النوم والاستيقاظ وفي نبض القلب وهمسات الحياة.

مرت صباحات عديدة بعد ذلك تعقبها ليالٍ طويلة على كلا القلبين اللذين يحيان بعشق، إن حدث وفاض على جنبات الكون لكان ملء قلوب العالمين سعادة لا تنتهي...

بدأ في التعافي رويدًا رويدًا وإن كان تعافي الجسد لم يحتاج إلى كل ذلك الوقت، ولكن تعافي روحه هو الذي كان يحتاج ذلك... اشتاق إلى عمله فإذا به يعود إليه، ولكن مع الاختلاف في حرصه الشديد ألا تراه " بيسان" ولو حتى صدفة، فكل ذلك الذي فعله بدايةً من خروجه من المشفى إلى الآن من اختباء عن عينيها كان قرارًا نابعًا من صميم قلبه.

فقد ذهب إلى بيته قبل أن تعرف هي أي شيء عنه، وقبل أن تحدث بينهم معرفة وصداقة، فكيف تكون له صديقة وهي بقلبه ملكة متوجة وحبيبة ما تمنى الفؤاد سواها من النساء... كيف ينظر في عينيها دون أن تتبين هي أنه عاشق... أخلاقه العربية تمنعه من النظر إلى امرأة متزوجة فما بالك بعشقها... قرار البعد كان أفضل له كثيرًا...سيبقى حبها بقلبه ما تبقى له من عمر، وسيبقى بينهم الستار الزجاجي الذي يراها من خلفه ويكتفي بذلك فتسعد عيناه برؤيتها بخير....

كانت كل تلك الأفكار تقتل بداخله العشق، ثم تعود تُحييه مرة أخرى، ويبقى هو وقلبه في صراع دائم دون هدنة حتى لالتقاط أنفاس الحياة...

أنهت يوم العمل المعتاد وجلست في حجرة الكشف تكمل بعض الدراسة، حيث كانت تدرس لتعد نفسها للحصول على درجة الدكتوراه العلمية في مرض دقيق تبحث عن علاج له، وبالفعل اقتربت في الوصول إلى ذلك. ... طرقت سكرتيرتها الباب عدة مرات، ولكنها لم تسمعها ففتحت الباب بهدوء ودخلت لتضع فنجان القهوة على المكتب... كان ذلك الفنجان السادس في يومها، فلم تكن تنام سوى ساعات قليلة جدًا وباقي الوقت عمل ودراسة.

- تفضلي دكتورة.. فنجان قهوتك كما طلبتي... عذرًا فقط طرقت الباب عدة مرات ولكن حضرتك لم تجيبي...

رفعت"بيسان" رأسها لتنقذ عينيها الغارقتين في بحر الدراسة والقراءة وتجيبها:

- لا بأس أنا بالفعل كنت شاردة... شكرًا لكي على القهوة.
- عفوًا دكتورة... هل أستطيع مساعدتك في شيء؟
- للأسف أبحث عن مرجع هام بحثت عنه في مكتبات كثيرة ولم أجده أبدًا، وأنا بالفعل أحتاج له ولا أعلم أين عساي أن أجده خاصةً في تلك الساعة المتأخرة، ولم يعد أمامي كثير من لوقت لتقديم بحثي كما تعلمين.
- هناك مكتبة على الجانب المقابل لنا... لو ترغبين في أن أذهب وأسأل هناك ربما أجده، فقط أطلعني على اسم المرجع وأذهب على الفور...

نظرت "بيسان" إلى ساعتها فوجدتها قد تجاوزت منتصف الليل فقالت لها:

- وهل تبقى المكتبات مفتوحة حتى تلك الساعة المتأخرة... بالتأكيد لا.
- بلى... تلك المكتبة تحديدًا تبقى متاحة حتى وقت متأخر... أنا لاحظت ذلك منذ أول يوم لنا هنا.... حتى إن كل المحال تغلق إلا هي تبقى أنوارها مضاءة.

كلماتها لفتت انتباه "بيسان" فقد كان الحادث في ساعة متأخرة مثل تلك، ولم يكن هناك أحد في الطريق سواها، حتى إن كل المحال بالفعل كانت موصدة ومغلقة أنوارها...

وقفت "بيسان" بشكل مفاجئ وهي تعيد ترتيب الأحداث مرة أخرى، حتى فطنت إلى ما ربما يكون قد كان... ذهبت دون تفكير وتركت خلفها سكرتيرتها تقف في حالة من الدهشة لرد فعلها ذاك... تركت أوراقها وفنجان قهوتها الذي لم يخفت رحيقه بعد...

بخطوات رقيقة وهادئة عبرت "بيسان" الطريق وأصبحت على الجانب المقابل، واقتربت من المكتبة وهي تتبع النور الذي يرشدها إليه قلبها... ذهبت صوب المكتبة حيث كان "مجدي" كعادته في مثل ذلك الوقت، بعد أن تفرغ المكتبة من الوافدين عاشقين الكلمات والأوراق والعلم والأدب، يجلس يقرأ حتى يجد أنوار العيادة أُغلقت ويراها ترحل فيرحل كما أعتاد... لم يكن يتخيل أن تلك الليلة لن تكون أبدًا كالمعتاد....

دخلت "بيسان" المكتبة ونظرت نظرة سريعة في كل أركانها، وحين رأته جالسًا مستغرقًا في القراءة؛ دق قلبها بقوة يخالجها شعور أشبه بشعور أم فقدت أبنها وبحثت عنه كثيرًا وإذا به مختبئًا بالقرب منها ولكن لماذا؟!!!

- لماذا؟؟؟

قالتها "بيسان" لتخرج بها مجدي من انسجامه في القراءة.

فاجأته رؤيتها أمامه بقدر ما فاجئه سؤالها، فأعادت السؤال على مسامعه مرة أخرى لعله يجيب ويُنهى أيامًا ولياليًا طويلة رافقتها فيها الحيرة والتفكير والبحث.

- لماذا لم تعرفني بنفسك؟ لماذا تختبئ مني؟ ألهذا الحد لا ترغب بصداقتي؟

لم ينطق"مجدي" بكلمة واحدة...فقط خانته إحدى تلك العبرات التي لطالما ظلت حبيسة بمقلتيه.... فأشاح بوجهه بعيدًا عنها...وهنا تحديدًا أصرت"بيسان" على معرفة كل شيء، وإلا لن تتحرك خطوة واحدة، حتى وإن طلب هو منها مغادرة المكان، فلن تذهب دون أن تعرف الحقيقة الكاملة....

- الحقيقة؟؟؟ أترغبين بالفعل في معرفتها؟؟؟
- نعم ولن أتنازل عن معرفة كل شيء، وسبب دفاعك عني هذا حقي ولن أتنازل عنه.

حكى "مجدي" لها كل شيء عنه وعن مشاعره تجاهها وعن ذلك الصباح الذي كان ينوى فيه التعرف عليها، وعن تلك الليلة التي تمنى بالفعل لو كانت أخر ليلة بعمره طالما كان الموت بين يديها، فإن أسلم الروح إلى بارئها ويد حبيبته ممسكة بيده فتلك أغلى أمانيه، وحتى إن لم تكن عرفت يومًا مقدار عشقه لها فلم يكن يبالي، يكفي أن يراها بخير فهذا ما يعنيه له الحب الصادق.

أنهى كلماته ونظر إلى عينيها فإذا بها تفيض بالدمع... لم تكن تدرك ذلك كله... بادرها باعتذار عما إذا كان تجاوز حده في الكلمات، وهي امرأة متزوجة، ولذلك لم يكن يرغب في أن يبوح لها بعشقه احترامًا للوضع... مع

كلماته تلك تبدلت دموع "بيسان" بابتسامة عذبة زادت ملامحها أنوثةً وصفاءً، ثم خلعت خاتم الزواج من يدها وأعطته له.... فنظر إليها بدهشة غير مصدق ما فعلت.. فأجابت سؤال عينيه لها بكلمة واحدة:

"أقرأ"

نظر بداخل الخاتم وقرأ

" ز س 1981 "

زادت تلك الحروف والتاريخ من دهشته فنظر إليها لتفسر له ما قرأ

- ربما حان دوري في الحديث...(ز) زاهر... (س) سهى...هذا خاتم زواج أمي وأبى ...وتلك الحروف اسمهما، وذلك التأريخ تاريخ زواجهما...

ثم روت له كل شيء من البداية حتى انتهت إلى تلك اللحظة التي يمر بها قلبهما الآن واستطردت فقالت:

- كان بين أمي وأبى قصة حب لم أرى لها مثيل، حتى إن أمي حين كانت تروى لي حكاية ما قبل النوم، كانت تحكى لي قصة حبهما، فاعتدت على سماعها ومعايشتها، فكنت أرى بينهما حالة عشق حقيقية، وحتى حين رحلا عن الحياة وتركاني بها وحيدة؛ رحلا سويًا وكأنما يأبى أي منهما أن يحيا بدون الأخر... بعد وفاتهما أعادني جيراننا إلى أهل أمي في مصر كما أوصاهم أبى، وقبل أن يعودوا إلى فلسطين حدثتني جارتنا بشيء رغم أنها كانت تخشى على قلبي الصغير من الألم، ولكن تلك أمانة كانت لابد أن تسلمها إلىَّ... أخبرتني جارتنا أنهم حين دخلوا البيت لأخذ جثة أبى وأمي وأبى، وجدت النساء أمي رحمها الله تطبق يديها على خاتم زواجها وكأنها

كانت تخشى أن ينتزعه أحد من يديها بعد وفاتها؛ فأخذت النساء الخاتم وقررن أن يعطوه لي بعد أن يوصلوني إلى أهلي في مصر وقد كان.

مضى بي العمر وأصبحت امرأة وحيدة، ولم أفكر في الحب يومًا ربما لأني انشغلت كثيرا بعملي، ولأنني أيضًا كان دومًا بداخلي إحساس إنني لن أجد حبًا مثل ما كان بين أمي وأبى، وقد كانت توصيني أمي دائمًا بألا أتزوج لمجرد الزواج وتأسيس بيت، وإنما أتزوج فقط حين أحب فكانت لها جملة ترددها دومًا على مسامعي حتى حفظتها روحي قبل عقلي: " تزوجي فقط حين ينبض قلبك بحب الحياة لشخص ما، واحرصى على ألا تكملي تلك الحياة إلا بجواره".

وحين فقدت الأمل في العثور على حب يشبه ما كنت أتمناه؛ ركزت كل اهتمامي بعملي ولكني لم أكن أعلم أن القدر يخبئ لي أكثر مما كنت أتمنى.

وقف يتابع اختيار الألوان والأرفف ويبتسم حين يراها حازمة في كل تفصيلة صغيرة...ينظر إليها وهي الآن بقربه...زوجته ورفيقة دربه.... أصبحت المكتبة تحاكى مثيلاتها من المكتبات العصرية، كما كان يتمنى أن تكون، ولكن الفرق أن حبيبته هي من اختارت كل شيء في تجديدها، هي من منحتها الحياة ومنحت قلبه نبض السعادة.... أصبح كل منهما جزءًا من الآخر.. من روحه وقلبه وحياته.... بل إن ملامحهما أصبحت قريبة يكادا يتشاركان قسمات الوجه، كما يتشاركان أوصال القلب.

لا عجب في ذلك فالحب يبدل بأرواحنا أشياء كثيرة وكأننا نولد من جديد، ولكن بفرق بسيط ألا وهو أننا نولد بسعادة ترافق ظلنا، وكأنها توأم للروح.

الآن فقط انهار ذلك الستار الزجاجي، الذي كاد أن يُنهى قصة عشق ليس مقدر للكثيرين أن يحظوا بها.

(أحملوا لقلوبكم أسعد النوايا فعلى نيات قلوبنا نُرزق)

obeikan.com

(إهداء)

صباح هادئ رقيق برائحة الفانيليا، تلك الرائحة التي تملأ أرجاء المنزل؛ لتعلم ساكنيه بنضج ما لذ وطاب مما أعدته الأم من طعام، كانت تسعد بأن تعد تلك المخبوزات، وخاصة لوجبة الإفطار؛ ليتمتع كل أفراد الأسرة ويتشاركون الأماني الطيبة والابتسامات قبل اللقيمات الطيبة.

جلس الأب والابن الأصغر في حين وضعت الأم ما بيديها من أشهى المأكولات على المائدة، ولم تنس بقلبها الحاني أن تبعث السعادة في قلب حبيبها، بابتسامة رقيقة لم تتغير منذ أول صباح جمعهما سويًا وأول إفطار صنعته له بيديها منذ أكثر من ربع قرن، وحال العشق بقلبيهما على حاله بل أكثر قوة من ذي قبل.

- سلمت يداك الغاليتان، أين "منى " ألم تستيقظ بعد؟؟ سوف تتأخر عن موعد العمل.

ابتسمت الأم على ذكر تلك الفتاة الشاردة جامحة القلب والروح طيبة الخلق رقيقة الملامح، ذات الثلاثة وعشرين عامًا، ثم أجابته:

- انظر إلى تاريخ اليوم وسوف تعلم أنها لن تذهب إلى العمل اليوم، فاليوم إجازة لما هو أكثر أهمية لديها من الحياة بأكملها.

فطن الأب لما تقصده خليلته فضحك يقول:

- هذه الفتاة أصبحت مهووسة تمامًا بالقراءة.
- ومن علمها ذلك سواك.

ضحك كلاهما وشرعا في تناول الإفطار مع ابنهما الأصغر، ولم ينسيا ترك نصيب لابنتهما من أطيب ما يأكلان.

كانت بداخل غرفتها تتكئ على وسادتها، وكانت قد استيقظت تمامًا ولكن عينيها معلقتان بعقارب الساعة، تتمنى ولو أن بمقدورها أن تحركها أسرع فأسرع؛ فيأتي موعدها الذي تتمنى بلوغه بفارق الصبر، ولِمَ الآنتظار، سوف تبدأ من الآن فاليوم طويل وهناك طقوس كثيرة ترغب في إتمامها، بالفعل نهضت من فراشها وبدأت تجهز حالها لذلك اليوم الطويل.

يوم مختلف ففي العادة أيام العمل ترتدى ملابسها وتذهب في دقائق معدودة، ولأنها تعشق عملها فلا تتأخر عن موعدها أبدًا، ودائما ترجئ الإجازات إلى حين الحاجة إليها عدا ذلك يطيب لها العمل كل يوم.

كانت دراستها للغة التي طالما تمنت أن تتقنها؛ فأصبحت كذلك بل أنها أصبحت مترجمة محترفة في اللغة الفرنسية، وتعمل في مكتب خاص بالترجمة في محافظتها، التي ولدت بها وتنتمي إليها أبًا عن جد إنها الإسكندرية الساحرة. كانت تعشقها إلى تلك الدرجة التي تجعلها لا تخرج منها إلا فقط لمثل ذلك اليوم.

نعم هذا اليوم تسافر إلى القاهرة العامرة برفقة ابنة خالتها "شذى" هي رفيقتها، وبمثابة أخت وكاتمة أسرار لها، كانت ترافقها في كل مرة تسافر فيها إلى القاهرة؛ حتى لا تبقى وحيدة، وأيضًا حتى تشاركها تلك المشاعر الفياضة التي كانت تروى لها عنها باستمرار.

وقفت "منى" تتخير من ثيابها أكثرها أناقة، وتنتابها الحيرة مثل كل مرة، بل إنها تزداد كل عام عن العام الذي يسبقه، وقع اختيارها على ما سوف ترتديه

وبدأت تعدل من هندامها، وتنظر في مرآتها مرة بعد مرة، ونستطيع أن نحصيها بآلاف المرات. كم تتمنى لو كانت تبدو أكبر سنًا مما هي عليه الآن. فقط لو أنها تستطيع أن تقترب من سنوات عمره، ولو خطوات قليلة حتى لا تشعر بتلك الفجوة التي تمزق خيوط أحلامها، أكثر من عشرة أعوام وهى تحمل بقلبها ذلك العشق الجنوني، منذ أن أهداها والدها في عيد مولدها مجموعة كاملة لدواوين شعره، وهى تقرأ وتقرأ دون كلل حتى أتمت ما أهداها، ثم باتت تتابع كل ديوان جديد وتحرص على حضور حفل توقيعه، وهو ما تذهب إليه اليوم، وكأنه عيد تنتظر فجره بفارغ الصبر، كم من ليالٍ قضتها وهى تقرأ أشعاره، وكم من صباح انتابتها فيه أحلام اليقظة تلك التي نراها ونحن مبصرون، الأمل في كل فرح يأتي من الخيال فيسبر أغوار القلب والروح؛ فتحيا به النفس في حنين دائم للسعادة، كم تمنت أن يكتب إليها، أن ينظم الشعر لعينيها، أن يُسميها حبيبته ورفيقه دربه .. كم تمنت أن يعلم أنه عشقها الذي لم يسبقه عشق...لم يكن ذلك حب مراهقة؛ فقد تعدت تلك المراحل بكثير، وإنما كان نمطًا مختلفًا من العشق.. كان ذلك العشق الذي ترى فيه الأنثى اكتمالًا لمعاني الحياة. تعلم أنه لا يعلم عن حال قلبها شيئًا، وإنما كانت تكتفي بأن تقرأ كلماته فتحيا بدنياه، التي ربما تكتب لها الأيام مكانًا بها يومًا ما.

همت بالرحيل ثم تذكرت أخر طقس من طقوس ذلك اليوم المميز، فتحت درج مكتبها وأخرجت منه مفكرة صغيرة؛ فتحتها وأخذت تقلب في صفحاتها، كانت تترجم فيها الأبيات التي تحفظها من دواوينه من العربية إلى الفرنسية، وتمنى نفسها بأنها ذات يوم ربما تهديه إياها حين تروى له عن أحلامها، التي كانت تؤنس لياليها العامرة بعشقه، ها هي أحلام اليقظة تأخذها في تيارها من جديد، وربما كانت ستسبح بها دون توقف، لولا أن أخرجها من ذاك اليم صوت رنين الهاتف، الذي كان بالفعل يملأ أركان الفضاء من حولها، ولكن لم تكن تسمعه، أجابت مسرعةً وقد كانت تعلم أن المتصل "شذى" :

- نعم، أعلم تأخرنا، أنا قادمة حالًا.

أعادت المفكرة إلى مكانها وهي تربت بأطراف أناملها وبنبض قلبها عليها، وكأنها تطمئن ما بداخلها من حروف أنه ربما يومًا ما سوف تأخذها معها في سفرها لتهديها إلى صاحبها.

هناك في قاهرة المعز الساحرة كان رنين هاتف يرن بإلحاح دون أن يجيب متلقيه، حتى ترافق ذلك الرنين مع إشعارات المنبه الذي ينبئه بضرورة الاستيقاظ، فتح "أكمل" عينيه متكاسلًا، أغلق رنين المنبه ثم ألتقط الهاتف ليجيب على صديقه وكان يعلم أن المتصل "حسن" وبالفعل كان هو:

- " أكمل"، أين أنت يا رجل، هل ما زلت نائمًا؟؟ ألم أخبرك أن اليوم طويل، ولدينا من التجهيزات ما بالكاد يكفيه ساعات اليوم، صباح الخير
- صباح النور، لا تقلق الآن سوف أُجهز حالي، ونلتقى في موعدنا.
- رجاءً لا تتأخر، أنت تعلم اليوم ليس حفل توقيع عادى، اليوم احتفالنا بإصدار ديوانك الخامس والعشرين، هيا يا صديقي أرجوك.
- لا تقلق ودعني أستيقظ حتى لا نتأخر بالفعل.

قالها "أكمل" وهو ينهى حديثه مع "حسن" ويداعبه بمزحة كعادته، لم يكن "حسن"مجرد صديق، بل كان بمثابة أخ ورفيق عمر، أتما ما بينهما من صدق أخوة وصداقة حين أسسا سويًا دار النشر، وحينها لم يكونا يملكان إلا القليل من المال، فتعاونا حتى أصبحت دارًا من أكثر دور النشر احترامًا وذات اسم وسمعة طيبة في الوسط الأدبي، وبالطبع كل دواوين "أكمل" تُنشر بها طوال تلك الأعوام.

كانت "شذى" تتحدث دون توقف طوال الطريق، وتروى ل "منى" حكايات وحكايات، والأخيرة تستمع وتحاول أن تظهر بمظهر المنصتة، ولكنها لم تكن كذلك بل كانت شاردة القلب قبل الذهن، لا تفكر في أي شيءٍ سوى تلك الساعات والدقائق التي تبدو لها وكأنها لا تنقضي.

هذا هو الشوق يا سادة حين يدنو من قلوب العاشقين؛ فيأخذها منها النبض ويهبها الحياة تارةً والألم تارةً ثم يعود يجدد الآمال في لحظات.

اشتاقت إليه كثيرًا هذه المرة، ولا تعلم لماذا، ربما لأن العشق الذي بداخل قلبها بات أكبر، أو ربما لأن عقلها أصبح أنضج وبارك ذاك العشق، مهما كان تفسير ذلك فلم تعد تبحث عن إجابات فقط تكفيها رؤيته وسماع صوته، ورؤية نظرات التقدير والاحترام والحب له من معجبيه وقرائه.

دلف إلى قاعة الحفل بعد أن أكتمل الحضور تقريبًا، كان حضوره ساحرًا بحق، رجل في العقد الخامس من العمر، يبدو بكامل هيبته وشخصيته التي تظهر جلية في نظرة عينيه، يرتدى بذلة رسمية أنيقة مناسبة لأجواء الحفل، يغلف حضوره سحر خاص، ربما يكون نابعًا من كلماته، أو إن كلماته هي التي تستمد السحر منه أيهما أقرب إلى الحقيقة أصدق.

بدأت مراسم الحفل والمناقشات والتوقيعات، وكان في منتهى التواضع ولم ينتابه غرور الشهرة أبدًا، رغم كل ذلك النجاح الذي حققه بفضل الله ثم حرصه الدائم على تقديم ما يليق بقراءه، أخذت "منى " توقيعها مثلها مثل البقية وحظيت بثوانٍ معدودات، تقف فيها بجواره حتى منحها الإهداء والتوقيع، ثم عادت إلى مقعدها الذي كانت تحرص دائمًا على أن يكون في الصفوف الأولى بمقربة منه؛ حتى تنال من عطره ما يكفيها إن حدث واكتفي قلبها.

أوشك الحفل على الآنتهاء وبقيت كلمة الشكر التي يوجها "أكمل" إلى الحاضرين وينتهي ذلك اليوم المبهج بكل ما فيه.

- هيا، ألن تتحدثين؟! إلى متى ستظلين صامتة هكذا؟؟ عام بعد عام وأنت على ذلك الصمت.

كانت تلك كلمات "شذى" وهي تتحدث بها هامسة إلى "منى" لتحثها على الحديث، فلن يراها "أكمل" وهي بكل ذلك الصمت، أجابتها لتنهى ذلك الهمس:

- ألا ترين، لقد انتهى الحفل بالفعل، أي حديث يبقى لي، لا لن أنطق بشيء.

كان "أكمل" شديد الملاحظة وخاصة بكل ما يتعلق بالحضور، فلاحظ ذلك الحديث الهامس بين الفتاتين، وانتابه الفضول ولكن لم يرغب في أن يعرض أي منهما إلى موقف حرج؛ فتصرف بشكل يليق به وبهما فقال:

- أشكر حضوركم الكريم وتقديركم الراقي لما أكتب، رجاء كل من لديه سؤال أو شيء يرغب في قوله فليتفضل دون تردد، ويسعدني الإجابة بكل وضوح على ما يرغب في مناقشته.

هنا اندفعت "شذى" لتنهى تردد ابنة خالتها، ورفيقتها فوقفت تقول:

- نعم أستاذ "أكمل"، "منى" لديها ما ترغب في قوله.
- تفضلي أستاذة "منى" شرفينى بالمناقشة الكريمة.

في لحظات قليلة عادت "منى" إلى تلك الفتاة المراهقة ذات السبعة عشر عامًا، مشاعر متضاربة تجتاح قلبها، وتعصف بروحها، وخاصة بعد أن

ناداها باسمها أمام كل ذلك الجمع الغفير، ولكن لم يعد هناك مجال للتردد، وخاصة بعد اتجهت كل الآنظار إليها، فما كان منها إلا أن تتحدث:

- أستاذ "أكمل" أرغب في سؤال سيادتك عن سبب إصدار ديوانك كل عام في تاريخ يوم محدد وبإهداء أيضًا محدد، لم يتغير على مدار تلك الأعوام الماضية والدواوين السابقة حتى ديوان اليوم، فلماذا ذلك التاريخ والإهداء كما هما دون تغيير؟؟

صمت الحاضرون عن الحديث والهمهمات الخفيفة التي كانت تدور في القاعة والجميع انتبه على إثر ذلك السؤال، الذي أصاب وجهته كسهم نافذ الوصول، يبدو أن أحدًا لم ينتبه إلى ذلك سواها، بالفعل تاريخ محدد وإهداء لا يتغير، حتى إن هناك بعض الحضور كانوا يتجهزون للرحيل جلسوا مرة أخرى للسماع لما سوف يجيب به "أكمل " على ذلك، هنا شعرت "منى" أن ما قالته يبدو مثيرًا للجدل، ولكن كان ما كان ولا سبيل إلى التراجع الآن، فعادت تجلس مثلها مثل الجميع في انتظار ما سوف يكون.

هنا بدأ القلق على وجه "حسن" الذي كان يقف بجوار رفيقه طوال الحفل، ذلك القلق يعنى أن هناك منطقة محظورة بقلب صديقه تم اختراقها، وعلى مرآي ومسمع من البشر، فما العمل الآن وكيف عساه "أكمل" أن يتصرف في ذلك الموقف العصيب، الذي ربما يجدد بقلبه آلام لم تندمل بعد، هم "حسن" بالحديث وقد فطن "أكمل" إلى أن صديقه يحاول أن يخرجه من ذلك المأزق؛ فبادره الأخير هامسًا:

- لا بأس يا صديقي، لا تقلق أنا بخير.

ثم استطرد يوجه حديثه للحضور قائلا:

- بالفعل كان يسعدني أن أجيب عن ذلك السؤال، ولكن الإجابة ربما تحتاج إلى ساعات طويلة، وأنا بالفعل لا أرغب في تأخيركم عن ارتباطاتكم ومواعيدكم الخاصة.

فما كان من الحضور إلا أنهم جلسوا جميعًا وكأنهم يطالبوه بشكل لائق أن يتحدث، وكلهم آذان مصغية، ربما كان ينتابهم الفضول أو أنهم يثقون في أن ما سوف يقوله جدير حقًا بالاستماع.

- إذن سوف أروى لكم فربما حانت الآن تلك اللحظة، التي كنت أخشاها وأتمناها أيضًا في ذات الوقت.

كم هي حائرة النفس البشرية، ودائما تبحث عن وجهتها، وما تتمناه حقًا إن كان في بوح أم كتمان.

نظر إلى "حسن" ليطمئنه ويومئ الأخير برأسه ليُعلم صديقه بأنه قد تفهم الأمر والله وحده المستعان.

بدأ "أكمل" يبوح بما تخفيه السنوات في طياتها:

- منذ أكثر من خمسة وعشرين عامًا كنت طالبًا في كلية التجارة، وصديقي وشقيق أيامي" حسن" طالبًا في كليه الآثار، كانت دراسة كل منا تختلف عن الآخر، ولكننا تعرفنا على بعضنا في حرم الجامعة، حيث كنا نتشارك الأنشطة الطلابية وتنظيم الرحلات، وكنا متفاعلين في تلك المجالات، ونشاطنا ظاهر لكل أصدقائنا فجمعتنا صداقة قوية، دامت كل تلك الأعوام بفضل الله ـ وستبقى كذلك ـ حتى إن قدر الله لنا ما بقى من حياة، كانت دراستي بين الأرقام والحسابات، وكنت أعشق تلك الدراسة وقد اخترتها برضً واقتناع كامل، وكنت يومًا بعد يوم أحلم بمكتب محاسبة أأسسه بمجهودي، ثم

سرعان ما ينمو فيصبح مؤسسة كبيرة مكللة بنجاحات متتالية في مجال الاقتصاد والحسابات، أما "حسن" فقد كانت له أحلامه الخاصة، وقد كانت مختلفة عن أحلامي تمامًا لذلك لم نتخيل يومًا أن يجمعنا عمل واحد، كان يحلم بأن يعمل بالتدريس الجامعي في مجال دراسته، الذي كان يعشقه ويهتم بكل تفاصيله لدرجة أنه كان يقوم برحلات ويسافر على حسابه الشخصي إلى الأماكن الأثرية؛ حتى يراها ويلتقط الصور ويلمس بروحه قبل يديه كل تلك الحضارة، التي تركها لنا أجدادنا العظماء، كان يهوى القراءة أما أنا فلا، لم أكن أفكر حتى في اقتناء كتاب، ولم يكن يستهويني الشعر والأدب، فقط الأرقام والحسابات هي التي تملأ عقلي وأحلامي، حتى جاء ذلك اليوم الذي لا أستطيع أن أصفه سوى بأن أقول يوم تغيير مسار العقل والقلب.

كان لدى "حسن" بحث عن آثار بمحافظة المنيا، وهى عبارة عن مقابر فرعونية لكل منها قصة وأثر في التاريخ، كان ذلك البحث هامًا جدًا له ويشغله بشكل كبير، ففكرنا في عمل رحلة جماعية، ولكن لم يرغب أحد في الاشتراك فيها، كان الطلاب يسارعون في الاشتراك في رحلات ترفيهية أكثر، أما من يرغب في تلك الرحلات فكان عدد قليل إن وجد. بعد تفكير قررنا أنا وهو أن نسافر نحن الاثنين لمدة يومين بليلة واحدة، على قدر ما نملك من تكاليف السفر، وما كنت أترك رفيقي أبدأ يسافر وحده؛ لذا كنا سويًا في تلك الرحلة، ولا أخفيكم سرًا أنى كنت أخشى من أن تكون مملة، فأنا لا أهوى النظر إلى الآثار ولا أحب القراءة فأنشغل بها مثلًا حتى ينجز صديقي ما لديه من مهام؛ لذا فكرت أن أحمل معي بعض موادي الدراسية، وأقضى الوقت في الدراسة وبالفعل قد كان. حددنا موعد السفر وسافرنا وكنا تحديدًا في بداية العام فكان الجو مناسبًا، في محطة وصولنا لما كان من دفء في

تلك المدينة الطيبة(المنيا)، كنا بالفعل بحثنا عن فندق سعره مناسب لميزانيتنا المحدودة، وحجزنا فيه يومين بليلة واحدة، على أن نعود في ليل اليوم الثاني.

بعد وصولنا لم يكن لدينا الكثير من الوقت لنضيعه فقد كان "حسن" يرغب في زيارة أماكن كثيرة، وبالكاد وضع جدولًا زمنيًا لابد أن نلتزم به؛ حتى يتم ما يجب إتمامه، خلدنا إلى النوم ساعة تقريبًا حتى نرتاح من السفر ومجهود الطريق، ثم بدأ الالتزام بالجدول، كنت أنوى أن انتظره في الغرفة في الفندق، وأنشغل بالدراسة حت يعود ثم عدلت عن تلك النية وقررت أن أرافقه وخاصة أن البلد غريبة علينا، وربما الأفضل أن نكون سويًا، ذهبنا إلى منطقة الآثار التي يرغب في رؤيتها، وتركته أنا لأتجول قليلًا على أن نلتقى في نقطة محددة ووقت محدد.

كان بالفعل كل شيء حولي ممل، وكأنى في مكان لا أنتمى إلى أي شيء فيه، كنت أتجول محاولًا إيجاد ما يلفت انتباهى، ويساعد على قضاء تلك السويعات القليلة التي تبدو في ظاهرها كذلك وفي باطنها طويلة جدًا.

" يا حب لاهدف لنا إلا الهزيمة في حروبك

فانتصر أنت، انتصر، واسمع مديحك من ضحاياك

انتصر سلمت يداك"

استمعت إلى تلك الكلمات التي لم أكن أتبين معناها، ولا أعلم حتى من يكتبها، ولكن ما جذب مسامعي حقًا هو الإلقاء والصوت العذب الذي كان يُلقيها، ثم علمت فيما بعد أن تلك الكلمات الذهبية للشاعر المبدع "محمود درويش" من فرط انجذابي ما كان منى إلا إنى اتبعت الصوت، ذهبت كالمسحور أتبع الكلمات والهمسات، وأركز قدر استطاعتي حتى أبلغ تلك الوجهة التي أصبو إليها، وإذا بنفسي وخطواتي تقترب أكثر فأكثر حتى رأيت ظلًا لأناس

كثيرين، يبدو تجمعهم كأنه حفل أو شيء لا أستطيع تبين حقيقته بعد، كان نور الشمس الساطع يعكس ظلهم على الأرض، وأنا أتبع ذلك الظل الممتزج بالصوت، حتى بلغت ذاك الجمع، وحين سألت علمت أن تلك كانت رحلة لطلاب جامعة المنيا، وكان في برنامج الرحلة شيء يشبه حفل أو ندوة أدبية لإلقاء الشعر، كان صوتها ما زال يصلني، ولكن دون أن أرى ملامحها، فقد كان الحاضرون يحيلون بيني وبين رؤيتها؛ فأخذت أقترب وأقترب وأتجاوز الصفوف حتى اقتربت بذلك القدر الكافي الذي مكنني من رؤيتها.

ملامح خمرية ومظهر بسيط راقٍ، يعكس ما بروح تلك الفتاة من نقاء، كانت ما زالت تلقى الأشعار والجميع لها منصتين، حتى أنهت كلماتها وصفق الحاضرون، ترجلت هي من فوق المسرح الصغير، الذي كان ظاهرًا من هيئته أنهم أنشئوه بأبسط الألواح الخشبية، فقط ليفي بالغرض المطلوب منه، وقفت أنا كما كنت وما زال ذلك السحر يغلف روحي، ولم أتحرك خطوة واحدة، كنت كمن دخل عالم جديد في لحظات قليلة مباغتة لم تكن في الحسبان، رأيتها تتحدث مع أصدقائها وتتبادل الضحكات الصافية والنظرات المتتالية حولها، وكأن كل ذلك المكان في الأصل بيتها، وقعت عيناها علىَّ وربما لاحظت ذلك الشرود الذي كان يبدو مضحكًا بعض الشيء، تركت أصدقائها واتجهت نحوى وأنا كما أنا كحجر لا يبارح مكانه أبدًا.

- يبدو أنك لست من أهل مدينتنا الطيبة، إذن أنت ضيف كريم.

كلماتها كسرت حاجز السكون الذي كان يأسرني، فأجبتها أقول:

- نعم، أنا من القاهرة وأتيت إلى هنا في رحلة مع صديق لي.

ثم مددت يدي لأصافحها وأنا أكمل تعريفها بنفسي.

- " أكمل نديم " طالب بالفرقة الثالثة كلية التجارة.

مدت يديها لتتم مصافحتنا على أطيب وجه، وهي تعرفني أيضًا بنفسها:

- " أصيلة وجدي"، طالبة بالفرقة الأولى كلية الآداب.

كان وقع الاسم على قلبي ذا سحر آخر، فنطقت بما يجول بخاطري دون أن أقصد:

- "أصيلة"؟؟

ابتسمت وكأنها فهمت تعجبي من الاسم فقالت:

- نعم لك حق أن تتعجب، فكثيرون يكون وقع الاسم عليهم كذلك، ولكن هذا الاسم له قصة إن كنت ترغب في سماعها فأنا لا أمانع.

قلت:

- بالطبع أرغب في ذلك
- نحن عائلة من أساس جذورها وأجدادها من هنا من محافظة المنيا، ولا أذكر أنى قد سافرت بعيدًا عنها من قبل، كان موعد ولادتي قد اقترب، وكانت العائلة بأكملها في حفل زفاف أحد الأقارب، ولكنه في بلدة مجاورة لبلدتنا وتبعد عنها مسافة لا بأس بها، وكانت أمي بالفعل على وشك الولادة ولكن أخذتها روح المغامرة فقررت الذهاب للزفاف، رغم خطر حدوث الولادة في أي لحظة، ووافق والدى على ذلك وذهب الجميع، مضت الليلة على خير ولم أصدر أنا أية إشارة تنبئهم بقرب وصولي إلى الدنيا، إلى أن كانوا عائدين في الطريق، ففاجأت أمي بضرباتي وثوراتي المتتالية لأعلم الجميع أنى آتية، ولكن لم أفعل ذلك ولم ألمس بقلبي الوليد همسات الحياة إلا بعد أن وصلت أمي إلى بلدتنا، وتحديدًا إلى دارنا حينها أتيت، فقال والدى - كما روت لي أمي في طفولتي تلك الرواية كثيرًا، التي فيما بعد

أصبحت رواية يعلمها كل فرد في العائلة الكبيرة العامرة ـ ليلتها حين رأي عيناي لأول مرة تبتسم لقلبه:

- سوف أُسميها "أصيلة " تلك الفتاة أبت أن تتنفس الحياة خارج دارها، لذا فأنا توسمت فيها الأصالة، وستبقى أصيلة حتى آخر أيام عمرها.

أنهت كلماتها وأنا أستمع إليها وأتوسم فيها بالفعل كل ما قاله أبيها عنها، ثم تبادلنا الأحاديث وأخذتني لتعرفني على أصدقائها، وكان موعد لقائي ب "حسن" قد اقترب؛ فذهبت لأحضره وأعرفه على الجميع، وقضينا أمسية رائعة راقية ما بين الأدب والشعر والآثار، التي أضافت من عبقها بعضًا من الخيال الطيب على جمعنا السعيد، ثم حان وقت الذهاب وتصافحنا جميعًا على موعد بلقاء جديد كلما سافرت أنا وصديقي مرة أخرى إلى هناك.

ما هذا الذي أشعر به يسبر أغوار نفسي وما هذا النبض الدخيل على قلبي، ماذا حدث في سويعات قليلة؟؟ كل تلك التساؤلات كانت تهيم بنفسي وعقلي، أحيانًا يحدث للإنسان ما يشبه العشق ولكنه في حقيقة الأمر مجرد انجذاب شديد لشخص ما، وسرعان ما ينتهي مع مرور الوقت، أقنعت نفسي بذلك وأمضينا يومنا التالي ثم عدنا للقاهرة ولدراستنا وحياتنا، ولكنى لم أعود، بقيت هناك في تلك الأرض الطيبة بقلبي وعقلي وتفكيري. فقد مس قلبي عشق لا محال.

كنت أتحدث إلى نفسي بتلك الكلمات حتى فاضت فأخبرت بها "حسن" والذي تعجب كثيرًا مما أقول.

- هل جُننت يا رجل؟؟ عن أي عشق تتحدث، أحببت فتاة تبعد عنك بآلاف الأميال من المسافات والطباع والأفكار والاهتمامات، هي عاشقة للغة العربية ودارسةً لها، وعاشقة للكتب والأشعار، وأنت تمقت ذلك كثيرًا، بل أنى لم أرك يومًا تقرأ رواية أو يجذبك بيت

شعر، ناهيك عن أنها ليست من مدينتك ولا تعرف عن أهلها شيئًا، ولا هي تعرف عن طباعك أنت شيئًا، ولا تنس أنها ربما تكون بالفعل مرتبطة، فتصبح الآن تُمني نفسك بما لا يمكنك إدراكه، وأيضًا عليك أن تتذكر أننا مازلنا في الدراسة، وما زال أمامنا الطريق طويل، حتى نفكر في الحب والارتباط.

لم تفلح كلمات "حسن" في إخراجي من تلك الهالة الساحرة التي بالفعل كنت قد دخلتها، وسكنت فيها بمحض إرادتي وخالص سعادتي، رغم أنه كان يتحدث بلسان الحق، وكل ما يقوله منطقي، لكن ذلك العشق الذي اخترق أوصال قلبي لم يقنع خاضعًا لأي منطق أو قاعدة من قواعد الكون بأسره.

مضت شهور بعد ذلك الحديث، وأنا كما أنا على حالي أشعر بأني أحيا بين الناس جسد دون قلب، فقلبي هناك معها حيث تكون. كنت بالفعل أتممت عامي الجامعي وبقي لي سنة دراسية واحدة، وبعدها أستطيع أن أؤسس حياتي بشكل أوضح، في تلك الأثناء كنت التحقت بمكتب محاسبة حتى أتدرب على العمل، وفي ذات الوقت أكسب بعض المال، الذي يعينني على تحقيق أحلامي رويدًا رويدًا.

كانت تراودني الفكرة من حين إلى آخر حتى حسمت أمرى وقررت أن أسافر إلى مدينتها الطيبة، وألتقى بها وأحدثها عما بقلبي حتى وإن رفضت ذلك العشق، يكفيني أنى لم أتخاذل عن التجربة، سافرت هذه المرة وحدى دون "حسن" الذي كان يعارضني دومًا في ذلك السحر الذي لا أستطيع مقاومته، سافرت وبحثت عنها في المكتبة التي كانت حدثتني عنها ضمن حديثنا السابق، وقالت أنها تتواجد فيها دائمًا كل صباح في الإجازة من الدراسة، وحينها قالت باسمة " تستطيع أن تجدني بين صفحات كتاب" رأيتها بالفعل بين صفحات الكتب تقرأ دون توقف، حتى أنها لم تلاحظ وجودي وأنا أقف أمامها مباشرة لدرجة أنى شككت لبعض الوقت من أنها قد نسيت ملامحي؛

فطرقت بأطراف أصابعي على المنضدة لألفت انتباهها، فإذا بها ترفع عينيها من بين سطور الرواية وتنظر لي، توقف تقويم عمرى في تلك اللحظة حتى أعادتني هي إلى الحياة حين نطقت باسمى فعلمت أنها مازالت تذكرني :

- " أكمل"، أهلا بعودتك مرة أخرى ضيف كريم.
- أهلا بك " أصيلة"، لقد أتيت خصيصًا لأتحدث إليك فهل لديك بعض الوقت؟
- بالطبع ولكن دعنا نغادر المكتبة حتى لا نسبب إزعجا بحديثنا.

بالفعل خرجنا نمشي سويًا في الطرقات، التي اختارتها هي لأنها كانت تعلمها أكثر منى بالطبع، ساد الصمت بيننا مما زاد من فضولها فقالت:

- تفضل بالحديث أنا أستمع إليك.

لا أخفيكم سرًا في تلك اللحظة نسيت كل ما كنت قد أعددته من كلمات ومن ترتيب للأفكار، نسيت كيف تخيلت آلاف المرات طريقة الحديث التي أرغب في أن أتبعها، نسيت أشياء كثيرة وتذكرت فقط ما بقلبي من طوفان حنين لعشق مجهول المصير.

نظرت هي إلى بنظرات تحثني على الحديث مما شجعني على الإقدام على تلك الخطوة؛ فتحدثت بكل ما في قلبي، وأيضًا تحدثت عن نفسى وعرفتها بكل شيء عنى وانتظرت نتيجة حديثي، فتفاجئت بردة فعلها حين نظرت إلى بحياء أنثى تبادل حبيبها شوقًا بحنين، وعملت من كلماتها البسيطة التي لم تخل من خجل الفتاة العربية، أنها أيضًا بداخل قلبها بعض من النبض يخصني، وإن كان غير مؤكد، ولكنه موجود بالفعل، أصابتني سعادة فلم أكن أتخيل يومًا ما سوف أشعر به وبذلك القدر، جلسنا في ذلك اليوم نتحدث قرابة الساعتين، ثم تواعدنا على لقاءات قادمة حتى أنهى دراستي وأستطيع أن أؤسس عملي، وأرتبط بها رسميًا أمام الجميع.

أهداني القدر قصة حب ما كنت أسعى إليها حتى في أكثر أحلامي جموحًا وسعادة، كنت كلما وفرت مبلغًا بسيطًا لتكاليف السفر سافرت لمدة يوم لأراها ونتحدث ونجدد العهد، ثم أعود وهكذا مضت بقلوبنا أشهر عديدة اقتربت من العام، وما بقلبينا يزداد يومًا بعد يوم.

لا أحد يستطيع أن يعرف شعور المرأة حين يكتمل بداخل قلبها نبض العشق في أزهى صورة، حين يهديها القدر حبيبًا يصدقها المشاعر ويشاركها الحلم واليقين، كانت "أصيلة" مثل كل فتاة تنتظر ذلك الفارس، الذي يخطف قلبها دون سابق إنذار؛ ويمنحها الحب الصادق ويرسم خطوات حياتهم سويًا ويتمناها زوجة وأمًا لأبنائه. منذ أن علمت أنها أحبته بصدق راحت ترسم أيام عمرها في ظله، وكما تشاركا المشاعر النقية تشاركا أيضًا الاهتمامات، فصار هو الآخر يحب القراءة، وكان يختار معها أبيات الشعر ويقرآها سويًا في كل لقاء بينهما.

عادت ذات يوم بعد أن أنهت يومًا دراسيًا طويلًا، تأخرت بسببه عن موعد رجوعها المعتاد إلى المنزل، ومع أولى خطواتها داخله سمعت الأصوات تتعالى من الداخل وتبينت من بينهم صوت أخيها الأكبر، الذي أصبح مسؤولًا عن الأسرة بعد وفاة الوالد، وكانت القسوة والطبع الحاد من شيمه، كان متسلطًا ويحاول دائمًا الاستبداد برأيه، وذلك ما كان يجعله شديد الاصطدام ب"أصيلة لأنها كانت فتاة ذات شخصية قوية ورثتها عن أبيها، الذي رباها على عزة النفس والرأي المستقل، دخلت المنزل لتتبين ما يحدث بالداخل؛ ولتعرف سبب كل ذلك الضجيج والكلمات المبعثرة هنا وهناك.

- السلام عليكم.

ألقت التحية على الحاضرين، وكانت والدتها تجلس مستكينة بين باقي أخواتها، وأخوها الأكبر يقف متأهبًا للشجار معها:

- لماذا تأخرت عن موعدك؟؟؟

أجابته بكل هدوء حتى لا تمنحه فرصة للشجار معها:

- كانت هناك بعض المحاضرات التي فاتتني فذهبت إلى صديقة لي لأخذ نسخة من تلك المحاضرات.
- ألن نكتفي من قصة الجامعة تلك، يكفيك إلى هذا الحد دراسة، أنت لا تحتاجين إلى شهادة دراسية في النهاية مصيرك الزواج، فما حاجتك لكل ذلك.
- أنت تعلم أنى لن أتخلى عن دراستي مهما كانت الأسباب، ولن أسمح لك أن تمنعني من الدراسة.

قبل أن تتمم جملتها كان قد هوى على وجهها بصفعة أسقطتها أرضًا، وأسقطت معها بعض من كبريائها وعزة نفسها، التي لم تكن لتتخلى عنها أبدًا، حتى والدها لم يصفعها أو يهينها يومًا مهما كان السبب، كانت تعلم في قرارة نفسها إن كل ذلك الحقد الذي يملأ صدر أخيها منها ليس بسبب الدراسة، وإنما لأنه يرغب في تزويجها لابن عمها رغمًا عنها، ولأن ابن العم هو شريك الأخ في التجارة؛ فيطيب له ذلك النسب المربح حتى ولو كان هذا الربح على حساب حياة شقيقته وسعادتها.

لملمت كتبها المبعثرة ووقفت مرة أخرى ولكن تلك المرة أكثر صلابةً وتحديًا فقالت له:

- كل ذلك الذي تسعى إليه لن يكون، سوف أتمم دراستي وأكمل أحلامي ولن أتزوج إلا مِن مَنْ أرغب في الزواج منه، عدا ذلك لن يكون.

ذلك التحدي الذي رآه في عينيها زاده حقدًا عليها وقسوة، وعلم إنها طالما قالت ذلك إذن فهناك بالفعل شخص أخر في حياتها، وإن ظهر ذلك الشخص سوف توافق عليه باقي العائلة، وسوف يذهب إرثها من أبيها، والذي يطمع هو فيه بوضوح إلى ذلك الغريب، لا لن يسمح بذلك مهما كان الأمر، صرخ في وجهها ليعلمها بالقرارات النهائية التي لا رجعة فيها:

- إليك ما سوف يكون، إما أن تتزوجي ابن عمك أو أن تُحرمي من الزواج نهائيًا، لأني لن أسمح لرجل آخر بالزواج منك مهما يكون، وأنت تعلمين ما أستطيع فعله وسوف تذهبين من هنا ولا تعودي؛ لأني لن أستطيع أن أواجه الجميع بعدم قدرتي على فرض رأيي على شقيقتي، في حال اختيارك الاختيار الثاني فسوف تذهبين لقضاء باقي عمرك عند ابنة خالتك في أسوان وتنسين هنا تمامًا، حتى تلك الدراسة المزعومة تنسينها تمامًا؛ لأني لن أمنحك مصاريف الدراسة، وليس لدى لكِ إرث من أبيكِ، قلت ما لدى ولكِ الاختيار.

كانت "أصيلة" تعلم ما بقلب شقيقها من شر، وتعلم سطوته ونفوذه، الذي يجعله بالفعل قادرًا على تحقيق ما يقول، لذا كان اختيارها الثاني هو القرار.

اقترب موعد سفري لرؤية خليلة نفسي، كنت أنتظر مرور الأيام بفارغ الصبر حتى ألقاها، وكان قد مضى على آخر لقاء بيننا قرابة الشهرين؛ فأخذ الشوق من قلبي ما أخذ، وترك لي بقايا نبض أقتات عليه حتى يتجدد نبع السعادة بروحي بلقائها، خرجت من مكتب المحاسبة الذي كنت ما زلت مستمرًا في العمل به بجانب الدراسة، وفي تلك الليلة كنت قد تحصلت على مكافأة استثنائية نظير عمل قمت به بنجاح، كانت سعادتي بذلك المال كبيرة؛ لأني شعرت أنه رزق قد بعثه الله لي، لكي أشترى هدية قبل سفري لها. تلك

كانت أول هدية أشتريها لها، فتمنيت أن تليق بمقدارها بقلبي، الذي في حقيقة الأمر لا يقدر بمال.

أخذت أتجول في الطرقات وأنظر في واجهات المحال، وأبحث عن شيء انيق ورقيق فإذا بعيني تلتقطان ما أصبو إليه، فراشة ذهبية صغيرة منقوشة على سوار ذهبي رقيق، لم أفكر كثيرًا دخلت إلى المتجر وسألت البائع عن ثمن ذلك السوار، وأنا أدعو الله من صميم روحي أن يكفي ما معي من مال لسداد ثمنه، وبالفعل استجاب الله الرازق الوهاب لدعواتي فأتممت شراءه، وعدت إلى منزلي لأجهز نفسي للسفر في اليوم التالي.

كانت تلك الليلة طويلة على نفسي من فرط ما تمنيت أن تنقضي، وأبلغ صباحها لأذهب إليها وأقدم لها ما اشتريت، ورحت أتخيل ماذا أقول وكيف سيكون لقاؤنا، كطفل صغير يمرح بخياله ليبلغ عنان السماء، ويرافق نجومها، ويغفو على سطح إحدى سُحبها الصافية.

لملمت "أصيلة" ملابسها، ومن قبلها جمعت كتبها وكل مالها في منزل والدها، وقد اتخذت قرارها بالاختيار الثاني، الذي فرضه عليها شقيقها الظالم، كانت تلملم كل شيء دون أن يبدو عليها الآنكسار، كانت قوية عزيزة النفس دومًا رغم بكاء أمها بجانبها، وهي ترى ابنتها مجبرة على النفي خارج البيت والقلب، ضمت أمها بحنان وقالت:

- لا تحزني يا أمي الغالية، أنا اتخذت قراري بمحض إرادتي وسوف أعمل وأكسب قوتي بجهدي، وسوف أتمم دراستي، لن يكسرني ذلك النفي، ولن يهزمني ما تعرضت له من ظلم، ويومًا ما سوف تفخرين بابنتك القوية التي لم ولن تجرفها الأحزان.

كانت قد قررت السفر لأسوان عند ابنة خالتها، كما حدد الشقيق الذي ليس بشقيق بل حاكم ظالم والله لا يحب الظالمين، سوف تسافر بعد يومين من الآن حتى تكون تجهزت تمامًا للمرحلة القادمة من حياتها.

أدركت الصباح ووصلت إليها والتقينا في موعدنا المحدد، رأيت في عينيها شوق لم أراه في كل لقاءاتنا السابقة، ورأيت كلمات كثيرة تطوف بأفق تلك العينين كسحابة شتاء تأبى أن تُمطر، سألتها فلم تجب بل أنها أخذتني في حديث آخر فقالت:

- اليوم ملكي لذا سوف ننفذ برنامجًا أعددته في خيالي، فدعنا لا نتأخر فيه.

كانت تبتسم طوال اليوم وترسل من قلبها إلى قلبي إشارات كثيرة؛ يتلقاها الأخير بفرح رغم إنه يستطيع أن يحل شفرات بعض منها، ويبدو له البعض الآخر أكثر غموضًا، قضينا يومًا رائعًا حقًا، وفي المغيب ذهبنا إلى منطقة أثرية تدعى (تونا الجبل) أخذتني من يدي وقالت:

- اليوم بحسابي تتلألأ النجوم في السماء، وذلك يحدث في أيام محددة من الشهر العربي، أنا أعلمها وأراقبها جيدًا، وأرغب في أن نراها سويًا هذه الليلة.

ذهبت معها بالفعل وأنا لم أتخل عن إحساسي الغامض، الذي لم أعرف تفسيره إلا بعد تلك الليلة بلياٍل كثيرة.

- انظر ها هي تتلألأ في السماء.

نظرت بالفعل في الأفق البعيد فرأيت هذا السحر، الذي يتجلى في أروع مشهد من صنع الخالق المبدع، ولكن أين نحن؟ سألتها فأجابت:

- انظر هذه (أيزادورا) أقصد مقبرة (أيزادورا) هل تعرف من هي؟؟
- لا لم أقرأ عنها من قبل.
- إذن سوف أروى لك من تكون، كانت (أيزادورا) فتاة بارعة الجمال لم تتمم العشرين عامًا بعد، وكانت ابنه لأسرة إغريقية عريقة، تعيش في مصر في عصر من العصور القديمة، وكان والدها حاكم الإقليم الذي هو الآن مدينتنا الطيبة، وكانت تعيش في قصر والدها المطل على النيل.

تلك الفتاة الجميلة خرجت في ليلة من قصر والدها، وذهبت من خلال عبور النيل إلى الجهة الأخرى؛ لحضور أحد الاحتفالات الخاصة بـ"تحوتى" رمز الحكمة والقلم في مصر القديمة، وهنا كانت على موعد مع القدر لتلتقى بالضابط "حابى" ليقع كل منهما في غرام الآخر، ومنذ تلك الليلة كان لا يقوى على عشقهما شيء، كانت تذهب كل ليلة للقائه عند النهر، ويأتي هو للقائها عند قصر أبيها دون أن يراهما أحد، ربط بين قلبيهما عشق قوى، ولكن ذلك العشق كان خطرًا على كليهما، فكيف لابنة الأسرة العريقة والأب حاكم الإقليم أن تهوى رجلًا من العامة، حتى وإن كان ضابطًا، فذلك لا يلغى حقيقة الفوارق، التي تفصل بينهما، تلك الفوارق ذاتها التي لم تكن تعنى شيئًا لروحيهما اللتين تحلقان في سماء العشق الجامح، مضت الليالي والأيام بذلك الحب حتى تخطت الثلاثة أعوام، حينها علم والدها بذلك؛ فأمر الحراس بمراقبتها وبدأ بتضييق الخناق عليها؛ حتى لا تراه مرة أخرى، وتقطع كل علاقة لها به. وحين أدركت (أيزادورا) ذلك قررت ألا حياة دون حبيبها، وبالفعل لم تكن تعنى لها الحياة شيئًا دون (حابى)، فقررت الآنتحار ولكن بعد

لقاء أخير بحبيبها؛ ليكون أخر ما تراه في حياتها، وتودع دنياها بسلام، وقد كان.

فغافلت الحراس وذهبت إلى الجانب الآخر من النهر للقائه، ثم أثناء عودتها في نصف النهر ألقت نفسها لتنهى حياتها، التي لم تكن ترغب إلا في أن تحياها بجوار من تحب، علم والدها بما أصاب ابنته، وكان أثر ذلك في نفسه كبيرًا؛ فشعر بالندم لما فعله بابنته فبنى لها تلك المقبرة تخليدًا لذكراها عبر العصور والأزمان، أما عن حال نصف روحها الذي تركته في الحياة وحيدًا (حابى)، فقد كان وفيًا لحبيبته، وكان يذهب كل ليلة إلى مقبرتها، ويضئ شمعة حتى لا تشعر رفيقة قلبه بأنها وحيدة.

أنهت "أصيلة" حكاية "أيزادورا" ثم انهمر الدمع من عينيها دون توقف، كسيل مطر جارف لا يستطيع أن يوقفه سد، ظننت أنها تأثرت بما روته لي فأخذت أهدئها وأمازحها حتى تكف عن الدمع، الذي كان يمزق نياط قلبي، ثم تذكرت الهدية فأخرجتها من جيب سترتى وقدمتها لها فقالت:

- ما هذا؟
- هدية بسيطة لتبقى معكِ دومًا حين أغيب عنكِ، فلا تشعري أنكِ وحيدة أبدًا.

قلت تلك الكلمات وأنا أخرج السوار من علبته، واضعة في معصمها المتصل بالقلب، واستطردت كلماتي:

- دعي تلك الفراشة التي تشبهك كثيرًا في معصمك، ولا تتخل عنها أبدًا، وكلما اشتقت لوجودنا معًا انظري إليها، واعلمي أنى معك أينما كنت وأنكِ بقلبي أينما كنتِ.

كانت تلك المرة الأولى والآخيرة التي تعانقني فيها، وكان عناقًا نقيًا شفافًا بين روحين لم يتمنيا من الدنيا سوى أن يكملا العمر برفقة بعضهما البعض، كانت تعانقني ببراءة طفلة تتمسك بأطراف الحياة بكلتا يديها الصغيرتين، أما أنا فلم أتمم أحكام يداي بالعناق لا أنى كنت أخشى عليها حتى من نفسي، فأحطها بساعدي وهما متشابكين في الهواء من حولها، فصنعت إطارًا من الأمان وهي بداخله نبض حياة، أنقضى ذلك المساء وقبل أن يتأخر الوقت ذهب كل منا في طريقه على أملٍ بلقاءٍ لم يحدث أبدًا ولم تمنحنا الأقدار إياه.

أتمت جمع كل ما يخصها في تلك الأرض الطيبة، التي لولا أنها تخرج منها غصبًا ما كانت فارقتها حتى الموت، ولكن أبت الأقدار أن تمنحها ذلك. لم تذرف الدمع ولم تجزع مما قُدر لها، بل أنها بقيت على صمودها وعزة نفسها، التي هي جزء من أصالتها كاسمها، ودعت والدتها وأخواتها وكل أصدقائها، حتى أنها ودعت نسائم الهواء وبتلات ورود حديقة منزلهم الصغيرة، وتحدثت إلى طيورها على الأغصان وطالبت الجميع بألا يكونوا لفراقها محزونين، هي مازالت تحيا حتى يقدر الله لها الممات. لن تنحني ولن تنكسر مهما كان ذلك القدر على كاهليها عظيم؛ فستحمله وتتحمله مهما تطلب منها الأمر.

وضعت الكلمات على ورقة بيضاء نقية كذلك العشق الذي يغمر فؤادها، ثم طوت الورقة ووضعتها داخل المظروف، وأحكمت إغلاقه حتى يفتحه صاحبه ويقرأ ما كتبت بنبض قلبها، ثم همت بالرحيل إلى منفاها وحياتها الجديدة، التي لا تعلم ما تحمله لها بعد، رغم أن المرأة غالبًا ما تكون الطرف الأضعف في علاقة الحب، إلا أنها كثيرًا ما تكون صاحبة القرار الأعظم، تستطيع أن تحمى من تحب بل وتحمى قصة الحب ذاتها ممن يريد أن يبطش بها بكل قسوة دون رحمة.

بفارغ الصبر أتممت أخر اختباراتي في السنة النهائية بالدراسة، وكنت قد عقدت العزم على أن أسافر إليها في الأسبوع التالي؛ لنحدد موعدًا لزيارة الأهل والتقدم لخطبتها رسميًا بمجرد ظهور النتيجة وحصولي على الشهادة الدراسية، وحيث أنني بالفعل كنت أعمل بمكتب المحاسبة فإن لدى عمل ثابت أستطيع أن أعتمد عليه في خطوات ارتباطي بها. عدت إلى منزلي وأنا أمني نفسي بالأحلام، التي رحت أرسمها في مخيلتي عن تفاصيل الزيارة الأولى، ماذا أرتدى وماذا أشترى أثناء ذهابي، وماذا عساه أن يكون رد فعلهم تجاهي، وماذا حتى فاضت الأفكار والأماني من عقلي وقلبي، وشعرت أنها تحيط بي من كل اتجاه. ناداني حارس بنايتنا وأخبرني أن هناك خطاب قد وصلني أمس، ونسي هو أن يعطيني إياه، فأخذته من يديه وشكرته، وأنا أفكر من الذي يبعث لي بخطاب؟؟ ثم نظرت فإذا ببيانات المرسل تجيبني على سؤالي، الذي لم تمض عليه ثوان معدودة من الزمان، لم أصعد إلى منزلي بل عدت إلى الطريق مرة أخرى والمظروف في يدى لم أفتحه بعد، كنت أشعر في قرارة نفسي أن هناك شيئًا سوف يحرق روحي، ولكنى لم أتبين ما يعنيه هذا الشعور الغامض، لابد أن أواجه مخاوفي وأقرأ ما بداخله .. بما أن هذه هي المرة الأولى التي ترسل لي فيها خطابًا إذن فهناك أمر جلل ترغب في إطلاعي عليه، فتحت المظروف وقرأت كل شيء..

كانت حبيبتي ذات الأصل والعشق المبين قد روت لي كل ما كان منذ البداية ونهاية بقرارها، الذي هو الآن حقيقة تامة النفاذ، ثم ختمت كلماتها فكتبت ما يلى:

"هل تذكر يا نعيم فؤادي قصة (أيزادورا) التي رويتها لك في لقائنا الأخير؟ تلك العاشقة التي اختارت الموت وفضلته على أن تحيا دون من أحبت، كنت أرويها لك حينها وقد علمت أن قدري يشبهها كثيرًا، ولكن مع الفارق بأنني لن أنهى حياتي معاذ الله، بل على العكس سوف أحيا كل يوم وأنا أحمد الخالق ـ عز وجل ـ الذي وهبني عشقك، حتى وإن كان ذلك الفرح الذي قضيته

بجوار قلبك أيامًا قليلةً، نستطيع أن نحصيها في تقويم دنيانا الفانية، سوف أحيا في بقعة ما من ذلك الكون الفسيح وأكتفي بأن أتشارك معك سماء واحدة، يستظل بها كلانا، وأكتفي أيضًا بقلبي الذي يستشعر نبض قلبك في كل صباح ومساء، وما بينهما من حياة، ولك أن تعلم يا خليل نفسي أنى سوف أحيا في محراب هواك بتولًا عاشقةً، وأشهد الله أنى بهذا القدر لذات حظ عظيم، لن يمس قلبي عشق دون عشقك، ولن أُكتب على ذمة قلب رجل سواك، أُشهد الله على أنى قد أسكنتك جوارحي، وأنك الباقي بقلبي حتى يحين لي الرحيل من ذلك العالم، الذي لم يقدر لنا فيه لقاء، وحين تتحرر روحي من ذلك الجسد المرغم على فراقك سوف أرسلها لتبقى بجوارك أينما ذهبت، وسوف أرسل معها ورود ورياحين تبعثرها من حولك، وتفترش بها طريقك في كل وقت وحين، لا تبحث عنى سوف أختبئ في ظلك وحدك تراني بروحك وأبقى مستكينة بحنايا نبض قلبك، ربما يومًا ما سوف تحظى أنت بزوجة وأبناء كما أتمنى لك من صميم قلبي؛ لأنك تستحق حياة طيبة تشبه ما بقلبك من نقاء، لكنى سأبقى على عهودنا لن أنقض ميثاقها أبدًا، سأظل مدينة لك بأني قد أبصرت طريق العشق بعينيك، وأعدك أنك سوف تظل أول الرافدين إلى قلبي وآخر الساكنين بقصور العشق بروحي".

أتممت قراءة كلماتها ثم عدت القراءة مرة بعد مرة، حتى نقشت تلك الحروف على جدران قلبي وبهمسات روحي، وبت أحيا بكل ما كان بيننا من ذكريات، كنت أفعل كل ما كانت تحب فعله، أصبحت أعشق القراءة بل أنى أتنفس عطرها بين سطور الروايات والأشعار، وفي ليلة كان يخاصمني فيها النوم كحال ليالِ العمر كلها، جلست وأنا أستعيد بقلبي كل ما كان، فإذا بأناملي تنقش على الأوراق كلمات وكلمات، وفي صباح تلك الليلة استيقظت لأجد نفسى وقد غفوت، وفي يدى القلم وبجانبي باقة لا بأس بها من الأوراق العامرة بأبيات من الشعر، هنا فقط بدأت رحلتي مع دواويني التي بين أيديكم الآن.

وجدت في الشعر علاجًا لنفسي الملتاعة بعشق لن ينتهي من فؤادي ما حييت؛ فأردت أن أجعله باقيًا حتى بعد مماتي. أسسنا أنا ورفيق عمري "حسن" دارًا صغيرةً للنشر، وبدأنا العمل حتى أصبحت كما ترونها أنتم الآن بفضل الله، وكل عام يصدر لي ديوان وأدعو الله ألا ينضب نهر الحنين بقلبي، الذي من أمواجه تُبعث أشعاري.. ولكي أرد علي السؤال الذي في الأصل أجيبكم عليه: التاريخ الثابت لإصدار ديواني كل عام هو تاريخ أخر لقاء بيننا، ولأني أعلم أنها في بقعة ما من بقاع الأرض تقرأ ما أكتب؛ فرغبت في أن أعلمها أني ما زلت أذكر اللقاء الأخير، بل أنني أخلد ذكراه كل عام بإصدار ديوان مرفق بإهداء لا يتغير أيضًا لها وحدها؛ لتدرك أنني أيضًا أحفظ عهود هوانا، ولا أنقض ميثاقها أبدًا، ولم ولن أتخذ لنفسي زوجة دونها من نساء العالمين، حتى وإن لم يكتب لنا لقاء، فأتمنى من الله أن يرزقني إياها في رضوانه إن قُدر لي وكنت من أهل النعيم، فأدعو الله أن تكون هي لي حور عين.

أنهى "أكمل" كلماته وسط هالة من السكون كانت تحيط الحاضرين، الذين كان بعضهم يوارى قطرات الدمع التي تغالب الأجفان لتفصح عن مكنون قلوب قد تأثرت بما سمعت من قصة عشق تكاد تعصف بالروح وتجدد الحنين في القلوب، التي عاندتها الأقدار كما حدث مع "أكمل" و"أصيلة".

مضت لحظات التأثر والكل في سكون مهيب، حتى كسرت "منى" حاجز السكون، حين وقفت تصفق في احترام لذلك الرجل الذي لطالما كانت تضمر له في جوف صدرها عشقًا ونبض حنين، والآن تراه وكأنها تراه لأول مرة، ولكن في صورة أجمل وأكثر صدقًا وعذوبة، كنهر ينبض بالحياة، والآن باتت تعلم أن بقلبه عشقًا لن يبدله بأخر مهما كان، فتمنت لنفسها صفة تشبه ما بقلبه فربما تهديها الأقدار يومًا ما تمنت. وقفت تصفق بحرارة وتبعها الحاضرون فعجت القاعة بتصفيق حاد، حتى وقف" أكمل" ليحييهم وينتهي ذلك الحفل، الذي بالفعل كان يليق بتوثيق ربع قرن من العشق والحنين.

هناك على ضفاف نهر النيل وبرفقة خيوط شمس المغيب الساحرة، كانت هناك فراشة ذهبية تتلألأ في أنوارها وتزيد معصمها الأيسر جمالًا، وكلما توهجت أيقظت نبض القلب، الذي لم يكن غافيًا من الأساس، كان بيد "أصيلة" اليمنى ديوان "أكمل" الخامس والعشرين، فتحت أولى أوراقه وراحت تربت بأطراف أناملها على الإهداء الذي كانت تعلم يقينًا أنه قد كُتب لها خصيصًا، وأخذت تقرأه همسًا:

إلى شريان قلبي المنفصل عن وريدي

إلى نفسي التي لا اكتمال للحياة بدونها

إلى فراشة تحلق أجنحتها في أفق بعيد

إليك أتنفس وبكِ أحيا ومن أجل عينيكِ أكتب

كانت هناك دائمًا نسخة خاصة ب "أكمل" يأخذها في أخر حفل التوقيع، ويحتفظ بها في مكتبته، مد يديه ليأخذها فنظر في الورقة الأخيرة، وهو يربت بأطراف أنامله على أخر سطر فيها، الذي يحتوي على كلمات قليلة إحداهما لها وقع عظيم بقلبه:

"دار أصيلة للنشر والتوزيع".

(حين يتمسك نبض القلب بما يحتويه من عشق لا يُميته الفراق وإن كان عظيمًا).

قصاصة ورق

اهتزت القاعة من دوي ذلك التصفيق الحاد، الذي ترافق مع كلمات المديح التي أطلقها الجمهور مع أخر نغمة أطربت آذانهم بسحر أناملة العازفة على العود الشرقي، وقف بكل تواضع ليحي جمهوره هو وعوده الشرقي الأصيل، الذي احترف العزف عليه منذ عدة أعوام مضت، حتى أصبح له حفلات خاصة يحرص الكثيرون على حضورها، بل إن هناك من ينتظرون موعدها قبل حتى أن يتم الإعلان عنها، وطرح تذاكر الحضور للشراء، خاصة إن كان هناك لحن جديد، وكان حريصًا على أن يقدم لحنًا جديدًا كل فترة بجانب ألحانه المعتادة.

بمجرد الإعلان عن حفل جديد للعازف "رؤوف عادل" يتهافت محبى الفن والأصالة على حضوره، كان العود رفيقه حتى في تلك الوحدة التي كان يحيا فيها منذ عدد من السنوات، لابأس بها حتى إنه اعتاد على أن يكون وحيدًا، ينتهى الحفل ويذهب الجميع إلى حيث ينتمى، ويبقى هو في تلك الوحدة مع ما تبقى له من نغمات.

حين يعتاد المرء على الحياة دون خليل يرافق أيام عمره، يصبح كغصن جاف معلق بجذور شجرة الحياة الراسخة في الأرض، ينتظر يوم أن يسقط فلا يشعر به أحد سوى بعض الطيور، التي ربما تذكر إنها يومًا ما، كان لها حياة بين ثناياه، ثم انطلقت لتحلق بحرية في سماء الرحمن وبقي هو حبيس الزمان.

ذلك الحفل كان ناجحًا بكل ما تعنيه الكلمة من معن، تفاعل الجمهور مع كل ألحانه القديمة، وانتظروا في نهاية الحفل أن يختمه باللحن الجديد، ولكن ذلك لم يحدث، هدأ التصفيق وأعلن منظم الحفل عن أن الآتي هو اللحن الجديد، ساد الهدوء بضع لحظات قليلة لم تلامس فيها أنامله أوتار العود، ثم عزف

لحنًا ولكنه لم يكن جديدًا وحين فرغ من العزف وقف بشجاعة ليخاطب جمهوره، وقد كان موعد الحفل بالفعل قد انتهى، فقال:

- أعلم أن جميعكم تنتظرون منى كل جديد، ولكن عذرًا اليوم لم أتِ بجديد لكم، لا أعلم حقًا ماذا حدث، ولكنى لم أستطع أن أصيغ ما يليق بمسامعكم وبثقتكم فيما أقدم، ربما نضب نهر إبداعي أو ربما شيء ما بنفسي يحول بيني وبين استكمال مشواري الفني، لذا أنا أقف بينكم الآن بكل وضوح لأعلن أنى ذاهب أنا وعودي، ولا أعلم متى أعود، ولكن أعدكم أنى لن أعود إلا حين أستطيع أن أقدم ما يليق بكم، جزيل الشكر لتشجيعكم وتقديركم لي، ولولاكم ما كان هناك عازف يدعى "رؤوف ".

أنهى كلماته وسط هالة من الذهول من قِبل الجميع: الجمهور والقائمين على تنظيم الحفل وحتى العاملين في المسرح، والذين كانوا يحبونه حقًا لحسن معاملته معهم وطيب خلقه.

هل يُعقل أن يعتزل في قمة نجاحه الفني، ماذا حدث، كانت تلك الهمهمات والتساؤلات تتردد وهو يستمع إليها، وهو يهم بالرحيل وترك المسرح، أما في داخل غرفة الإدارة كان هناك حديث أخر يُدار.

- هل أصابه جنون ما أو حتى غرور ليفعل ذلك؟؟ هل نسي أنه ملتزم بعقد معنا وذلك العقد يلزمه بالعمل أو دفع الشرط الجزائي، كيف يقدم على ذلك دون حتى أن يُعلمنا به.

كانت تلك كلمات مدير المسرح يتحدث بها لكبير منظمي الحفلات الخاصة بالمكان، وأثناء ذلك الحديث طرق "رؤوف" الباب حتى يأذن له بالدخول، وما أن خطى بقدميه داخلاً غرفة المدير حتى انهال الأخير عليه بالكلمات القاسية والتهديد والوعيد له جزاء ما فعل؛ فتلقى كل ذلك اللوم والغضب

بهدوء شديد، وانتظر حتى أنهى المدير كلماته ثم تحدث إليه ليشرح له تصرفه:

- أستاذ "كامل" لم يكن مقصدي أن أضر بالعمل أو بسمعة المسرح، الذي لن أنسي أبدًا أنه كان وسيلة وصولي للجمهور، ولكن بالفعل أنا لم أعد قادرًا على العزف، شيءٌ ما أصاب وجداني فتركني عاجزًا عن الإبداع، جفاف قد لحق بروحي فلم تعد قادرة على طرح ورود السعادة، فكيف تطالبني الآن بأن أقدم أريج طيب لك من ينتظره مني، أنا مستعد لدفع كل ما ينصه العقد على من جزاء، وأتمنى ألا تغضب مني فلطالما توسمت فيك أخ كبير، وصديق له قدر وشأن خاص بنفسي.

كلماته تلك هدأت من روع وغضب "كامل" وشعر بالفعل أنه قد قسى عليه بكلماته فأكمل الحديث:

_ "رؤوف" أنت تعلم جيدًا أنى أحبك مثل أخي الصغير، وحين رأيتك تضر موهبتك وتغلق أبواب الشهرة التي بالكاد بدأت تتفتح أمام إبداعك لم أتمالك حالي، ولذلك غضبت كل ذلك الغضب، لا تحزن مما قلت لك، ولكن لن أسمح لك بفسخ العقد مع المسرح، لك ما شئت من إجازة لأني أعلم أنك عائد لفنك حتى وإن طال غيابك.

نظر إليه "رؤوف" وهو يشعر بصدق ذلك الحنو الذي رآه في عينيه، بل أنه شعر في تلك اللحظة أن من يحدثه بالفعل هو والده، شكره وذهب هو وعوده إلى حيث تكتب لهم الأقدار من مصير.

استقل سيارته وتجول في الطرقات بعض الوقت وهو خالي الذهن تمامًا، لم يكن يشغل تفكيره شيء، حتى ذلك النضوب الذي أصاب فنه لم يكن يفكر في حل له، أحيانًا يصيب العقل والقلب شيء من الاستكانة، وكأن الحياة توقفت

عند نقطة محددة في انتظار استعادة النبض مرة أخرى، وهذه هي الحالة التي كان يشعر بها بالفعل، في نهاية المطاف لابد أن يعود إلى منزله لأن اليوم كان مرهقًا بالفعل، وكان في أشد الاحتياج للنوم والراحة، فتح باب المنزل وأضاء الأنوار ليبدد ظلام ذلك السكون الذي أصبح يسبب له الاختناق والضيق.

جلس على أقرب مقعد وأراح رأسه على مسنده، وكاد بالفعل أن يغفو لولا إيقاظه علي صوت الاتصال المرئي عبر الأنترنت، كانت عائلته تتصل به من أمريكا ومع فرق التوقيت كان عندهم الآن الصباح، و يومه كان قد أوشك ليلة على أن ينتصف، فتح الاتصال فإذا بالجميع قد اجتمعوا وأعدو له احتفالًا بسيطًا بعيد مولده.. كان بالفعل قد نسى أنه اليوم يتمم عامه الخامس والثلاثين... كل شيء فرغ من عقله حتى التواريخ وتقويم العمر، الذي يزداد الآن عامًا جديدًا، الأب والأم وشقيقاه الاثنين وزوجاتهما وأبنائهما، الجميع اجتمع ليهنئه بعيد مولده.

منذ أن هاجر الوالد للعمل بالخارج ثم عاد وأصطحب أسرته بالكامل معه، وهم يعيشون هنا في تلك التي يطلق عليها البعض مدينة الأحلام... كبر الأبناء ودرسوا وعملوا وتزوجوا هناك، حتى أصبحت بالفعل حياتهم هناك، وليس على أرض الوطن، أما "رؤوف" فقد كان طير من تلك الطيور المهاجرة، فما أن أتم دراسته حتى أصر على العودة إلى أرض الوطن، وآثر العيش وحيدًا على أن يعيش في كنف أسرته، ولكن مغتربًا عن أرضة الطيبة، ومن ثم احترف العزف على العود، حتى تلك الليلة التي ما كان يذكر فيها عيد مولده حتى ذكروه هم بها.

حاول قدر المستطاع التظاهر بالابتسام والسعادة الزائفة طوال تلك الدقائق المعدودة، التي استمرت فيها المكالمة ثم انطفأ وميض الشاشة، وأغمض

عينيه ليغفو مكان جلوسه حتى صباح اليوم التالي، لعل الشمس تجلب في خيوطها الذهبية بصيص من الأمل في العثور على شيء يعيد إلى قلبه الحياة.

لم يكن كثير الصداقات، وقته محدود بين بروفات العزف والحفلات، وقليل من الدراسة لتطوير موهبته، أما الآن فأصبح الوقت متسعًا للسكون والراحة.

بقي في المنزل أيامًا كثيرة دون أن يخرج، أو حتى يفتح الباب مرة واحدة، لم يلاحظ أحد غيابه فقد أعتاد الجميع على أن شقته هادئة فلا صوت لأبناء أو زوجة، وليس له أيضًا أصدقاء يتوافدون على زيارته. لم يكن "رؤوف" يدرك كل ذلك حتى حدث ذلك الهدوء القاتل الذي أنبئه بأنه بالفعل وحيد جدًا. كان مستغرقًا في كل تلك الأفكار التي تبدو في ظاهرها حزينة وفي باطنها استعادة لكل أحداث حياته، وربما بعدها تصحيح للمسار، رن جرس الباب بعد ثلاثة أيام لم يستمع فيها إلى صوت ولا حتى اتصال الأهل؛ لأنهم اعتادوا على الاتصال في عطلة الأسبوع لانشغال كل منهم بعمله، وربما طابع الحياة الأجنبي قد طغى عليهم بالفعل؛ فأصبحوا وكأنهم ينتمون إلى هناك وليس إلى الوطن.

قام متكاسلا ليفتح الباب وهو يحدث حاله بأن لابد من أن الطارق قد أخطأ في العنوان، فهو ليس لديه من يزوره رغم كل تلك الشهرة والناس، الذين كانوا يحيطون به من كل اتجاه والآن أنفضوا من حوله.

_ أستاذ "رؤوف" أرجو ألا أكون قد تسببت لك في إزعاج، فقط أردت أن أطمئن أنك بخير، رأيتك يوم عودتك ليلًا منذ ثلاث أيام مضت، ولم تخرج منذ ذلك الحين، فقد أخبرني حارس بنايتنا بذلك فأردت أن أطمئن عليك.

ظل "رؤوف" واقفًا دون أن يرد على حديث ضيفه والذي استطرد يقول وهو يمد إليه يده ليصافحه:

- أنا جارك "أحمد" أسكن في الشقة المقابلة لك، ولكننا لم نتعرف من قبل نظرًا لانشغالك وضيق وقتك.

هنا أدرك "رؤوف" أنه لأبد أن يستقبل ضيفه ويتخلى عن تلك الدهشة التي لم تكن في محلها أبدًا.

- أهلا بك أستاذ "أحمد" تفضل بالدخول، شكرًا على سؤالك الكريم.

لم يعتاد على أن يستقبل ضيوف، لذا لم يكن يعلم كيف يضيف زائره، ولما كان "أحمد" شخصية ودودة فعلم بفطنته ذلك فقال:

- لا بأس لا أرغب في شراب شيء، فقط أجلس ودعنا نتعرف ونتحادث، لن أخفيك سرًا فقد قرأت في إحدى المواقع الإلكترونية خبر توقفك عن العزف، الذي يبدو وكأنه اعتزال مبكر، فإذا سمحت لي أن أسألك لماذا هذا القرار؟؟

صمت "رؤوف" بعض الوقت ثم شعر أن الله أرسل له ذلك الصديق، الذي لم يكن في الحسبان رحمةً منه ليجد من يكسر ذلك الصمت، الذي كاد يحرمه أنفاس الحياة.

- فجأة لم يعد لدى نغمات جديدة أقدمها، أشعر وكأن نهر جف بغتة بروحي ولم تجدده أمطار.

واسترسل يروى ل"أحمد" كل ما يشعر به، وتعارفا وتصادقا بشكل طيب، ثم همَّ الأخير بالاستئذان والعودة إلى شقته، ولكن قبل أن يفعل ذلك قال:

- بعد ما سمعته منك أوكد لك أن قرارك سليم، ولكن لابد ألا تستسلم لذلك النضوب الذي أصاب قلبك، إن لم تمطر السماء هنا فعليك أن

تبحث عن أرض جديدة، ربما تمنحك سماؤها عذب السيل؛ فتضئ بنفسك نور خافت كاد أن ينطفئ.

كان لكلماته أثر طيب في نفس"رؤوف" الذي حفظها بعقله، وأخذ يرددها مرة بعد الأخرى، ثم رافق ضيفه إلى الباب وانتظر حتى فتح باب شقته، فإذا بابنته الصغيرة ذات الثلاثة أعوام تجرى عليه وتحتضنه، حملها وهو يبتسم ابتسامة أبوة حانية، ثم لوح ل"رؤوف" بالسلام وأغلق كل منهما بابه، جلس يفكر فيما سمع من جاره وما رأي من نبض حياة، وخاصة ذلك الإحساس الذي رآه جليًا، وكأنه كان ينساه تمامًا: الأسرة والأبوة، لم يحسد صديقه الجديد على حياته، بل تمنى لنفسه حياة أيضًا، ربما عليه بالفعل أن يبحث عن أرض جديدة، ولكن أين ؟؟؟

استقل سيارته وراح يتجول في الطرقات، هو حقًا لا يعلم أين يذهب وعما يبحث تحديدًا، ظل على تلك الحال أكثر من ساعتين، يتجول دون أن يصل إلى شيء، حتى قرر العودة إلى المنزل، وفي طريق العودة كان أحد موزعي الإعلانات في الطرقات يلقى بورقة الإعلان داخل كل سيارة؛ فإذا بإحدى تلك الأوراق تسكن بين يديه، نظر إليها بشيء من الملل ثم مزقها نصفين وألقاها بجواره وأكمل طريقه، حتى وصل إلى المنزل، كان بالفعل لا يرغب في الصعود إلى شقته والعودة إلى ذلك السكون، الذي بات يغلف ليالي عمره وصباحه.

لملم أكياس المشتريات التي لم يكن حتى يركز في اختيارها، فقط ذهب إلى أقرب متجر واشترى ما يكفيه عدة أيام، ربما يعود إلى تلك الحالة من السكون مرة ثانية.

ترك كل شيء من يديه على أقرب مقعد، وخلد إلى النوم وفي صباح اليوم التالي قام بإفراغ محتويات الأكياس؛ ليبحث من القهوة ليعد فنجان الصباح،

فإذا بتلك الورقة التي مزقها البارحة بين يديه، إحدى قصاصاتها الآن بين يديه. كان جزء كبير منها ممزقًا، ولكن استطاع أن يتبين بعض الكلمات، كان إعلان رحلات سياحية داخل مصر، يذكر إن كل أسفاره السابقة كانت للخارج دائمًا، ولم يفكر يومًا في السفر داخل حدود وطنه.

أماكن كثيرة ذُكرت في الإعلان، ولكن لفت أنتباهه اسم يبدو له كأن لم يسمعه من قبل، ربما هي تلك البقعة التي ترشده إليها روحه.

(قرية وادي فيران) قرية صغيرة تابعة لمحافظة جنوب سيناء، كان مذكور في قصاصة الورق تلك أن الشركة تقوم بإعداد كافة الرحلات لزيارة المحافظة بالكامل وفق برنامج محدد للرحلة، ولكنه لم يرغب في ذلك فقرر أن يذهب حرًا دون التقيد بتنظيم ولا برنامج، يذهب بسيارته ويتبع ما ينبئه به قلبه من طريق عساه يجد ما يتمنى إيجاده.

لم يكن صافي الذهن تمامًا؛ لذا لم يقم بالتجهيزات اللازمة للسفر، فقط استقل سيارته وأخذ بعضًا من الملابس لا يعلم حتى إن كانت تتماشى مع المناخ أم لا.

مناخ وطقس ذلك المكان الذاهب إليه، ومناخ قلبه الذي كان يشبه ما بالأيام من خريف، بالكاد أوصلته السيارة إلى القرية حسب ما ارشدته الاتجاهات في هاتفه المحمول، الذي كان يتبع خريطة توضح كيف يصل إلى المكان عبر شبكة الآنترنت، التي كانت كلما اقتربت من المكان بدأت بالضعف حتى تلاشت تمامًا، لوهلة خُيل له أن ذلك القرار لم يكن صائبًا.

ذهب إلى مكان بعيد وحيدًا وكأن تلك الوحدة مقدر أن تكون رفيقته؛ يصحبها معه أينما ذهب، كان الليل بالفعل قد حل، وبدأ وقود السيارة ينفذ وطاقته أيضًا بدأت بدورها في النفاذ، لحسن الحظ لمح ضوء من بعيد يبدو وكأنه متجر مفتوح، فسار بالسيارة صوب الضوء، وكلما أقترب أكثر اتضح المكان أكثر،

كان ذلك ضوء محطة وقود صغيرة مرفق بها متجر بسيط، حمد الله كثيرًا لأنه بحاجة لتزويد السيارة بالوقود، وأيضًا قام بالسؤال عن مكان للإقامة فيه. ترجل من السيارة ودخل المتجر، كان خاليًا من الزبائن رغم أن الوقت لم يتجاوز التاسعة مساءً بعد، ولكن يبدو أن محطة الوقود تلك تخدم الوافدين أكثر من سكان القرية، خاصةً وأنها مقامة في أطراف القرية، وإن كانت خارجها إن صح التعبير.

بحث عن أحد ليتحدث معه فوجد العامل يقوم بترتيب بعض الأغراض، ولكن كان ملتفتًا فلم يرَ "رؤوف" أثناء دخوله فنادى الأخير عليه:

- إذا سمحت، أرغب في تزويد السيارة بالوقود.

لم يعيره العامل أي انتباه فكان مازال ملتفتًا لم ينظر إليه، فحدث نفسه هامسًا:"ربما لم يسمعني" نظر فوجد جرسًا صغيرًا على المنضدة؛ فقام باستخدامه ورغم أنه أصدر صوتًا واضحًا يشق سكون الليل إلا أن العامل ظل ملتفتًا على حاله، وهنا ثارت ثورته، فقد كان الإرهاق قد قضى على ما تبقى لديه من طاقة وهدوء فتحدث بلهجة غاضبة:

- كيف تعاملون زبائنكم بتلك الطريقة المهينة، أنا أتحدث إليك منذ دقائق وأنت لا تجيبني.

وأثناء عصبيته وغضبه ودون قصد منه؛ ضغط بيده على المنضدة، التي كانت مصنوعة من الزجاج فتهشم بعضًا منه؛ وأصابه بجرح في يده، التفت العامل بعد أن أتم ما كان يفعله؛ ليتفاجأ بذلك المشهد المفزع، زبون يقف بجانب زجاج مكسور ويده مجروحة تقطر منها الدماء، فما كان منه إلا أن ذهب مسرعًا إلى الداخل؛ وعاد ببعض أدوات الإسعاف للجرح وكرسي صغير ليجلسه عليه.

جلس "رؤوف" دون أن يتحدث، وترك العامل يضمد الجرح وسط صمت من كليهما، فلا أحد ينطق بحرف واحد حتى، كان مظهر العامل عجيبًا بعض الشيء، يرتدى قميصًا وبنطالًا من الجينز، وقبعة من نفس الخامة تكاد ملامحه تكون غير ظاهرة، مع جسد نحيل ورشاقة في الحركة، كان بعض الدوار يصيب رأس"رؤوف" من الإرهاق والعصبية، وقيادة السيارة لمسافة طويلة والتفكير، وأشياء كثيرة ما عادت نفسه تتحملها، دقائق معدودة وبدأ الدوار يقل وتتضح الرؤية أمام عينيه، نظر إلى تلك اليدين التي تضمد جراحه، ثم سرعان ما رفع ضامد الجراح رأسه فإذا بملامح ملائكية تشرق في أفق روحه، ذلك العامل الذي كان يصرخ في وجهه منذ دقائق معدودة في حقيقة الأمر امرأة صافية الجمال، أصابته تلك المفاجأة ببعض من الصدمة والخجل من تصرفه السابق، فقابلت هي تلك الصدمة بابتسامة طيبة مفادها التسامح فلا تحمل بقلبها له أي ضغينة مما فعل، تلك الابتسامة بعثت بقلبه شيئًا من الطمأنينة، ولكن يبدو أن تلك الليلة مازالت تحمل ل"رؤوف" المزيد من المفاجآت، وذلك ما سوف يعلمه بعد دقائق معدودة...

وقفت تلوح له من نافذة شقتها التي تتوسط البناية الضخمة بقلب القاهرة العامرة بالنبض والحياة، كان يضع صناديق المشتريات التي قام بتجهيزها بمساعدتها في السيارة ليهُم بالرحيل، التفتت لتنظر بجانبها فإذا بصندوق وبعض الأكياس الصغيرة قد نسى أن يحملها؛ فنادت عليه مسرعةً قبل أن يرحل.

- "عادل"، "عادل" لقد نسيت بعض الأغراض، أنتظر سوف أجلبها إليك.

حملت "هدى " الأغراض وذهبت لأخيها لتعطيه إياها، كانت تشتاق إليه كثيرًا، وتنتظر زيارته بفارغ الصبر، لم يكن لديهم أشقاء أخرون، كانت هي وهو فقط؛ لذا كانت رابطة الأخوة بينهما تمتزج بمعاني الصداقة والود أكثر منها مجرد علاقة أشقاء، حتى بعد أن تزوجت وصارت لها حياة منفصلة وأولاد، كانت دومًا تشتاق إليه، وترى في تجمعهما حنان الأب والأم الذين ذهبا من الدنيا وتركاها أمانة في عنق شقيها، الذي كان بالفعل خير من يحفظ الأمانة، حتى صار لها أبًا وأمًا وأسرةً كاملةً إلى أن سلمها ليد وقلب زوج طيب، تحيا في كنفه حياة هادئة مستقرة، حين يأتي لزيارتها كل فترة أحيانًا تقترب من الشهر، تتمنى لو أن يمكث معها ويعود للحياة بالقاهرة مرة أخرى هو وابنته، ولكن تعلم أن ذلك أصبح حلمًا صعب التحقيق وإن كان غير مستحيلٍ، ربما في يوم ما يكون واقعًا.

كانت تلك الأفكار تدور بمخيلتها، وهي تنزل الدرج لتلاقى شقيقها، الذي كان ينتظرها بالقرب من سيارته.

- لا تتأخر في زيارتي يا أخي، نفسي تشتاق إليك كثيرًا، لو أنك بقيت تلك الليلة معنا لكان أفضل من القيادة ليلًا.

قالتها له وهي تمد يديها لتساعده في ترتيب الأغراض داخل السيارة، نظر إليها بابتسامة خاطفة، وهو يعلم أن ذلك الوضع الذي يحيا فيه بعيدًا عن شقيقته الوحيدة يؤلمه بقدر ما يؤلمها، ولكنها الحياة وما تفرضه علينا من مجريات لابد وأن ننصاع إليها، حتى نرتضي بأقدارنا.

- لن أغيب إن شاء الله، تعلمين لا أستطيع ترك "نور" لحالها؛ لذا لابد أن أتحرك الآن حتى لا ينقضي الليل وهي وحيدة هناك، أنت تعلمين حالها أكثر منى فقد كنت لها صديقة وأم بديلة بعد رحيل والدتها، على وعد بلقاء قريب يا اختاه إن شاء الله.

ودع كل منهما الآخر على دعوات من القلب بقرب موعد يجمع شمل العائلة.

لم يكن جرح"رؤوف" غائرًا بقدر تلك الجروح التي تلازم روحه، ويتمنى أن يجد لها سبيلًا إلى الشفاء، أتمت تلك الروح الجميلة تضميد جرح يده وربتت بخفة فوق الرباط الأبيض، الذي أحكمت توثيقه فوق الجرح؛ حتى لا ينزف من جديد، حان الآن موعد الشكر وتحسين شكل الحديث فقال:

- أعتذر بشدة عما بدر منى، وأشكرك على كل شيء، يبدو أنى مجهد من السفر والقيادة، لذا بدرت منى كل تلك الأفعال الغاضبة، التي ليست من شيمي أبدًا، أتمنى أن تقبلي اعتذاري.

نظرت إليه والابتسامة الحانية لم تفارق قسمات وجهها، وكأنها مطبوعة على ذلك الوجه الملائكي لا تفارقه ولا يتخلى عنها، ثم قامت من مجلسها واتجهت نحو المنضدة، التي كان بالفعل تهشم جزء كبير منها بيد "رؤوف"، مدت يديها في أحد الأرفف ثم أخرجت بقلم وحزمة أوراق صغيرة مجتمعة بمشبك للأوراق، كتبت:

- سامحني أنا لم أسمع شيئًا مما قلت سابقًا، ولا حتى شعرت بك حين دخلت إلى المتجر، أنا لا أسمع ولا أتحدث، لذا رجاءً تكتب هنا في تلك الأوراق كيف أستطيع مساعدتك، وأعدك أن أفعل ما بوسعي لذلك.

مدت يديها ووضعت تلك الكلمات في راحة يديه، نظر وقرأ وفهم واستوعب كل شيء، صدمة جديدة ولكن أشد وطأة مما كان، لام نفسه على كل تلك الثورة والغضب، الذي بدر منه حين تخيل أن الواقف أمامه رجل يستهين به، والآن قد تبين إنه امرأة تحنو عليه بقدر ما هي في حاجة إلى ذلك الحنو.

"ما ذلك الذي تفعله بنا أقدارنا، رحماك يا ربى لقد جئت من قلب السكون إلى كل تلك الأحداث المتعاقبة، في ليلة واحدة لم توشك على الآنقضاء بعد"، كان يحدث نفسه بتلك الكلمات وكأنه يحاول أن يدرك الأمور أكثر فأكثر، ثم أدرك أنها تنتظر جواب لسؤالها فكتب يقول:

- جئت إلى هنا للسياحة وأنا من القاهرة ولم آتِ إلى تلك المنطقة من قبل؛ لذا فأنا غريب تمامًا، وكنت أرغب في تزويد السيارة بالوقود ومواصلة البحث عن فندق، أو أي مكان أمكث فيه فترة إقامتي هنا، التي لا أعلم مقدارها بعد.

لم يشعرها في كلماته بالشفقة حتى لا يجرح مشاعرها، تبدو طيبة وظاهرة جلية في نظرة عينيها الساحرتين، كان الحديث بينهما يدور بالكتابة؛ لأنه بالطبع لا يعرف لغة الإشارة، وهي استنتجت ذلك لذا كان الحديث التالي حديث أرواح يترجمه قلم وأوراق.

- أنا وأبى نملك فندقًا صغيرًا خلف محطة الوقود، ولدينا غرف شاغرة كثيرة؛ لذا إن كنت ترغب في ذلك فتفضل معي لتسجيل البيانات، أما بالنسبة للوقود فيبدو عليك بالفعل الإرهاق، ولا أعتقد أنك قادر على القيادة فإذا رغبت أترك مفاتيح السيارة لي، وغدًا صباحًا إن شاء الله تجدها مزودة بالوقود.
- بالطبع أرغب في ذلك.

ثم ترك مفاتيح السيارة أمامها على المنضدة ووقف، ففهمت هي من ذلك أنه سوف يكون نزيلًا بفندقهم لفترة يعلم الله مقدارها؛ فأشارت إليه بالذهاب وخرجا سويًا في أتجاه الفندق.

رأي"عم طه" النزيل الجديد يدخل من باب الفندق؛ فذهب ليرحب به ويأخذ من يديه الحقيبة الصغيرة، التي كانت بحوزته، ثم تبعها"رؤوف" وسجل بياناته، وصعد مع "عم طه" في اتجاه غرفته فدار ذلك الحديث:

- أهلا بحضرتك أستاذ؟؟
- "رؤوف"
- شرفتنا يا أستاذ "رؤوف"، أتمنى لك إقامة طيبة معنا، أنا "طه" في خدمتك إذا احتجت أي شيء، فقط جرس بسيط وتجدني.

ربت "رؤوف" على كتفه وقال:

- أهلا بيك يا "عم طه "، كل ما أرغب فيه الآن هو الراحة والنوم، أنا بالفعل مرهق جدًا ولكن لدى سؤال هل لك أن تجيبني عنه؟
- بالطبع، تفضل
- ما اسم تلك المرأة التي تعمل في المتجر، هي أخبرتني أن ذلك الفندق يملكه والدها فهل هذا صحيح؟
- نعم يا سيدى، هذا الفندق والمتجر ومحطة البنزين أيضًا ملك لوالدها "الحاج عادل"، وهما أيضًا يعيشان هنا، رغم إنهما من الأساس من القاهرة، ولكن جاءا إلى هنا منذ أربعة سنوات تقريبًا، وأشترى والدها الفندق وملحقاته واستمر بالعيش هنا هو وابنته، وما علمته منه إن زوجته توفيت منذ أكثر من عشر سنوات، ويحيا هو وابنته فقط، هي تتولى العمل في المحطة والمتجر، وتهتم جدًا بهما، وأنا أعمل هنا مع عدد بسيط من العمال؛ لأن الفندق كما ترى ليس ممتلئًا بالزبائن نظرًا لكون القرية غير معروفة بشكل كبير، فستجد دائمًا الهدوء والسكينة دون ضجيج.

أنهى" عم طه" كلماته واتجه نحو باب الغرفة؛ ليخرج ويترك الضيف ينعم بالراحة التي بدا عليه بالفعل أنه في أشد الحاجة إليها، ولكن قبل أن يغلق الباب قاطعه الأخير قائلًا:

- لم تخبرني ما اسمها؟؟

ابتسم "عم طه " وهو يغلق الباب ويجيبه:

- "نور"

بالكاد وصل"عادل" إلى القرية قبل بزوغ الفجر بوقت قليل، كان سيتوجه إلى الفندق مباشرةً؛ للاطمئنان على ابنته، ولكن لفت انتباهه نور المتجر مضاءً في تلك الساعة المتأخرة فذهب ليتفقد الأمر، دخل فوجد الزجاج المهشم وبعض الأغراض المبعثرة، عصف بقلبه خوف شديد؛ خشية أن يكون قد هاجم لص ابنته أثناء غيابه، وقبل أن يدخل للبحث عنها، كانت هي قد خرجت من الداخل بعد أن ألقت ما جمعته من بعض قطع الزجاج وألقته في سلة المهملات، وقد كانت عائدة لتجمع الباقي، ما أن وقعت عليها عيناه حتى أسرع الخطى نحوها يحتضنها ويطمئن عليها إنها بخير، ربتت على كتفه بحنان لتخبره إن كل شيء بخير، كان كل منهما يعلم لغة الإشارة، فكان الحديث بينهما أسرع وأقرب ودًا من الكتابة والقراءة، شرحت له ما حدث من ذلك الضيف الجديد؛ فأطمئن إن كل ذلك كان شيئًا عابرًا، وأخبرها بأن تترك كل شيء من يديها ويذهبا إلى الفندق للراحة، وفي الصباح يحين وقت العمل، وإصلاح ما أفسدته تلك الليلة العجيبة.

ذلك كان ظاهريًا أما في باطن الأمر فتلك الليلة سوف تصلح أشياءً كثيرة، لم تكن تجد سبيلها للإصلاح.

أشرقت شمس الصباح الحانية على تلك القرية البعيدة القريبة من قلوب ساكنيها، غمرت بخيوطها المبهجة ذرات تراب الأرض الطيبة، بعثت الحياة في النسيم ليخبر الأنام ببدء مولد حياة جديدة، كل ما تحتاجه منهم هو أن يحسنوا البصر لما بين أيديهم؛ حتى يستطيعون إدراك السعادة فيما يملكون.

أستيقظ "رؤوف" بعد ليلة نوم هادئة لم يحظى بمثلها منذ ليال بعيدة، لأول مرة يشعر أنه يغفو وحوله أناس رغم أنهم غرباء عنه وهو غريب بينهم، إلا أنه اكتفي بذلك الشعور، الذي يعد أرحم بكثير من تلك الوحدة القاتلة، نزيل في فندق أرحم من رجل يغلق باب منزله على نفسه وقلبه وأيام عمره، ولا يجد من يلقى عليه تحية الصباح، ارتدى ملابسه وخرج من غرفته يتحسس الخطى، يبحث في ملامح الفندق ليعرف أين قاعة الطعام وأين يذهب، كان تقسيم الفندق بسيط جدًا يجعل المرء يشعر وكأنه في بيت من البيوت القديمة الأثرية، لا يشعر بوحشة ولا بغرابة بل على العكس يتجول وكأنه في بيته، وهذا الشعور تحديدًا كان يشعر به "رؤوف" وهو يتجول في داخل الفندق، راحة النفس تلك لم يكن يعلم من أين تأتى، ولكنه كان سعيدًا بها كثيرًا لدرجة تجعله لا يرغب في البحث عن إجابات لما في نفسه من مشاعر فقط يحييها كما هي.

- صباح الخير.

تلك الكلمات أخرجته من شروده فألتفت ليعرف من مُلقيها على مسامعه وهو يرد التحية:

- صباح النور.
- أهلا بك يا بنى ضيف كريم على فندقنا المتواضع، أنا "عادل" صاحب الفندق.

قالها وهو يمد يده ليصافح "رؤوف" ويرحب به فبادله الأخير المصافحة واستطرد يقول:

- أهلا بحضرتك يا "حاج عادل" اسمك مثل اسم أبى؛ لذا أشعر بألفة طيبة وكأنك في منزلة والدي إن سمحت لي.
- يزدني شرفًا يا بنى، تفضل إلى قاعة الطعام لنتناول الإفطار سويًا لابد أنك جائع؛ فأنت لم تتناول شيئًا منذ الأمس، وأيضًا بعد الإفطار نجلس ونتعارف قليلًا إن لم يكن لديك مانع.
- العفو ذلك شرف لي

سار كلاهما في طريق قاعة الطعام، وكان بالفعل الإفطار جاهر ولمح "رؤوف" "عم طه" فحيا كل منهما الأخر بابتسامه طيبة، ثم جلس "رؤوف" بجوار "عادل" الذي كان يبدو عليه أنه في انتظار ابنته لتشاركه الإفطار، كان "رؤوف" مازال بنفسه بعض الخجل من ثورته الغاضبة في الليلة السابقة، ورغم إنه بات يعلم أنها لم تسمع صراخه وكلماته الجارحة، إلا أن ذلك لا ينتقص من ما بقلبه من خجل، كيف سينظر في عينيها البريئتين، بل وكيف يرد ذلك الجميل الطيب الذي فعلته معه، كل تلك الأفكار والهمسات، التي كانت تدور بنفسه صمتت مع أول ظهور لها في هيئة غير تلك التي رآها عليها سابقًا، كانت إطلالتها لا تقل عن إشراقة الشمس في شيء، تلك التي تبعث البهجة بالنفوس، وهى كذلك تبعث الفرح بالقلوب.

كانت جميلة ورقيقة بحق، ترتدى فستانًا ذا ألوانٍ هادئة يزيد من أنوثتها وجمالها مع خصلات شعرها المتطايرة على كلا كتفيها كطيور تشدو في فضاء فسيح، وتتسابق على أي غصن ترسو لتكمل ألحانها، كانت بحق "نور"على مسماها.

قهوة الظهيرة كانت طيبة المذاق ودودة الرائحة، تناولها مع"الحاج عادل" والذي كان يبادله الحوار:

- "رؤوف عادل" أشعر أنى سمعت اسمك من قبل، ماذا تعمل يا بنى وما الذي أتى بك إلى هنا؟؟

روى له "رؤوف" كل شيء عن حياته حتى استمر الحديث بهم إلى أكثر من ساعتين، لم يشعر أي منهم بمرور الوقت من عذب الحديث بينهم.

- خير ما فعلت بالسفر ربما تغيير المناخ، ليساعدك على العودة إلى عملك وإلى حياتك بطاقة وعزيمة أقوى.

كان يتمنى "رؤوف" أن يسأله عن حال ابنته، وبالفعل سوف يفعل ذلك، إلا إنه تراجع في اللحظة الأخيرة، قبل طرح السؤال لأنه شعر أن ذلك غير لائق تمامًا، وربما يسبب حرج ويكفيه ما فعل.

- أمكث معنا قدر رغبتك حتى تستعيد نفسك وتعود إلى حياتك، والآن اسمح لي أن أتركك تكتشف المكان، وتتجول وأن أذهب لأباشر الأعمال.

شكره"رؤوف"على وقته واهتمامه وذهب كل منهما في طريقه، خرج من الفندق يسير في الطرقات ينعم بهواء غير الذي أعتاد عليه، وهدوء من نوع خاص، كانت هناك حديقة صغيرة جدًا تكاد لا توصف على إنها حديقة، هي أن صح التعبير قطعة صغيرة من الأرض مزروعة ببعض النباتات، التي لا تخلو من الأزهار، ذات الأريج الطيب، ومن بين تلك الورود كانت هي أجملهن "نور" تروى تلك النباتات بقليل من عذب الماء، وتلك المرة الثانية التي لم تلحظ وجوده فيها، ولكن الفرق أنه هو الذي كان يراقب وجودها، الذي يصنع بقلبه شيئًا لا يعلمه معناه. نبض جديد يخشى أن يكون من باب

الفراغ، قد يُخيل إليه إنه إعجاب. ظل على حاله يراقبها من بعيد دون أن تلحظ وجوده، ولعذب ما رأي في روحها الصافية، فقد كانت تداعب أوراق الشجر بأناملها، تغرد الطيور من حولها فتبتسم وكأنها تستمع إليهم وتحييهم على تلك المعزوفة الساحرة، كلما مرت على شيء طبعت عليه من طيب روحها لونًا جديدًا زاهيًا بالطبع كما تفعل بقلبه، عاد إلى غرفته يفكر في كل تلك المشاعر المتداخلة، التي بات يشعر بها في غضون ليلة وضحاها، ظل على تلك الحال قرابة الشهر، يراقبها كلما أتيحت له فرصة لذلك. يقتبس من نورها بعضًا من خيوط الأمل، يبحث في أيام عمرها عن عمره الضائع، عن تلك السعادة التي يصبو إليها جموع البشر، ولا يدركها إلا ذوات الحظ العظيم، الذين يهديهم القدر العشق الصادق، الذي لا تمحوه عواصف الحياة والنسيان وتقلبات مواسم القلب.

ذات صباح كان يراقبها في صمت كالعادة؛ فالتفتت بغتة فإذا بالأعين تتلاقى دون حاجز يحول بينها وبين أقدارها التي كُتبت عليها، ابتسمت له وجلست بجانب شجرة صغيرة ووحيدة كانت بجانب الورود المتناثرة بين النباتات، أشارت له بالجلوس بجوارها، وبدأت تتحدث معه بالإشارة ولكن بشكل مبسط أستطاع أن يفهم بعضًا منه، حتى يجد حلقة اتصال بينهما فلا يبدو وكأنه في عالم وهى في عالم أخر. تجددت تلك اللقاءات كل صباح تقريبًا، حتى باتت موعد ينتظره هو بفارغ الصبر، أما هي فلا يعلم حتى الآن قدره بقلبها، ولا يستطيع أن يفرض عليها مشاعرًا هو نفسه لم يتأكد منها بعد.

في صباح من تلك الصباحات المتعاقبة لم تأتِ في موعدها، وقد علم إنها أصابها بعض التعب، ومكثت في غرفتها للراحة، حتى أنها لم تتناول مع والدها طعام الإفطار كالعادة، واستحى هو أن يسأل عنها، أو يطلب الاطمئنان عليها، فما كان منه إلا أن يذهب إلى تلك الشجرة الوحيدة الشاهدة على اللقاء، وجلس ليفكر ليحسم ذلك الجدل الذي يعصف بنبضات قلبه وهمسات روحه.

" هل أنا عاشق أم لا؟" حدث نفسه بتلك الكلمات هامسًا يستجدى قلبه أن يجيبه، ذلك الصباح الذي لم يقتبس فيه بعضًا من نورها، لا يستطيع أن يتنفس فيه، كل ذلك الكون المتسع لا يمنحه بعضًا من نسمات الهواء ليحيا به، استرجع كل ما مضى من أيام وأحداث، راجع قلبه وروحه ونفسه الحائرة على الدوام، فإذا بالجواب واضح جلي... نعم هو عاشق.. أحبها بكل ما يملك من قلب، كان خاليًا فيما سبق أما الآن فبات يغمره الحب الذي يعنى له الحياة، بحركة لا إراديه ذهب إلى سيارته وفتح صندوقها الخلفي؛ ليخرج عوده الشرقي، الذي كان في ذلك المكان منذ حفلته الأخيرة في القاهرة، اصطحبه معه إلى غرفته، ومكث فيها حتى وقت متأخر من الليل، عزفت أنامله أعذب الألحان وجديدها، بعثت الحياة لروحه من جديد..عاد نهر الحياة يتدفق بقلبه الذي كان قد أصابه الجفاف فيما مضى..أغمض عينيه واستسلم لنوم هادئ وقد عقد العزم على أن يفاتحها فيما بقلبه من عشق ويتمناها زوجةً ورفيقةً لما بقى له من عمر، كان "عم طه" قد أخبره في السابق عنها حين سأله عنها إن كانت متزوجة أم لديها حبيب، فأخبره حينها أنه حين عمل مع والدها سمع ذات مرة حديث عن طلاق، وأنها كانت متزوجة قبل مجيئهم إلى القرية هنا، أما الآن فهي وحيدة.

ذلك الحديث شجعه على ما قرر الإقدام عليه، يبقى فقط التأكد من مشاعرها فربما يكون بقلبها أحد، أو حتى ربما مازالت لديها بعض من المشاعر لمن كان زوجًا لها ذات يوم، عشرات الأفكار كانت تدور بذهنه وتؤرق نومه، الذي انتصر في النهاية وصاحبه حتى صباح اليوم التالي.

استيقظت من نومها باكرًا كعادتها، ولكن فكرت أن تتمارض كما فعلت أمس، وتظل بغرفتها ولكن إلى متى سوف تنطلي تلك الحجة على الجميع، عاجلًا أم أجلًا سوف يتضح أنها تدعى المرض، كانت ترغب بشده في الهروب من

عينيه، التي باتت متيمة بنظرتهما والنظر إليهما، كما كانت ترغب في أن يخترق ذلك العشق روحها ويسكن حنايا قلبها. كانت قوية وصريحة مع نفسها إلى ذلك الحد، الذي جعلها تتبين إنها من العاشقين منذ أول نبضة حب رافقت نياط قلبها، والأكثر وضوحًا أنه يعشقها أيضًا، تستطيع المرأة أن تتبين ذلك في الرجل قبل أن يدرك هو ذلك.

تلك هي فطرتنا الآنثوية التي تجعلنا نتبين العشق منذ الإشراقة الأولى لشمسه، علمت أن الإختفاء لن يجدي نفعًا؛ لذا بدلت ملابسها وقررت مغادرة الغرفة والعودة إلى ممارسة العمل والحياة.

أخذ يرتب الكلمات والإشارات التي كانت قد تعلمها بواسطة الآنترنت طوال تلك الفترة السابقة، واليوم انتظرها لعلها تخرج من غرفتها وتذهب إلى حيث اللقاء، الذي كان يبدو في ظاهره صدفة وفي باطنه موعد مبين، كانت"نور" على ذلك القدر من الوضوح، الذي يجعلها تواجه المواقف بشجاعة وقد كان اللقاء.

جلسا في مكانهما وبدأ حديث الإشارة:

- أعلم أن ما سوف أقوله يبدو غريبًا أو ربما لم تكوني تتوقعيه، ولكن يبدو أنه حان وقت الإفصاح عنه، أنا أحبك بكل ما أوتيت من قلب، وأتمناكِ زوجةً لي وإن قبلتي ذلك سوف أذهب إلى لوالدك وأطلبك زوجة ورفيقة لدربي وقلبي وروحي، التي لم تعرف معاني الحياة إلا حين أحببتك.

لم تصدر "نور" أي ردة فعل لدقائق، ثم أجابت بإشارة مقتضبة وسريعة:

- لا أقبل.

وقبل أن تزول صدمة "رؤوف" من رد فعلها، وقبل حتى أن توضح سبب الرفض كانت قد تلاشت من أمام عينيه وذهبت، تدارك مع الوقت أنه ربما يكون قد تسرع في إحساسه، وأنها لا تبادله نفس الشعور بالحب، ربما بالفعل أخطأ حين فرض عليها ما بقلبه من حياة، وأيضًا لا يستطيع أن يرغمها على أن توضح سبب الرفض؛ لذا قام من مجلسه وذهب صوب غرفته ومكث فيها بعض الوقت في صمت، أعاد له ذكرى ذلك السكون المقيت، الذي ينتظره هنا في منزله الخالي من الحياة، تبددت الأحلام في دقائق معدودة.

صوت طرقات باب الغرفة أخرجه من سكونه، كان الطارق "عم طه" الذي بادره بالحديث قائلًا:

- أستاذ "رؤوف" "الحاج عادل" أرسلني لأخبرك أنه يدعوك لتناول فنجان قهوة معه بمكتبه.

كان "رؤوف" جالسًا على طرف الفراش ومازال المشهد الذي عايشه منذ قليل لم يفارق مخيلته، يفكر في ذلك الحلم الذي انهار في لحظات قليلة لم يستوعب سرعتها بعد، أجاب "عم طه" بإيماءة من رأسه تعنى أنه قادم لتلبية دعوة مُضيفه.

- لم أكن أعلم أنك سوف تستسلم بتلك السرعة.

قالها "الحاج عادل" وهو ينظر إلى "رؤوف" الذي كان قد امتقع وجهه خجلًا من أن يكون قد أساء التصرف مرة أخرى، حيث أنه لم يذهب لطلبها من والدها مباشرةً، وربما علم الوالد بذلك منها وغضب لتصرفه هذا، وقبل أن يوضح موقفه كان الرجل يكمل حديثه ولكن هذه المرة بقسمات وجه مبتسم؛ ليبعث في نفس متلقى الحديث بعض من الاطمئنان:

- لا تقلق يا بنى "نور" لم تخبرني بشيء، أنا رأيت ما دار بينكما من نافذة غرفتي، وتمنيت لو أنك أخبرتني قبل أن تتحدث معها، ما كنت لأعرضك لذلك الموقف الذي صار.
- معك حق ولكنى رغبت في أن أتأكد أن قلبها خالٍ، ويسمح بأن أسكن فيه وتسكن هي روحي وقلبي ونكمل الحياة سويًا، ولكن يبدو أن أحلامي تخطت الواقع وقلبها ليس خاليًا.
- بالفعل قلب ابتنى ليس خاليًا لأنه يمتلأ بك.

نظر إليه "رؤوف" باندهاش مما يقول، لدرجة أنه ظن لبرهة من الوقت أنه لم يسمع الحديث جيدًا فقال مستنكرًا:

- ممتلأ بي، هل حضرتك تقصد....
- نعم أقصد ما سمعته، ابنتي تحبك كما تحبها أنت وأكثر، وكما أعلم أنا عن حالكما ذلك قبل أنت تعلماه أنتما.
- إذن لماذا رفضت الزواج؟ ولماذا أبدت رد الفعل ذلك؟!!
- لكي أجيبك على ذلك لابد أن ترافقني لأريك بعينيك الإجابة.

نهض "الحاج عادل " من مجلسه وذهب "رؤوف" يتبعه بكل ما في نفسه من فضول؛ ليعلم ما لا يعلمه.

الألوان متناثرة في كل مكان من حولها، حجرة صغيرة تبدو من الخارج صامتة ومهجورة، أما في داخلها فهي تعج بضجيج الحياة، بالضبط كحال قلوبنا حين تبدو في ظاهرها صامتة وخاوية وفي باطنها نبضات وهمسات وحكايات، لا يعلم حقيقتها إلا الله خالق القلب وباعث النبض والحياة.

كانت "نور" تجلس على مقعد صغير مستدير، وأمامها لوحة لم تكتمل معالمها بعد، ويمناها ممسكةً بفرشاة ويسراها تأسر (بالتة) الألوان بين راحتها، وكأنها تخشى أن تتبخر فيبقى منها الأبيض والأسود فقط، خصلات شعرها مرفوعة ومجتمعة في حديث سرى شاهد على ما تحاول تلك المرأة أن ترويه فيما ترسم، كانت بالفعل في قمة التركيز فيما تفعل وذلك التركيز يفصلها عن عالمنا، ذلك ويجعلها تحيا بعالمها الخاص الصامت الهادئ على الدوام.

كان "رؤوف" يتبع خطوات "الحاج عادل" دون أن يسأله عن الوجهة التي يقصدونها في طريقهم، حتى وصلا إلى غرفة صغيرة ملحقة بالفندق من الخلف، لم يكن "رؤوف" قد رآها من قبل، رغم تجواله المستمر في المنطقة إلا أنه لم يرَ تلك الغرفة أبدًا، وكأنها كانت محاطة بسحر خاص يجعلها غير مرئية، والآن زال ذلك السحر ويحق له رؤيتها، أمسك "الحاج عادل " يده وقال له:

- أقترب وانظر إلى الداخل من تلك النافذة الصغيرة وأمعن النظر؛ لترَ نصف الإجابة على سؤالك، ثم أتمم أنا لك النصف الأخر.

نظر "رؤوف" من تلك النافذة، التي كانت تسمح برؤية كل ما بداخلها بوضوح رغم صغرها، رأي عشرات اللوحات المبهرة حقًا، ورآها ترسم في إحداهن، ظل ينظر في كل أركان الغرفة وعيناه تشاهد كل ذلك الفن والإبداع، الذي يحدث اتصال غير مرئي بينه وبين إبداعه الفني في العزف، وذلك يعد شكل من أشكال اتصال الروح بين كل من يحيا عاشقًا للفن والإبداع في مختلف أنماطه، ظل على ذلك الحال حتى وقع بصره على إحدى تلك اللوحات، وهنا تحديدًا لم يستطيع إخفات صوت نبض قلبه، الذي كاد يهز أرجاء الكون؛ معلنًا مولد قصة عشق أسطورية، ربما يُحكى عنها عام بعد عام.

كانت تلك اللوحة صورته مرسومة بأناملها الرقيقة، نظر كثيرًا إلى نفسه وقسمات وجهه في تلك الصورة؛ فرأي ذلك الرجل الذي لم يكن يملك أملًا في شيء، والآن بات يملك كل شيء: الأمل والحب والسعادة وأيضًا نهر الفن الذي تدفق في مجرى قلبه من جديد.

- الآن حان دوري لأتمم لك الإجابة عن سؤالك، اجلس بجواري يا بنى وسوف أروى لك كل شيء.... بعد وفاة زوجتي والدة "نور" منذ سنوات عديدة كنت أحيا أنا وهى في القاهرة، وكان لي عملي الخاص بالتجارة، وكانت قد حصلت على شهادتها الدراسية في مجال الفنون والرسم، وبدأت بالفعل تؤسس معرضها الخاص واحدًا تلو الآخر وجميعهم كان مكللًا بالنجاح بفضل الله، كنا نحيا في سعادة ورضا تام حتى تمت سعادتي، حين جاءت إلى يومًا وعيناها تفيضان فرحًا وعشقًا؛ لتخبرني أن هناك من يرغب في مقابلتي لطلبها للزواج، وأن بينهما مشاعرًا طيبة، فإن وافقت أنا وباركت ذلك الزواج سوف تكون أسعد فتاة في الكون، وما كنت أتمنى لابنتي أكثر من ذلك، وبالفعل توسمت فيه حسن الخلق والطباع، وتم الزواج المبارك واستمر أكثر من عام، حتى حدث ما غير كل شيء بعد ذلك.

كانت "نور" ذات يوم مدعوة إلى حفل تكريم لشباب المبدعين، وكانت هي ممن سوف يتم تكريمهم، كانت لا تهوى قيادة السيارة كثيرًا إلا في أضيق الحدود، وكانت في ذلك اليوم تخشى أن تتأخر عن الحفل؛ فأخذت السيارة لتلحق موعدها، وكان الموعد مع القدر أسرع مما كنا نتصور جميعًا، اصطدمت سيارتها بسيارة أخرى وتعرضت للخطر،فقد كانت صدمات كثيرة، وكان أغلبها في الراس بإصابات بالغة، وبعد أن تعافت أخبرنا الطبيب بأنها لن تتمكن من الحديث ولا السمع؛ أصبحت صماء بكماء بعد أن كانت تملأ

الكون بصوتها المرح وضحكاتها البهيجة، التي كنا جميعًا نقتبس منها سعادتنا.

لم يؤثر ذلك على حالتها النفسية، فقد كانت ومازالت قوية وصامدة أمام متغيرات الحياة مهما كانت صعبة، ولكن ما أضعفها حقًا تخلى زوجها عنها، ذلك الحبيب الذي ما كانت تصدق أنه لن يكون بجوارها في الشدائد، بعد أن تعافت وخرجت من المشفى صارحها برغبته في الطلاق، ورغم أن وقع ذلك كان على نفسها عظيمًا، إلا إنها أبدت عزة نفس جعلتها لا تظهر شيئًا مما أصاب قلبها من وهن، وتم الطلاق وهى صامدة بكبرياء ثم تهاوت تلك القوة بعد ذلك.

تعرضت لحالة اكتئاب شديدة واعتزلت الرسم والمعارض، بل أنها اعتزلت الحياة مما جعلني أفكر في بداية جديدة في مكان جديد، وكان لدي صديق يملك ذلك الفندق الذي نحن فيه الآن، وكان يمر بضائقه مالية ويرغب في بيع الفندق بكل ما حوله من أرض؛ فعرضت عليه الشراء ووافق وانتقلنا إلى العيش هنا، وأسست المتجر الصغير والمحطة وبدأت "نور" في التعافي مع الوقت والتأقلم مع حالها الجديد، ولكن كانت تخبرني دومًا أنها لن تتزوج أبدًا مرة أخرى؛ لأنها لم تعد تثق في أحد، حتى أتيت أنت ورأيتها بعد قدومك بعدة أيام هنا، تبحث عن أدوات الرسم التي جلبتها أنا معي من القاهرة، على أمل في أن يعود لها الإبداع مرة أخرى.

حين رأيتها ترسم في ذلك اليوم علمت أن شيئًا ما بقلب ابتنى بدأ ينبض من جديد، وحين استمعت إليك تعزف على عودك وتملأ سكون الكون بعذب النغمات؛ علمت أن أصاب قلبك ما بقلب ابنتي من عشق، وتمنيت أن تأتى لتخبرني حتى نستطيع سويًا أن نعيد إليها ثقتها في الحياة. الآن كل شيء واضح جلي أمام قلبك وعينيك والقرار لك، إما أن تتمسك بما يخبرك به قلبك،

أو أن تستسلم وتنسحب من المعركة وفي كلا الحالتين أنا أكن لك الحب والاحترام.

ابتسم "رؤوف" ثم أحتضنه وهو يطرح على مسامعه سؤالًا جديدًا:

- هل تسمح لي بمناداتك "أبى"؟

تعانق الأب وابنه الجديد، وكانت تلك إشارة طيبة لبدء معركة إثبات الحب، فهل ينتصر أم أن أثار الماضي الأليم أشد قوة؟

نزل "عم طه" الدرج وهو يحمل حقيبة "رؤوف" الذي كان يتبعه صوب مكتب إدارة الفندق؛ ليتمم إجراءات الرحيل، ويودع "الحاج عادل" بعد أن اتفقا سويًا على كل شيء، كانا يدعيان أمام عينيها أنه راحل دون عودة، وهى بالفعل صدقت ذلك، رغم تمنٍ داخلي كان يعصف بوجدانها بأن يبقى، ولكن كيف بعد أن رفضت حبه وبتلك الطريقة الجافة، ما أصعبها عزة النفس حين تقف حائلًا بين المرء وقلبه، وما أقساه من شعور ألا تستطيع أن تمنح ثقتك لأحد، حتى وإن كان عشقه يستوطن فؤادك، ربما ينبغي أن تتركه يذهب من حيث أتى حتى يذهب عشقه معه دون حنين.

مضت شهور طويلة بعد ذلك الرحيل، لم يغب عن قلبها وتفكيرها يومًا واحدًا، لم تلم نفسها على رفضها له؛ فهي لا تقبل حب شفقة من أحد، فربمًا بالفعل كان حبه وعرضه الزواج من باب الشفقة على امرأة صماء بكماء ينقصها الكثير من الحياة، وليس من باب العشق المبين، لو أحبها حقًا ما كان تركها كل تلك الفترة دون أن يفكر في العودة والمحاولة مرة أخرى، كل يوم تحاول نسيان ما ينبئها به قلبها من شوق، تتذكر أكثر وتقاسي تبعات العشق أكثر

وأكثر؛ فتذهب إلى خلوتها برفقة الألوان والخطوط، التي ترسم بها أحداث العمر، الذي يبدو أنه لن ينقضي دون حنين.

- ماذا تقول؟؟؟ بعد كل تلك الفترة التي أنتظر عودتك فيها تأتى بمثل ذلك العرض العجيب؟؟؟ أين ذهبت وماذا حدث لك؟؟؟، أروى لي كل شيء الآن وبالتفاصيل.

كان ذلك حديث "كامل" مدير المسرح، الذي كان يقدم به"رؤوف" حفلاته الموسيقية، عاد بعد غياب أشهر طويلة، ولكن بفكر جديد وألحان جديدة، وعرض تلك الأفكار على"كامل" الذي تلقاها بصدمة بالغة، فما كان من "رؤوف" إلا أن يشرح له كل شيء، بدأ من أخر يوم كان هنا على المسرح فيه حتى الآن، روى له عن سفره وعن القرية وعن "نور" وعن قصة قلبه التي لم يُسدل عليها الستار بعد، فبعد أن ذهب من القرية لم يعد إلى القاهرة بل سافر إلى الخارج وتحديدًا (المانيا) وذلك ما أثار دهشه "كامل" أكثر فلماذا ذهب إلى هناك؟؟

- سوف أروى لك كل شيء، بعد ذهابي من القرية ذهبت لزيارة أسرتي في أمريكا كنت بالفعل في أمس الحاجة إلى لقائهم والإحساس بدفء الأسرة، الذي افتقده كثيرًا، وذلك ساعدني على التفكير بشكل صحيح؛ حتى أصل إلى حل يساعدني على إنقاذ قصة عشقي من الهلاك، كنت يوميًا على اتصال دائم ب "الحاج عادل" للاطمئنان عليهم جميعًا وعليها تحديدًا، وكل يوم أبحث عن تلك الطريقة التي تساعدني على أن تمنحني ثقتها، كنت جالسا في غرفتي أمزج النغمات ببعضها؛ لأصنع لحنًا جديدًا ثم طرأت على عقلي فكرة أو بمعنً أوضح سؤال: هل بمقدوري أن أجعلها تستمع إلى ألحاني؟؟

هل كل فاقدى السمع ليس من حقهم أن ينعموا بالاستمتاع بذلك النوع من الفن؟؟ كان تساؤلًا عجيبًا أخترق عقلي وبات يطرق أركانه دون سكون.

استعنت بالآنترنت وبحثت في الموضوع وتفاجأت بالنتيجة، قرأت خبرًا عن فرقة عزف شهيرة بألمانيا تدعى (كايمتسايت) كانت فرقة عزف تجمع بين الموسيقى الألمانية الأصلية وتمزجها بنغمات الجيتار، تلك الفرقة كانت ذائعة الشهرة، وحفلاتها ناجحة وذات رواج كبير، ثم في إحدى الحفلات كان هناك عضو جديد في تلك الفرق، أو بمعنً أدق مصاحب لها، وهذا الوافد الجديد كان "لاورا شفينغبر" مترجمة لغة الإشارة لفاقدي السمع، كانت تترجم لهم النغمات حتى يتواصلوا مع العزف؛ فيصل لأرواحهم بعض من ذلك السحر الذي يحق لهم الاستمتاع به، مثلهم مثل باقي البشر.

هنا قررت السفر إلى ألمانيا وحضور إحدى تلك الحفلات، والتعرف عن ذلك النمط الجديد من لغة الإشارة، وقضيت كل تلك الأشهر ما بين الدراسة والفهم وما بين تجهيز ألحاني الجديدة، وحين عدت فكرت في تلك الفكرة التي أطرحها عليك الآن.

أول حفله لي نقيمها هنا على أرض سيناء الطيبة، وفي تلك القرية الغالية(وادى فيران) نقيم مسرحًا صغيرًا، ونعلن عن رجوعي للعزف وتقديم أول حفلاتي هنا، وأنا على ثقة تامة في جمهوري، وإنهم سوف يأتون للحضور وفي ذات الوقت يتعرفون على قطعة رائعة من أراضينا العامرة بالحياة، فقط أطلب منك تجهيزات الحفل، وقد تواصلت بالفعل مع إحدى مراكز الصم والبكم، وتصادقت مع أحد المترجمين وسوف يرافقني في الحفل ويترجم نغماتي.

شعر " كامل" أن "رؤوف" الذي يقف أمامه الآن ليس هو ذلك المنهزم، الذي كان أمامه منذ عدة شهور مضت، الآن أمامه رجل يحمل بقلبه عشقًا حقيقيًا صادقًا، وذلك العشق بعث بلقبه الحياة من جديد؛ لذا رغم اعتراضه واستغرابه للفكرة إلا أنه قرر مساعدته على تحقيقها؛ وبدأ الجميع في التجهيز لذلك اليوم، الذي لن يعلم أحد كيف ستمضي أحداثه إلا الله.

على غير العادة امتلأ الفندق بالنزلاء، وجرى العمل على قدم وساق، الجميع منشغلون والهدوء الذي كان يسود المكان اخترقته أصوات الحياة المبهجة بكل قوة، وكأنه ضجيج يسبق العاصفة، عاصفة الحب أو السعادة.. ربما.

كانت "نور" قد أُرهقت من العمل طوال اليوم؛ فأشار عليها والدها بالراحة في غرفتها لبعض الوقت، حتى يحين المساء وسوف يوقظها بنفسه ليتناولا طعام العشاء سويًا، لم تستطع الرفض لأنها بالفعل كانت في أشد الحاجة لتلك الغفوة؛ لذا انصاعت لنصيحة والدها وذهبت في غفوة هانئة، ولكنه لم يفِ بوعده فتركها حتى حل الظلام، واستيقظت بعد أن اكتفت من ساعات نوم لا بأس بها.

كان الفندق هادئًا بشكل ملفت، مما أثار دهشتها بعض الشيء، بدلت ملابسها وغادرت الغرفة ونزلت الدرج؛ لتبحث عن والدها فلم تجده في مكتبه ولم تجد أحد في قاعة الطعام، دخلت المطبخ وغرف العاملين كلها خاوية لا يوجد أحد، أين ذهب الجميع؟!! ظلت تبحث دون جدوى، بالفعل الفندق خالٍ تمامًا من البشر، خرجت من الباب الكبير إلى الفناء الخارجي ومنه إلى خارج الفندق فنظرت أمامها فإذا بأنوار زاهية تلوح لعينيها من بعيد؛ فاقتربت تتبع النور حتى وصلت إلى درجة تمكنها من الرؤية بوضوح، كان الجميع حاضرًا دون استثناء، "رؤوف" لم ينس أحد حتى جاره "أحمد" الذي أصبح صديقًا مقربًا إليه، كان ينتظرها وما أن ظهرت أمامه حتى بدأ العزف وبدأ المترجم في شرح النغمات، والجميع ينصت إلى ذلك المشهد المبهر، اقتربت

"نور" بحركة لا إرادية ثم وقفت بالقرب من المسرح، وظلت واقفة دون إبداء أي ردة فعل على ما يحدث أمامها، كانت رؤيته كفيلة بأن تحدث في نفسها مزيجًا من السعادة والفرح، وبعضًا من نبضات القلب التي تشير إليها بأن ذلك الرجل يعشقها بحق حتى يفعل كل ذلك من أجلها، وإن تلك الفترة التي مضت وهى تظن أنه نسيها كان يعد لها كل ذلك الفرح.

أنهى "رؤوف" مقطوعته الموسيقية، وصفق الحاضرون لتحيته فأشار إليهم بأن يسمحوا له بالحديث، فبدأ حديثه الذي كان يترجمه لها المترجم بالإشارة:

- هنا أمام الجميع وعلى مرأى ومسمع من الكون بأسره أعلن إليكم أنى رجل لم تكتمل له نسائم الحياة إلا حين عشق تلك المرأة، في أول لقاء لنا ضمدت جراح يدي، ثم يومًا بعد يوم كان وجودها في الحياة يطيب جراح قلبي وروحي، التي لم تكن تعرف للعمر مستقرًا لولاها، والآن أطلب منها أمامكم جميعًا أن تسمح لي بأن أسكنها فؤادي، على وعد منى أمام الله بأن لا يفرقني عنها إلا الموت.

لم تكن "نور"بحاجة إلى لغة الإشارة ولا حتى للكلمات، حتى تعبر عما بقلبها من حياة وعشق ونهر سعادة تدفق منذ أول لحظة رأته فيها، أومأت برأسها لتعلن موافقتها أمام الجميع، فكانت تلك اللحظة التي بعثت بالقلوب مشاعرًا حقيقيةً صادقةً إلى ذلك الحد الذي جعل لسان حالهم يردد أطيب الدعوات لذلك الثنائي، الذي استطاع أن يتجاوز عقبات النفس وعثرات الطريق؛ وانتصر العشق في نهاية المطاف.

بعد التهاني والعبرات والعناق الودود بين الجميع أشار "رؤوف" إليهم بأنه مازال لديه شيء يرغب في قوله؛ فانتبهوا له وظلوا يتابعوه بأعينهم وهو يتوجه إلى الجزء الأيمن من المسرح الخشبي المقام في مساحة خالية من الأرض، كان ذلك الجزء مغطى بستار فأزاح الستار وهو يقول:

- كما أعلنا منذ قليل مولد أسرة صغيرة بعشق عظيم، أعلن لكم الآن عودة فن أصيل بأنامل مبدعة، إليكم صنع رفيقة فؤادي.

ثم أزاح الستار فإذا بلوحاتها الحبيسة داخل جدران الغرفة الصامتة تنطق الآن بالحياة، وتنبض بالبهجة كحال قلب صانعتها، أعد لها "رؤوف" بمساعدة كل الأحباب والأصدقاء معرضًا صغيرًا للوحاتها وبث كل ذلك الحفل عبر الآنترنت وشاهده ملايين البشر، وصارت الحكاية الصغيرة التي لم تتعد حدود أسوار القلب إلى قصة عشق يتحاكى بها كل من سمعها ورآها بعينيه.

الآن أجتمع الفن والإبداع وتوجهما العشق بسحر خاص، سوف يرافق الزوجين ما بقى لهما من عمر، كل منهما يكمل ما بالآخر من نقص حتى توازنت بهما سفينة الحياة، وباتت ترسو على شاطئ الأمان.

كلما تذكر "رؤوف" بداية القصة ابتسم في قرارة نفسه، وهو يهمس لها " لم أكن أعلم أن الأمر كله متوقف على قصاصة الورق، تلك التي أرسلتني إلى حيث ولدت من جديد "

(حين يُكمل العشق ما بأرواحنا من نقص حينها فقط ينعم القلب برغد العيش).

حكاية روح

جلست في مقعدها المعتاد في القطار بجوار النافذة، اعتادت الجلوس دومًا بجوارها منذ أن استقلته أول مرة لزيارة القاهرة وتسجيل أوراقها بالجامعة، ورغم أن ذلك قد لاقى اعتراضًا شديدًا من قبل الأهل الذين كانوا يتمسكون بعاداتهم الريفية الأصيلة، التي تقتضي بعدم سفر الفتاة لحالها وعن العيش والدراسة في محافظة أخرى لحالها، لكنها لم تيأس أمام موجة الاعتراض الشديدة تلك، بل إنها كانت دائمًا متمسكة بآرائها وأحلامها، ورغم أنها تشتاق إلى قريتها الصغيرة بمحافظة سوهاج إلا أنها اعتادت العيش في القاهرة مع مرور الوقت، بل وإنها اعتادت الوحدة أيضًا، تلك التي اختارتها لنفسها طواعيةً دون أن يفرض أحد عليها ذلك، والآن ها هي عائدة من محاولة أخرى باءت بالفشل، ولكنها لم ولن تيأس أبدًا.

بعد أن أنهت دراستها الجامعية قررت العيش والاستقرار في القاهرة، وأسست مكتبةً صغيرةً برأس مال بسيط من إرثها من والدها، وبعد ذلك القرار أصبحت شريدة عن العائلة، والكل ينظر إليها على أنها الفتاة المدللة التي خرجت عن عاداتهم وتقاليدهم، ورفضت الزواج وأصرت على العيش في العاصمة وترك بلدتها الأساسية، أكثر الغاضبين منها كانت والدتها، فكانت حقًا لا ترغب حتى في الحديث معها، ولكنها لم تيأس وكل فترة بسيطة من الزمان تسافر إليها؛ لتحاول أن تسترضيها وتحصل على غفرانها، ولكن الأم تأبى أن تمنحها ذلك، فكيف لها بعد أن ترتبت على الأصول والتقاليد، التي كانت تحافظ عليها باستماته أن تسمح لابتها أن تكون شاردةً عن كل تلك القواعد.

كانت "روح" على ذلك القدر من القوة التي تجعلها تتحمل أقدارها بشجاعة، ولا ترغب في أن يشفق عليها أحد، حتى وإن كان ذلك الشخص والدتها، ربمًا

لو علم أحد ذلك السر الذي تخفيه بحنايا قلبها، والذي جعلها تقرر الحياة بعيدةً عن عائلتها ومعتمدة كل الاعتماد على ذاتها؛ لكان بالفعل أشفق عليها وعلم أن تلك المرأة تحمل على عاتقها ما يشابه حمل الجبال الشاهقة.

أصبحت الآن امرأة تقترب من إتمام عامها الخامس والثلاثين؛ لذا فلم تعد تلك الفتاة التي تلهو وتمرح دون أن تكترث لشيء.

كانت "سعاد" تجمع ملابسها القليلة الموجودة بالغرفة، وتضعها في حقيبتها وتجمع كل ما بقي لها في ذلك المنزل، الذي أوشكت على مغادرته دون رجعة.

- ماذا تفعلين يا "سعاد"؟؟

أجابت والدتها على سؤالها وهي في أشد غضبها:

- أجمع ملابسي وأشيائي يا أمي ولن أبقى هنا دقيقة واحدة أخرى، ولو حتى مت جوعًا، فلن أقبل إهانة أكثر من ذلك.

جلست"أم سعاد" على طرف الفراش، الذي كان مازال عليه بقايا ملابس ابنتها المبعثرة، وأخذت تهدئ من غضبها:

- يا ابتنى نحن فقراء وأنت في حاجة إلى هذا الراتب، الذي يعطيك إياه "سالم بك"، عليك أن تحتملي من أجل أبنائك.
- لا يا أمي سوف أبحث عن عمل أخر، ولن أعمل عند ذلك الرجل يومًا أخر، أحيانًا أتساءل بيني وبين نفسي، هل هو بشر مثلنا؟؟ أنه لا يعرف الرحمة ولا يتحدث إلا بغضب وصوت مرتفع واستعلاء، كأنه يستعذب إهانة غيره، وما أتعجب منه حقًا كيف استطعت أن

تعملي عنده كل تلك السنوات؟؟ حقًا يا أمي أخبريني كيف تحتملين مثل ذلك الرجل؟؟؟

ابتسمت "أم سعاد" ابتسامة باهتة وأجابت ابنتها قائلة:

- لم يكن مثل ما ترينه الآن يا ابنتي، أنا أعمل هنا منذ كان طفلًا صغيرًا، كانت والدته رحمها الله ترتاح لخدمتي لها، حتى جعلتني كبيرة الخدم في المنزل، وحين تزوج كنت أشعر وكأن ابنى يتزوج، وما زلت أحبه كما أحبك أنت وأشقاءك، كان مثال الشاب الطيب الخلوق المجامل، الذي يحسن على الغير، ولا يجرح شعور أحد قط، لم يكن ذلك الوحش الغاضب الذي ترينه الآن.
- ماذا حدث له إذن حتى تحول هكذا؟؟
- حين يختبرنا الله سبحانه وتعالى في فقد عزيز لدينا، وحين نختبر الموت فيمن نحب ونحيا بوجوده في الحياة؛ نتحول إما إلى أشخاص أكثر هدوءًا من الصدمة، أو إلى أرواح غاضبة كسماء ملبدة بالغيوم، تقذف الصواعق هنا وهناك، بقصد ودون قصد، وهذا بالفعل ما حدث له بعد وفاة زوجته، التي كان يعشقها بجنون، وكانت بينهما قصة حب ساحرة دامت حتى تكللت بالنهاية السعيدة، تلك الحبيبة التي لم يكمل الحياة معها أكثر من عام ونصف، توفيت بعد ولادة ابنته "همس" ومنذ ذلك الحين وهو شخص أخر يملؤه الحزن لدرجة جعلته رجل أخر.

استمعت "سعاد" لما قالته والدتها، ورغم أنها تأثرت بالفعل بما قالت إلا إنها لم تعدل عن قراراها؛ فحملت حقيبتها واحتضنت والدتها وقبلت يديها ثم رحلت؛ لتبحث عن عمل آخر يساعدها على أعباء الحياة، التي يشاركها زوجها فيها، وتمضى بهم الأيام ـ بكفاح مستمر ـ حالهم كحال أسر كثيرة تجتهد لتجد السبيل لحياة أفضل.

- إذن زيارة أخرى غير موفقة؟؟

قالتها " سهى" وهي تستقبل صديقتها "روح"، بعد أن عادت من سفرتها فأجابت الأخيرة:

- نعم، بل إن أمي هذه المرة لم تقابلني من الأساس.
- لماذا لا تصارحيها بكل شيء؟ ربما حينها تصفح عنكِ، وتعلم لماذا كان قرارك بعدم الزواج والحياة في القاهرة.
- بماذا أخبرها يا "سهى" ولماذا أحملها أكثر مما تحتمل، فهل هناك أم على وجه الأرض تحتمل أن تعرف أن ابنتها محرومة من الأنجاب؟؟

صمتت كلتاهما بعد تلك الجملة التي قالتها "روح"، التي راحت تتذكر ذلك اليوم الذي عرفت فيه ذلك، كان ينتابها من حين إلى أخر بعض من الألم والأعراض التي لم تكن تعرف سببها، حتى ذلك اليوم الذي أشتد عليها الألم؛ وذهبت إلى المستشفى التابع لجامعتها، وأجرت كل الفحوص التي أكدت أنها تعاني من مرض، إلى الآن ليس بخبيث ولكن إن ظلت كذلك سوف يتطور؛ وعليها أن تجرى جراحة لاستئصال الرحم، وإلا كانت حياتها معرضة للخطر.

حينها لم تبلغ أحدًا من عائلتها، ولكن كررت الفحوص في أكثر من مكان وأكثر من طبيبة، حتى تأكدت من صحة التشخيص وضرورة الإجراء، وبالفعل تم كل شيء دون أن يعلم أحد ذلك إلا" سهى" فقط، هى الوحيدة التي تعلم سرها وتحفظه في خزائن أسرار القلب، قرار "روح" بألا تتزوج كان من وجهة نظرها قرارًا صائبًا؛ حتى لا تظلم رجلًا وتحرمه من أن يكون أبًا كسائر الرجال، لذا فالوحدة أفضل كثيرًا حتى وإن نظر لها الجميع على أنها

تدللت حتى فاتها قطار الزواج فليكن ذلك، لهم ما يعتقدون و الله عالم غيب السماوات والأرض خبير بذات الصدور.

قامت" سهى" من مجلسها واحتضنت صديقتها، التي شعرت لوهلة من الزمان إنها نكأت جروحها دون أن تقصد، فبادرتها هي بابتسامة رضا تعنى العرفان منها؛ لأنها دائمًا بجوارها حتى في أصعب الظروف، كان ذلك الحديث في دار الحضانة الصغيرة التي أسستها "سهى" بجوار المكتبة الخاصة ب"روح"، فأصبح عملهما بجوار بعضهما البعض تلتقيان كل يوم دون فراق، دخلت "همس" ذات الستة أعوام تركض نحو "روح" التي فتحت ذراعيها لتحتضنها بحنو وأمومة، لم تحرمها الأقدار من وجودها بقلبها حتى وإن كانت غير قادرة على تحقيقها في الواقع.

- لا أعلم ما هذا الرابط الذي بينك وبين تلك الفتاة؟؟

قالتها " سهى" وهي تداعب وجه "همس" وتبتسم، فأجابتها "روح":

- أنا نفسي لا أعلم ما هو ذلك الرابط، ولا أرغب حتى في أن أعلم شيئًا سوى أنى أحب تلك الفتاة كثيرًا.

ثم أخذت تداعبها و"همس" تضحك ببراءة تحاكى براءة الزهرة الساحرة حين تتفتح بتلاتها لتلامس أنوار الحياة.

- اجتماع طارئ لكل رؤساء أقسام الشركة، أبلغهم جميعًا بالحضور عند الواحدة ظهرًا، رجاءً لا تنسِ أحدًا.

كان ذلك حديث سكرتيرة "سالم عمران" صاحب الشركة، ورئيس مجلس إدارتها، كانت تتحدث في الهاتف لزميلها في المكتب ليجهز للاجتماع واستطردت تقول:

- اليوم غضبه أكثر بسبب خسارة الشركة في الصفقة الأخيرة، أتمنى أن يمضي الاجتماع بسلام دون أن يفصل أحدًا من عمله، أو يوقع جزاءات على العاملين.

كان الجميع يهابه ويخشى بطشه، ولكن أيضًا يلتمسون له الأعذار، ولكن تلك الأعذار أحيانًا لا تكون كافية لاحتمال طباعه القاسية.

مضى الاجتماع ومضى معه اليوم بكل ما فيه، وعاد في نهاية المطاف إلى منزله واستقبلته "أم سعاد" كعادتها حيث كانت هي الشخص الوحيد الذي لا يحدثه بشكل غير لائق لما لها من مكانة عالية بقلبة، منذ كانت والدته على قيد الحياة، لدرجة أنها كانت تناديه "يا بنى" دون أن يغضب لأنها بالفعل شاركت في تربيته مع والدته.

- هل أجهز لك العشاء يا بنى؟
- لا شكرًا لا أرغب في تناول شيء، سوف أخلد للنوم.

ذهبت "أم سعاد" وتركته يرتاح، صعد الدرج في الفيلا الصغيرة التي أصبحت كبيرة لقلة السكان، لم يتبق فيها سواه هو وابنته "همس"، وعدد من الخدم الذي بات قليلًا أيضًا بعدما رحل كثير منهم، في طريقه إلى غرفته مر بجوار غرفة "همس" التي كانت تغط في نوم عميق، كانت ملائكية الملامح، خفيفة الظل، طفلة تسحر قلب كل من يراها فيحبها،، وكأنها قطعة منه إلا والدها كان بينه وبين حبها أسوار عالية لا يستطيع أن يهدم منها طوبة واحدة، أمسك مقبض باب غرفتها ليفتحه ويلقى عليها نظرةً من بعيد، ولكنه تراجع في أخر لحظة، وأكمل خطواته صوب غرفته وألقى بجسده المنهك وقلبه

المبعثر وعقله الذي أتعبته الأفكار والأقدار كثيرًا على الفراش، دون حتى أن يبدل ملابسه وسافر في رحلة نوم عميقة، لم يستيقظ منها إلا في صباح اليوم التالي، على دوامة العمل مرة أخرى، وهكذا تمضى به الحياة في سلسلة متتالية من المحاولات اليائسة للهروب من نفسه المتألمة.

جلست "روح" داخل مكتبتها تراجع الفواتير، وتحاول قدر الإمكان التوفير في المصروفات؛ حتى تستطيع تجاوز الضائقة المالية التي تمر بها، كانت مكتبتها صغيرة وفريدة من نوعها، فكرة المكتبة جاءتها من باب عشقها لكتب الأطفال، كانت تقرأ في تلك الكتب بنهم شديد، وباتت تعرف أشهرها والمترجم أيضًا منها، وتحفظ كل تلك الحكايات عن ظهر قلب؛ فقررت أن تفتتح مكتبة مخصصة فقط لكتب الأطفال، وبما أنها بجوار دار الحضانة الخاص بصديقتها فكانت تأمل في أن تعمل جيدًا، وتكون حركة الشراء مُرضية، ولكن ذلك لم يحدث؛ فبدأت تمر بمشكلات مادية، تحاول جاهدةً أن تجد لها حلًا.

تركت الأوراق من يديها وقالت هامسة:

- حقًا أنا بحاجة لفنجان قهوة.

كانت سوف تعده، ولكن فكرت في أن تذهب ل"سهى" وتنعم بقهوة صباحية طيبة مع رفيقتها، وبالفعل أغلقت باب المكتبة وذهبت.

دخلت دار الحضانة ومع أول خطوة تجاه غرفة الإدارة، لاحظت بعض الاضطراب في المكان؛ فأسرعت لترى صديقتها فوجدتها في مكتبها تمسك بهاتفها وتجرى مكالمة واضح أنها لم تكتمل، ثم تعاود الاتصال مرة بعد مرة دون أن يجيبها المتلقي.

- ماذا حدث يا "سهى" لِمَ كل هذا التوتر.
- "همس" درجة حرارتها مرتفعة جدًا، ولم تجد الإسعافات، التي أجريناها لها أي نفع، ولابد من أن يراها طبيب، وأنا الآن أتصل بوالدها حتى يأتي لاصطحابها لطبيب أو يسمح لنا نحن أن نفعل ذلك ولكن لا يجب، اتصلت به أكثر من عشر مرات دون فائدة، والبنت بالفعل مريضة وأنا أخشى أن يصيبها مكروه لا قدر الله.
- إذن لماذا الآنتظار، نأخذها نحن لطبيب على الفور.

لا أستطيع فعل ذلك، أنت لا تعلمين من يكون والدها، ربما لو فعلنا ذلك تعرضنا منه لغضب شديد.

- إذن سوف أفعل أنا ذلك على مسؤوليتي وليكن ما يكون، بإمكانك أن تقولي أنى شريكتك في الدار، وفعلت ذلك على مسؤوليتي.

كان قرار "روح" وكلماتها صادمة وحاسمة في ذات الوقت، وقبل حتى أن تعترض "سهى" على ذلك كانت بالفعل نفذت ما قالت؛ حملت "همس" بين أحضانها وذهبت إلى أقرب طبيب أطفال في المنطقة، ومن حسن الحظ أو من سوؤه _ذلك الذي سيتضح فيما بعد_ أن ذلك الطبيب كان في نفس البناية التي تقطن فيها "روح" كان من أطيب جيرانها فلم يتأخر في تلبية نداءها وأتم ل"همس" كل ما يلزم، وكتب لها الأدوية التي تحتاجها وطلب منها أن تداوم على كمادات الماء حتى تنزل درجة الحرارة إلى الدرجة المطلوبة، أخذتها وصعدت إلى شقتها وقامت برعايتها لأكثر من ساعتين، حتى بدأت بالفعل درجة الحرارة مستقرة، كانت "سهى" تتابع ما يحدث وهى في قلق شديد من ردة فعل والد "همس" حين يعلم تصرفهم دون أذنه، كانت تعرفه جيدًا وتعرف أيضًا طباعه الحادة، قاطعة "روح" شرود صديقتها وهى تداعبها قائلة:

- ماذا بكِ يا غاليتي، مما تخشين هكذا؟؟
- أنت لا تعرفينه فيحق لكِ الدعابة.
- من يكون حتى يصيبك بكل هذا القلق؟!!
- "سالم عمران" ربما لا تكوني قد سمعتي عنه من قبل، ولكن إن رايتي من طباعه صدقها سوف تدركين ما أقصده بخوفي.
- فليكن ما يكون، أنا تصرفت كما أخبرتك بكامل إرادتي، وأنا المتحملة المسؤولية، لا تقلقي يا صديقتي.

ظلت "سهى" تحاول الاتصال به حتى اقترب المغيب، وفي النهاية أجاب الاتصال وحين علم ما حدث حمل ثورته وذهب إلى دار الحضانة ظنًا منه أن "همس" هناك، وحينها أخبروه بعنوان "روح" والذي لم يكن بعيدًا عن الحضانة إلا بمقدار شارعين، وما هي إلا دقائق معدودة حتى كان بالفعل هناك أمام باب الشقة.

استمعت كل منهما إلى ذلك الطرق العنيف على باب الشقة، وقد أبلغتهم إحدى المدرسات بالحضانة بأن والد"همس" أخذ العنوان ليذهب لإحضارها، ففطنت كلتاهما لهوية ذلك الزائر.

فتحت "روح" الباب لتجد أمامها رجل طيب الملامح صادق العين، تبدو من ملامحه أنه مازالت بداخله حياة، وليس وحشًا كاسرًا كما يصفه كل المتحدثين عنه، كانت تبحث في قسمات وجهه عن ذلك الآنسان الذي يختبئ خلف الثائر، الذي يتلفظ بكلمات جارحة ويتوعد ويهدد، كان الحوار بينه وبين صديقتها مستمرًا، والتي كانت تحاول أن تهدئ من روعه دون جدوى، كانت "روح" تتابع كل ما يجرى دون أن تشترك في الحديث بكلمة واحدة، حتى يبدو أنها أيضًا لم تستمع إلى سيل التهديدات التي كان يقولها "سالم"، ثم أنهى حديثه ودخل داخل الشقة وحمل "همس" التي كانت بالكاد بدأت تفتح عينيها،

وتتنفس بشكل منتظم.. حملها وهم بالرحيل لولا أن استوقفته "روح" بكلماتها:

- "سالم بيك" كنت أتمنى أن تكون ضيًّاف مرغوبًلا فيه في بيتي؛ لأقدم لك واجب الضيافة، الذي يليق بك، ولكن لولا وجود" همس" ولولا حالتها الصحية تلك، التي لم تشغل بالك حتى بالسؤال عنها، ما كنت سكت عن كل تلك الإهانات، ولكن لن أرد على ما قلت قط من أجل تلك الطفلة البريئة، التي أشفق عليها حقًّا لأنك والدها.

ثم ذهبت لتحضر وشاحها لتغطى به "همس" وهي تربت على يديها الصغيرتين لتطمئنها بلمسة حانية، هي في أشد الحاجة إليها، ثم وضعت في يديه حقيبة صغيرة بها كل العقاقير، التي وصفها الطبيب وأيضًا الورقة التي كتب فيها الإجراءات اللازمة لإتمام العلاج.

أخذ "سالم" ابنته وذهب دون أن يرد على حديث "روح" ولا يعلم في قرارة نفسه لماذا لم يرد على كلماتها، لأول مرة يستطيع أحد أن يوقف غضبه ويجعله صامتًا غير قادر على مواصلة الحديث، ظل يفكر فيما قالته، حتى وصل إلى سيارته وفتح الباب الخلفي ووضع ابنته، وقد عادت إلى النوم مرة أخرى تحت تأثير ما تناولته من عقاقير قد وصفها الطبيب، وشدد على ضرورة الالتزام بها.

أدرك في لحظة قصيرة من الزمان أنه قد مضى وقت طويل لم يحتضن فيه ابنته كما هو حاله الآن، فهل لابد من مرض يصيبها حتى يتذكر حاجتها إليه وإلى حنانه، الذي لا يعوضها عنه أي شيء مهما كان، أغلق باب السيارة بعد أن تأكد من سلامة مجلسها في المقعد الخلفي، ثم جلس في مقعد القيادة وبدأ طريق العودة إلى المنزل، وقرر عدم العودة للعمل في ذلك اليوم، طوال الطريق كان يلقى نظرة خاطفة من حين إلى أخر على "همس" ليطمئن عليها،

أمضى ليلته شارد الذهن، يفكر في تلك الكلمات، التي قالته له متهمة إياه بأنه لم يهتم بالسؤال عن حال ابنته أكثر من اهتمامه بخلق مشكلة، ليس لها اهمية أمام صحة ابنته الوحيدة، كانت المرأة محقة فيما قالت، هو بالفعل لا يهتم بأي شيء يخص "همس" وأحيان كثيرة ينساها تمامًا.

ما ذنب تلك الطفلة الصغيرة التي لم تعلم من آلام الحياة شيئًا بعد، لماذا يعاقبها دومًا على رحيل والدتها وحبيبة عمره، بل لماذا يعاقب الجميع على أقداره بدلًا من أن يتحملها هو بكل شجاعة ورضا، كل تلك الأفكار كانت تدور بعقله وتبدل أشياء وتلوم أشياء أخرى حتى استقر به الحال، وقد غفا بجوار"همس" حتى شروق شمس الصباح التالي.

أيام متتالية مضت بعد ذلك اليوم العصيب، الذي تغيرت فيه أشياء كثيرة، كانت "روح" غارقة في التفكير في حل لكل ديونها وفواتيرها المتراكمة، حتى باغتتها "سهى" بالحديث لتخرجها من دوامة الفكر:

- صباح الخير، انتظرتك لنشرب القهوة سويًا ولم تأتى.
- صباح النور، لم أشتهى شيء منذ الصباح، أفكر فقط في حل، أخشى أنى وصلت إلى طريق صعب سوف ينتهي بالتخلي عن المكتبة.
- ماذا تقولين، تتخلين عن مصدر رزقك، لا لابد أن نجد حلًا، نفكر سويًا ونجد حلًا إن شاء الله.

طمأنتها صديقتها بكلماتها البسيطة والتي لا تخفي قلقها أيضًا من وضع صديقتها المالي، انقضى اليوم ما بين العمل والتفكير والأمل واليأس، حتى تبدل نور الشمس وحل ضياء البدر محله، عادت إلى منزلها لتنعم بنوم هادئ ينسيها ما مضى في يومها من تفكير مرهق دون الوصول إلى حل يخرجها من تلك الأزمة التي باتت تهدد مصدر رزقها، أغمضت عينيها لتستقبل تلك

الغفوة التي تصبو إليها وبالفعل قد كان واستسلمت لنوم عميق يزيح عنها ستار القلق.

مضى أكثر من ثلث الليل فإذا بطرقات على بابها تنفذ إلى مسامعها لتوقظها من سباتها العميق، انتفضت من فراشها مذعورةً، من عساه يأتيها في هذا الوقت المتأخر من الليل، كان حارس البناية في إجازة هو وزوجته وأبناؤه بعد أن سمح له السكان بالسفر يومين لقريته، على أن يعود في اليوم الثالث، حتى لا تبقى البناية دون حراسة، وذلك تحديدًا ما زاد من خوفها، اقتربت من باب الشقة؛ ونظرت من العين الصغيرة التي يطلق عليها البعض (العين السحرية) التي تسمح لها برؤية الطارق، نظرت من خلالها مرة بعد مرة، وكأنها لا تصدق ما تراه بعينيها، كان هو، نعم هو رغم أنه مضى أكثر من أسبوعين، حين أتى ليأخذ ابنته إلا انها تتذكر ملامحه جيدًا. لماذا يأتيها في مثل هذا الوقت المتأخر ولماذا يأتيها من الأساس؟!! كل تلك الأفكار كانت تعصف بقلبها وعقلها وتحثها على أن تتصرف بحكمة في مثل هذا الموقف غير المتوقع، كان "سالم" خلال ذلك مستمرًا في الطرق على الباب دون توقف، حتى أنها خشيت من أن يوقظ الجيران بذلك الصوت، فما كان منها إلا أنها تحلت بالشجاعة وفتحت الباب، وهي تحاول أن تبدو متماسكة رغم ما يغلف نفسها من خوف من ذلك الرجل، الذي لم يعد يتصرف تصرفات غير منطقية... ربما أصابه جنون ما.

- "سالم بك" كيف تطرق بابي في مثل ذلك الوقت المتأخر، هل جننت؟؟، من فضلك اذهب الآن من هنا، وإلا حدث ما لا يحمد عقباه.

وقبل حتى أن تنهى "روح" كلماتها كان قد دفعها داخل الشقة وأغلق الباب خلفه، وقفت هي ترتجف من ذلك الكائن، الذي يقف أمامها والذي ظنت لبعض الوقت أنه لم يعد من البشر، نظرت إلى هيئته فوجدته غير مهندم كما

اعتادت أن تراه، ويبدو عليه أنه لم يحظ بنوم لليالٍ كثيرة سابقة، وحين بدأت تلك الرائحة النفاذة تصل إلى أنفاسها بعد أن غمرت المكان، علمت وتأكدت أنه مخمور، لا أحد بمقدورة أن يصدق أن ذلك الرجل الذي يناديه الجميع ويخاطبونه بوقار وبصيغة "بك" يعاقر الخمر ويصل به الحال إلى ذلك الوضع.

_نعم لا أحبها ولا أرغب في وجودها، أخذوا منى حبيبتي ووضعوها في يدي، لم أكن أرغب في أطفال، فقط كنت أريد أن أحيا العمر بأكمله مع من أحب، قلت لي أنى لم أهتم بالسؤال عن صحتها نعم لا أريدها، هل سمعتي ما أقول؟؟ لا أريدها لا أريدها.

ظل "سالم" يصرخ بتلك الكلمات، وهي تقف أمامه مصدومة مما يقول، وبالطبع فهمت ما يقصد بكلماته، هل حقًا يتحدث عن "همس" عن تلك الطفلة البريئة التي يعشقها كل من يراها، من يصدق أن والدها لا يريدها، ظلت تنظر إليه وهو في تلك الثورة يتحدث ويحطم كل ما يقترب من يديه من أثاث، لم تتحدث إليه ولم تحاول حتى الاستعانة بأحد ليخرجه من بيتها، تركته يخرج كل ذلك الغضب الذي كان يستوطن قلبه ونفسه، حتى سقط على أقرب مقعد وغفا كطفل صغير أتعبه اللهو والركض في شتى بقاع الكون، ومن ثم العودة إلى الوطن.

كان "سالم" بالفعل قد غفا وجسده ملقً على ذلك المقعد الكبير، جبينه يتصبب عرقًا وبين الحين والأخر يهمهم بكلمات غير مفهومة، فاقتربت منه وأمسكت بيده فإذا بدرجة حرارته مرتفعة، ويبدو في حالة وهن شديدة، أسرعت تحضر بعضَ الماء البارد وكمادات؛ لتحاول أن تخفف من درجة حرارة جسده، التي كانت تبدو إنها آخذةً في الارتفاع.

بالفعل تمكنت من تحسين الحال إلى قدر كبير، وكانت خيوط الفجر قد أوشكت على الاقتراب؛ فذهبت لتحضر غطاءً ووسادة بصعوبة بالغة استطاعت أن تحرك رأسه، وتضع تحتها الوسادة، وأحكمت الغطاء عليه حتى لا تسوء حالته أكثر، ثم تركته وذهبت إلى غرفتها وأغلقت بابها بإحكام، فهي مازالت تخشى من ذلك الغريب، الذي اقتحم ليلها فجأة دون سابق إنذار، ويبدو أنه لم يقتحم الليل فقط فهناك شيئًا بداخلها حقًا أشفق عليه مما قاله، هذا الرجل يحمل بقلبه أثقالًا كثيرةً جعلته على تلك الشاكلة، وخلاف ذلك فهو ليس بكل تلك القسوة التي يبدو عليها.

يقولون إن نور الشمس أحيانًا يجلب معه حياة جديدة، وحين أشرقت الشمس في ذلك اليوم جلبت معها بالفعل حياة بقلب "سالم" الذي فتح عينيه ونظر حوله دقائق معدودة حتى أيقن أنه ليس بيته، وفطن أيضًا إلى تلك الحماقة التي يبدو أنه أقدم عليها دون أن يدرك ذلك، تحت تأثير ذلك اللعين المسمى بالخمر، ماذا عساه قد يكون فعل؟؟ أتراه أذاها بكلمة أو تصرف أو أن يكون فعل ما لا يمكن الصفح عنه؟؟؟ كل تلك الأفكار تبددت حين رآها تخرج من المطبخ، وهي تحمل بعض أغراض الإفطار ووجهها المبتسم كعادتها يطمئن فؤاده وتقول:

- صباح الخير، أسأل الله أن تكون اليوم أفضل.
- صباح النور، أعتذر بشدة، أنا حقًا لا أعلم ما الذي أتى بي إلى هنا، أرجو أن أكون لم أسبب أي أذى.

قاطعته قائلة:

- لا داعٍ للحديث الآن، أنت بخير ويكفي ذلك فالخير والصحة والعافية من أغلى نعم الرحمن على عبادة، هيا للإفطار وليكن بعلمك لن تذهب دون أن تأكل شيئًا.

كان ينظر إليها وكأنه يراها لأول مرة، كان يتوقع معاملة قاسية بل أنه كان يتوقع أن تطرده من بيتها، وتهدد وتتوعد كما اعتاد هو أن يتحدث بالوعيد، على العكس تمامًا وجد أمامه نفسًا صافيةً لا تحمل له أي ضغينة، نفسًا حانيةً تفيض نسائم رقيقة يصفو بها الوجدان، ظل صامتًا وهي تكمل تجهيز الإفطار.

- هيا لابد أن تأكل شيئًا حتى تستطيع أن تذهب إلى بيتك وتتعافي، ولكن نصيحة لا تقود السيارة أنت ما زلت مرهقًا، اتصل بسائقك ليأت لاصطحابك.

وافقها الرأي بإيماءة من رأسه وهو يجلس على مقعد السفرة كما أشارت هي إليه أن يفعل، وقدمت له فنجان من القهوة بجانب الطعام، وقالت مازحه إياه:

- أتمنى أن تروق لك قهوتي.

أبتسم وهو يقول:

- وأنا أتمنى ألا أكون قد تسببت لكِ في أذً أو إزعاج.
- لا تقلق حدث خير، بالطبع انزعجت مما حدث ولكن لم يكن هناك أي أذً حمدًا لله، ولكن لا تنس أننا في مجتمع شرقي، وأنا أحيا لوحدى؛ لذا فرجاءً حين تذهب تحاول ألا يلاحظ أحد أنك كنت هنا، لأني لن أسلم من الألسنة والنوايا السيئة.
- أعتذر حقًا عما سببته لكِ من حرج، وأسمح لي أن أرحل الآن.
- ليس قبل أن تنهى قهوتك وإفطارك.

ابتسم كلاهما وشاركتهما تلك القهوة الصباحية الحائرة الابتسام ببعض من أريجها الآخاذ.

بعد ذلك الصباح تغيرت أشياء كثيرة بقلب "سالم" لم يكن يتبين أن ذلك الذي أصابه هو بداية عشق، ولكنه فقط كان يشعر بأنه يرغب في رؤية "روح" كلما تثنت له الفرصة، فكان يذهب إلى دار الحضانة التي كان يظن أنها شريكة بها، حتى علم أنها ليست كذلك، وعلم كل شيء عنها وعن مكتبتها وحبها للأطفال وعن حياتها وحيدة، كان يستشعر أن هناك سرًا ما بحياتها يجعلها عازفة عن الزواج، رغم ما بها من جمال الروح والشكل والطباع، ولكنه رغم كل تحرياته عنها إلا أنه لم يستطع أن يعرف ما هو ذلك السر.

ما تغير بقلبه حقًا هو بداية تقربه ل"همس" وكأنه تذكر فجأة أن لديه ابنة تستحق حبه ورعايته، أصبح يقضى وقتًا أكثر معها، وذلك الوقت هو ما منحة راحةً نفسيةً وبعضًا من الاتزان، أنعكس على شتى جوانب حياته.

- "روح "،"روح"، وجدت الحل أين أنت؟؟

دخلت "سهى المكتبة وهي تنادى على صديقتها وتنبأها بأنها توصلت إلى حل لمشكلتها المادية.

- أنا هنا، انتظري، قادمة إليك.

ألقت ما بيديها من كتب كانت تعيد ترتيبها على الأرفف، وذهبت لتستقبل صديقتها.

- إذن ماذا وجدتي أبشريني؟
- قرأت اليوم عن إعلان أحد البنوك يمنح قروضًا شخصية بضمانات بسيطة.

ابتسمت على إثر ما قالته صديقتها صافية النية طيبة السجية، وردت على حديثها تقول:

- وهل أملك أي ضمانات أقدمها للبنك يا "سهى"، هل نسيت إني لم أعد أملك شيئًا؟؟

امتقع وجه الصديقة وشعرت بسخافة الفكرة وقالت في يأس:

- إذن ما الحل؟؟؟

وقبل أن تجيب "روح" كان هناك زائر مبهج يطرق باب المكتبة بيديه الصغيرتين، كانت تلك الطرقات الصغيرة بيدي "همس" وما أن رأتها "روح" حتى أسرعت تفتح لها الباب، وتأخذها بين أحضانها لعل عطرها البريء ينسيها أثقال الحياة لبعض الوقت، ظلت تحملها بين ذراعيها لدقائق، ثم دخلت بها إلى داخل المكتبة وأجلستها على المكتب وظلت تداعبها وتضحك ثلاثتهم ثم قالت:

- كيف أتيتِ إلى هنا لحالك.
- جاءت معي أو بالأحرى أنا الذي جئت معها.

لم تلاحظ أي منهما أن "سالم" كان خلف "همس" ببضعة خطوات، وهو الذي أتى بها إلى المكتبة.

- أهلا بك "سالم بك".

قالتها "روح" وهي تحاول أن ترسم حدودًا بينها وبينه، وكأن ذلك التقارب الذي أصبح وشيكًا بينهما كأن لم يكن.

- أهلا بكما، ذهبت إلى دار الحضانة فلم أجد أحدًا منكما، فأبلغني العاملون هناك أنكما هنا، كنت أرغب في دعوتكما على عيد ميلاد "همس" يوم الجمعة القادمة، وأرغب في أن يكون الجميع معنا، حتى الأطفال في الحضانة حتى لا تشعر أنها وحيدة في ذلك اليوم.

تهللت أسارير "سهى" وفرحت جدًا بالفكرة وردت على دعوته:

- بالطبع نتشرف بذلك "سالم بك" ولكن دعني أقوم بترتيب الأمر، فلابد من استئذان أولياء الأمور قبل أن نأخذ الأطفال لذلك الحفل.
- بالطبع قومي بكل ما يلزم أستاذة "سهى" وشكرًا لكِ مقدمًا.
- عفوًا "سالم بك"، أتمنى أن يكون يومًا سعيدًا للجميع إن شاء الله.

كانت "روح" تتابع الحديث دون أن تشترك فيه ثم تحدثت قائلة:

- عذرًا أن لن أستطيع الحضور.

التفتت إليها "سهى" وهي تغمز لها بطرف عينيها مستنكرة ما تقول:

- لماذا؟؟
- لأنكِ تعلمين، لدى التزامات كثيرة وعمل لابد أن ينتهي.

قاطعها "سالم" وقد فهم أنها تتهرب من لقائه:

- يوم إجازة واحد من العمل لن يضر في شيء أستاذة "روح" وأنت تدركين مدى تعلق "همس" وحبها لكِ، فهل يجوز أن تسعد بعيد مولدها دونك، رجاءً لا ترفضي.

هزت رأسها بالموافقة فلم يكن لديها اختيار أخر بعد أن أحرجها الموقف والكلمات.

- لم أرغب في الذهاب أبدًا، ولن أذهب.

قالتها "روح" وهي تبعثر ثيابها في الغرفة، ولا تعلم إن كانت ترغب في اختيار أحدهم أو ألا تذهب من الأساس، قاطعتها "سهى" وهي تمسك أحد الفساتين المبعثرة وهي تقول:

- هذا مناسب، ارتديه سوف يليق بكِ.
- هل تغيظينني وتتجاهلين ما أقول؟؟؟
- بل أنتِ التي تتجاهلين ما يقوله لكِ قلبك.
- صمتت "روح" وهي تعلم أن صديقتها محقة، هي بالفعل تتجاهل ما تشعر به تجاه "سالم"، بل والأصعب من ذلك أنها تتجاهل ما يشير هو إليها به، تهرب من قصة حب أوشكت على أن تظهر في الأفق بوضوح.
- "سهى" تعلمين سري وتدركين تمامًا أنى لن أرتبط بأحد، نعم أعرف ولكن لست مقتنعة بذلك القرار الظالم، الذي تفرضينه على نفسك، بخلاف ذلك هل تحدث الرجل في شيء؟؟ ربما نكون نتوهم لا أكثر، لذا ليس عليك أن تحملي نفسك أكثر من طاقتها، هيا بنا لابد أن نلحق الحفل من بدايته لا تنس أنى أشرف على كل شيء، فلا تجعليني أشعر بأني خذلت ثقته في قدراتي على تنظيم الحفل.

كان الحفل بسيطًا ومبهجًا في ذات الوقت، الجميع سعداء بمن فيهم هؤلاء الملائكة الصغار، الذي يركضون في كل اتجاه، ويتبادلون الضحكات الصافية والأمل في أيام طيبة ترزقهم بها الأقدار، طوال الحفل لم تترك "همس" "روح" وكأن الفتاة كانت تتخذها أمًا لها، فكلتاهما في أشد الحاجة لذلك الشعور المتبادل، الأمومة والبنوة... أم بدون طفلة وطفلة بدون أم...اكتمال لمشاعر طيبة، تنقص كل منهما، بقيت بين يديها حتى غفت وهى بأحضانها، كان "سالم" يتابع كل شيء من بعيد، وحرص طوال اليوم على ألا يقترب

منها، حتى لا يشعرها بأنه يفرض وجوده ومشاعره عليها، كان يلاحظ إنه كلما تقدم خطوة تراجعت هي خطوات، وذلك لابد أن يكون له سبب، فربما يكون بقلبها أحد لذا لن يكون له مكان فيه.

- تفضلي، حضرتك معي نضع "همس" في فراشها.

كانت "أم سعاد" قد لاحظت كل تلك التطورات، التي طرأت على الساحة في الآونة الأخيرة، ولم تغفل أهمها وهى تعلق الطفلة بتلك الوافدة الجديدة على المنزل، ابتسمت "روح" لحديثها وأومأت برأسها تعلن موافقتها على ما قالت؛ وقامت وهى تحمل "همس" وتتبع "أم سعاد" التي كانت ترشدها إلى غرفة الطفلة، وضعتها في فراشها وأحكمت عليها غطاءها، وهمت بالرحيل إلا أن صوت حركتها أيقظ "همس" فظلت ممسكة بيدها لتجلسها؛ فانصاعت "روح" لطلبها وجلست بجانبها تروى لها بعضًا من قصص الأطفال، التي تحفظها من كثرة ما قرأتها، حتى غفت الطفلة مرة أخرى واستسلمت لنوم هادئ، قامت من مجلسها بهدوء، وخرجت من الغرفة وأغلقت الباب خلفها، والتفتت لتجده أمامها.

- "سالم بك" حضرتك هنا؟؟
- أسف للمرة الثانية سببت لكِ إزعاجًا، لم أقصد ذلك فقد كنت أمر بجوار الغرفة فلمحتك تخرجين منها، فانتظرت حتى أشكرك على كل ما قدمتيه اليوم من بهجة لابنتي شكرًا لكِ.
- عفوًا أسعدني وجودي بجوارها في ذلك اليوم، ولكن اسمح لي لابد أن أرحل الآن قبل أن يتأخر الوقت.
- السائق سوف يقوم بتوصيلكما ورجاءً لا تعترضي.

لم يكن هناك مجال للاعتراض، فلو كان عرض عليها أن يقوم هو بتوصيلها لكانت رفضت وبقوة، ولكن هو لم يدع مجالًا لذلك؛ لذا فقد قبلت.

قبل أن يغفو أمسك بهاتفه المحمول وقام بتشغيل ما سجله عليه، صوتها الملائكي وهي تروى القصة ل "همس" كان يجذبه إلى تلك الدرجة، التي جعلته يسجله على هاتفه؛ ليستمع إليه من حين لأخر، تلك المرأة شغلت بالفعل جزءًا كبيرًا من قلبه، وداوت جراحًا كثيرةً كان يظن أنها لن تندمل أبدًا، بعد تفكير كثير قرر أن يصارحها بكل شيء ويعرض عليها الزواج ومهما كان الرد فلن ييأس أبدًا.

أقترب الشهر على الآنتهاء، واقتربت معه مواعيد دفع ما عليها من فواتير، لأول مرة غلبها الضعف، وجلست تبكي دون أن تحبس دموعها بعينيها كما اعتادت أن تفعل دومًا، كانت "سهى" تحاول تهدئتها بكلمات مطمئنة، ولكن لن تحل أزمتها بالكلمات مهما كانت طيبة.

- يكفي ذلك لقد أنهكت نفسك في الحزن والتفكير، لا توجد مشكلة بدون حل.
- أين عساي أجد الحل، لقد بحثت في كل السبل دون جدوى، ماذا أفعل؟؟ سوف أبيع المكتبة لا يوجد حل أخر.

كان "سالم" يخطو خطوته الأولى حين استمع إلى كلمة البيع، ولكن تصرف كما لو كان لم يسمع شيئًا.

- صباح الخير.

التفتت المرأتان على إثر سماع التحية فحاولت "روح" أن تخفي ما بقي بعينيها من قطرات الدمع، التي رآها هو بقلبه قبل أن يلاحظها بعينيه، ردت "سهى" التحية:

- صباح النور، "سالم بك" أهلا بحضرتك، تفضل.

- أرجو ألا أكون قد قطعت حديثكما بحضوري.
- لا أبدا شرفتنا، ولكن اسمحا لي أن أنصرف.

قالت "روح" ذلك وهي تهم بالرحيل ثم تركت "سالم" يكمل حديثه مع "سهى":

- هل يوجد مشكلة؟؟ ماذا ب "روح"؟
- تفضل، سوف أروى لك كل شيء.

ثم روت له "سهى" كل شيء عن أزمة صديقتها المادية، وهو بدوره صارحها بعشقه ورغبته في الارتباط ب "روح" فما كان منها إلا أنها استطردت تقول:

- طالما الأمر كذلك فسوف أروى لك ما لم يكن مسموحًا لي بالبوح به، ولكن لأني أعلم أنها تحبك مثل ما تحبها وأكثر، فلن أصمت أكثر من ذلك، فلم أعد أتحمل ذاك السر الذي بات يثقل كاهلي، وأنا لا أستطيع أن أساعد شقيقة روحي، روت له "سهى" عن سر صديقتها وعن قراراتها التي ظلمت بها نفسها، حتى بقيت وحيدة حتى هذا العمر، ثم أتمت حديثها بحقيقة جلية لابد أن يعلمها ويفكر فيها قبل أن يقدم على مفاتحتها في موضوع الارتباط:
- لك أن تدرك أنها لن تستطيع أن تمنحك أبناء لذا فعليك أن تقرر جيدًا قبل ان تصارحها برغبتك في الزواج منها، حتى لا تسبب لها جراحًا جديدًا بقلبها الذي اكتفي من جراح أقداره.
- بل أنى الآن متمسك أكثر بالزواج منها، ليس من باب الشفقة على حالها، ولكن لأني بالفعل أعشقها بكل ما أوتيت من قلب، ولا أتمنى لنفسي زوجة سواها.

تهللت أسارير "سهى " لما قاله وفرحت لما أتى لصديقتها من خيرات، أكمل حديثه يقول:

- دعينا نجد حل لأزمة المكتبة أولًا ولأنى أعلم أنها لن تقبل منى المساعدة لأنها عزيزة النفس، وسوف تربط ذلك بحبي لها فلابد أن نجد حلًا أخر، نعم وجدته.

ثم أمسك هاتفه وقام بتشغيل المقطع الصوتي الذي كان قد سجله لها من قبل وهى تروى القصة ل "همس"، استمعت "سهى" للصوت والقصة ونظرت إليه وهي لم تدرك بعد ما يرنو إليه، فاستطرد يوضح لها ما يقصد:

- جاءتني فكرة ولكن أحتاج إلى مساعدتك فيها، لو استطعنا أن نجعلها تسجل مجموعة قصص للأطفال بصوتها سوف نقوم بإصدارها على أسطوانات رقمية ونطرحها في الأسواق، وأنا سوف أتولى ذلك فقط كل ما عليك أن تجعليها تسجل هذه القصص.

الفكرة رائعة حقًا ونالت إعجاب "سهى" التي أخذها الحماس فقالت له:

- إذن اتفقنا سوف أقنعها بأن تقوم برواية قصص كل يوم للأطفال هنا في الدار، وسوف أقوم بتسجيلها وجمعها وأرسلها إليك.
- إذن اتفقنا ولكن لا تخبريها بشيء حتى يتم طرح الأسطوانات في السوق، وحين تؤتى ربحها سوف تسدد بها كل ديونها ولن تضطر إلى بيع المكتبة.

تم الاتفاق بين أحبابها على مساعدتها، ولكن دون أن تعلم، جرى العمل على قدم وساق، وتم طرح الأسطوانات في الأسواق في وقت قصير جدًا، ولاقت رواجًا بين الناس، حيث أنه استعان بمهندس صوتيات، دمج صوتها الملائكي وهى تروى الحكايات بمقاطع موسيقية ساحرة، فخرج شكلًا جديدًا من أشكال

الإبداع، الذي لا يقاومه أحد، كان الإقبال كبير والمبيعات مجزية، وهى لا تعلم أي شيء عن ذلك، حتى جاءتها "سهى " ذات صباح لتبشرها بانفراج الأزمة، وتروى لها ما كان، في البداية غضبت من صديقتها التي لم تخبرها منذ البداية، ولكن بعد ذلك أسعدها ما كان وأسعدها أيضًا أنها لن تضطر لبيع المكتبة.

- هل يحبني كل هذا القدر؟؟
- نعم وأكثر ولكنه لاحظ أنكِ لا تقتربين منه مثل ما يفعل هو، لذا ابتعد حتى لا يفرض نفسه على قلبك.

كان "سالم" قد طلب من "سهى" ألا تخبرها أنه علم سرها الكبير، ولا أنه يرغب في الزواج منها حتى يجهز هو مفاجأة تليق بذلك العشق الذي جمع بين قلبيهما، وحتى لا تعتبر طلبه للزواج منها شفقة لحالها وعدم قدرتها على الأنجاب.

- هل أذهب إليه لأشكره أم ماذا على أن أفعل الآن!!!
- هذا القرار عائد إليك يا "روح" ولا أستطيع أن أقرر عوضًا عنكِ، هو حقًا يحبك حبًا صادقًا والذي أراه أنا الآن في عينيكِ حبًا متبادلًا له، فلماذا يا رفيقة عمري تحرمين نفسك من ذلك الفرح، الذي تستحقينه بعد كل ذلك الحرمان، الذي أمضيت فيه سنوات عمرك الماضية.
- دعينا لا نستبق الأحداث، سوف أذهب لأشكره الآن ونرى إلى أي سبيل تأخذنا الأقدار.

ذهبت إلى شركته ولكن لم تجده هناك، فكرت أن تذهب إلى المنزل ولكن ترددت كثيرًا ثم قررت في النهاية الذهاب، نزلت من سيارة الأجرة ونظرت على البوابة فإذا بها مغلقة، فذهبت لتسأل الحارس الذي يقف بجوارها

فأخبرها أنه لا يوجد أحد بالداخل، جميعهم سافروا ولا يعلم متى يعودون من سفرهم حتى "أم سعاد" لم تكن بالداخل، أصابها بعض الضيق لا تعلم سببه، هل لأنها بالفعل تشتاق إلى رؤيته أم أنها ترغب فعلًا في شكره، حتى لا تشعر أن لأحد عليها جميل.

في نهاية ذلك التفكير عادت إلى منزلها للراحة بعد كل تلك الأحداث المتلاحقة، كان المغيب قد مضى عليه أكثر من ساعة، وبدأت الساعات الأولى من الليل، صعدت إلى شقتها وفتحت الباب، ثم مدت يديها لتبحث عن مفتاح الإضاءة لتنير خطواتها، وما أن أضاءت نور الشقة حتى رأت أمامها مفاجأة لم تكن تجرؤ حتى على أن تحلم بها في خيالها.

رأت والدتها تقف أمامها وتنظر إليها نظرة حانية لم تراها منذ سنوات عديدة، قاطعتها فيها وكانت ترفض حتى الحديث معها، شعرت لبرهة من الوقت أنها بالفعل تحلم، وأن ما تراه بعينيها مجرد حلم يقظة، ولكن حين فتحت والدتها ذراعيها لتحتضنها وارتمت هي في ذلك الحضن ـ الذي هو بكنوز الأرض وما فيها ـ علمت أنها حقيقة وتبينت أنه الصفح، الذي طالما تمنته ودعت الله كثيرا بأن يرزقها إياه.

- لماذا يا ابنتي تتحملين كل ذلك لحالك، لماذا لم تخبريني بسرك وتحملت قسوتي عليك حتى لا تحمليني كل ذلك الألم.

نظرت "روح" فوجدت "سهى" تظهر من داخل الغرفة الداخلية في المنزل، وعلمت أنها قد باحت لوالدتها بسرها فبادرتها تقول:

- سامحيني صديقتي فلم أعد أحتمل أن يبقى هذا السر بقلبي أكثر من ذلك.

كانت "سهى" تملك نسخة من مفاتيح شقة "روح" لذلك تمكنوا من الدخول وانتظارها فيها، ثم تمت المفاجأة الكبرى حين توافد الحاضرون جميعًا من الأهل والأشقاء، الذين لم يكونوا قد رأوها منذ أعوام كثيرة.

توالت المصافحات والأحضان دون عتاب، فلم يعد هناك مجال للعتاب واللوم بعد ذلك، ثم ركضت "همس" نحوها لتستقر في أحضانها وإذا بتلك الشقة الصامتة على الدوام تعج بضجيج مبهج وبأرواح وقلوب صفحت عن كل ما مضى، ولكن مازال الحضور ناقص وذاك النقصان أكتمل حين ظهر هو من بين كل الحاضرين، تقدم "سالم" خطوات نحوها وهو يقول:

- لم أرغب في طلبك للزواج وأنت وحيدة، لا تستحقين تلك القسوة التي فرضتينها على نفسك بنفسك، كل تلك السنوات، لذا ذهبت إلى سوهاج وسمحت لنفسي أن أفشى ذلك السر، الذي قيدت به قلبك دون مبرر، وحين علم الجميع حقيقة الأمر عادوا معي لنجتمع حولك، ونبدد وحشة الظلام بأنوار الحب، الذي يغمر قلوبنا لقلبك، أما الآن فهل تقبلين أمام الجميع بأن تكوني " روح سالم عمران"؟؟؟

تلك الفرحة التي غمرت القلوب استطاعت بسحر نقائها أن تمحو كل آثار سنوات القطيعة العجاف، التي قطعت الوصل بين أرواح لا تستطيع أن تحيا بسعادة بعيدًا عمن تنتمي إليهم.

(قد نقسو على أنفسنا وقلوبنا ثم تحنو علينا الأقدار فيمنحنا الله من جميل رزقه أكثر مما نتمنى)

ثوباز

تصطف سيارته الفارهة أمام البوابة الرئيسية للمؤسسة الاستثمارية العريقة، التي لا يعرف عنها شيئًا ولا يحضر إليها إلا كل عدة أشهر، ربما حين يتذكرها أو حين يحتاج إلى مبلغ كبير من المال؛ فيأتي إلى والده يمنحه إياه، الجميع يتقرب إليه وينتفع من صداقته ماديًا، لم يحبه أحد لشخصه ولكن فقط لماله الوفير، الذي لا يقدر قيمته؛ لأنه بالطبع لم يجتهد في الحصول عليه، تلك المؤسسة الاستثمارية يديرها والده وزوجته، التي يسعدها فشل ابن زوجها في العمل والإدارة؛ لتستحوذ لنفسها بكل القرارات الهامة، وتجمع مقاليد الأمور وخيوط العمل في يديها، كان "شادي " الابن الوحيد لأبيه، الذي كان على درجة كبيرة من الدلال، الذي يأخذ صاحبه صوب الفشل المبين.

يدخل من بوابة المبنى الرئيسي متجهًا إلى مكتب والده، الذي ربما يكون لم يراه منذ عده أشهر أمضاها في السفر والحفلات والسهرات، وكل ما ليس منه نفع، وإن حق التعبير كل ما يسبب الضرر، يتمم الزيارة والغرض منها ثم يعود إلى حيث الحياة، التي لا تشبه الحياة مطلقًا.

- انظر يا أبى، أنهيتها كما تمنيت أن تكون.

قالتها "لقاء" بحماس شديد، وهي تمسك بقطعة خشبية شكلتها على طراز الأرابيسك العربي البديع، نظر إليها والدها وهو يبتسم:

- لم تفقدين مهاراتك أبدًا ولا عشقك العجيب للأرابيسك، ولكن ألم تلاحظين شيئًا؟

طرح ذلك السؤال وهو ينظر إلى ساعة الحائط المعلقة على جدار الورشة؛ ليشير إليها بأن الوقت قد تأخر.

- لقد تأخرت على العمل، لم أشعر بالوقت وخاصة حين أمسكت بتلك القطعة الساحرة بين يدي، وكأن الزمان قد توقف.

أخذت حقيبة يدها ونفضت غبار الأخشاب عن ملابسها، وقبلت والدها لتذهب مسرعة إلى العمل، كانت منذ طفولتها تهوى الوقوف بجانب والدها في ورشة النجارة خاصته، التي مضى على إنشائها أكثر من عقدين كاملين من الزمان، كان مثلها الأعلى في العمل والأمانة، لم يطعمهم قط إلا من رزق طيب حلال من عمل يديه، وحين أصبحت فتاة ناضجة الفكر والقلب تمنت زوجًا يشبه أبيها في الاعتماد على الذات واتقاء الله في كل شيء، حتى في الكلمة التي تنطقها شفتاه.

كانت عربة السيدات بمترو الآنفاق في ذلك اليوم مزدحمة إلى حد خانق بالكاد وجدت موطئ لقدميها؛ لتقضي المسافة واقفة حتى تصل إلى محطتها المنشودة، أمامها يوم عمل طويل مرهق، ولكن لا بأس كانت سعيدة بذلك الاجتهاد فهي لم تحصل على تلك الوظيفة بسهولة، فلولا صديقتها التي توسطت لها لما حصلت عليها، تمنت أن تصل إلى شأن أعلى من ذلك؛ حتى تشارك في متطلبات الحياة ومصاريف دراسة أشقائها، الذين كانت أكبرهم، حالها كحال كثيرين من حاملي الشهادات، الذين لم يجدوا عملًا يليق بما تحصلوا عليه من شهادات؛ فارتضوا بما منحتهم إياه أقدارهم.

حصلت على شهادتها الدراسية في التجارة وإدارة الأعمال وانتهى بها الحال في مجال السكرتارية، ارتضت بذلك خيرًا من أن تجلس في المنزل دون عمل، وتشكل عبئًا جديدًا مثقلًا على والدها.

وصل المترو إلى المحطة وترجلت منه لتلحق بموعد العمل، الذي بالفعل كانت قد تأخرت عليه ما يقرب من النصف ساعة، وقبل أن تدخل من البوابة لاحظت السيارة باهظة الثمن مستقرة أمام الباب الرئيسي للمؤسسة؛ فعلمت حينها أن المدلل قد أتى.

كم كانت تمقت ذلك الرجل ولا ترغب في رؤيته ولو حتى عن طريق المصادفة، لم تكن حاسدة له؛ لأنه من طبقة غنية وهى من طبقة فقيرة، بل على العكس تمامًا كانت تشفق على حاله، فهي ترى أن من لا يعمل يعتبر عاجزًا عن الحياة، ناهيك عن ذلك الشاب الذي يتمتع بصحة جيدة ومال ومؤسسة كبيرة لا يرغب حتى أن يرهق نفسه بإدارتها، أي دلال ذلك الذي يحيا فيه ويقبله على نفسه.

دخلت "لقاء" غرفة السكرتارية في الطابق الأرضي من المؤسسة، التي كانت تضم ثلاثة من العاملين معها في نفس الإطار، دخلت كعادتها تلقى تحية الصباح وتمزح هنا وهناك، كانت خفيفة الظل طيبة المعشر، تألف البشر سريعًا ويألفون صداقتها؛ لما لها من طباع رقيقة.

- إذن فتانا المدلل هنا، لماذا لم تقترشوا الأرض ببتلات الزهور في استقبال الأمير المدلل صاحب الصولجان وولى عهد عرش جبال المال،

قالت تلك الكلمات وهي تمزح مع زميلاتها، وتلوح بيديها يمينةً ويسرةً، تبادلن الضحكات على ما قالت، ثم ردت عليها إحداهن لتقول:

- كفاكِ مزحًا الجدران لها آذان، ربما يسمع أحدهم حديثك ذلك ويبلغه فينتهى عملك هنا.
- فليكن، رزقي بيد الله وحده وليس بيد أحد من خلقه.

- أفهم من حديثك ذلك أنك لا تتمنين لنفسك زوجًا مثله، مال وشباب ووسامة؟؟؟
- أتمنى من؟؟؟ حقًا تمزحين، لو كان ذلك الرجل أخر رجال الكون لن أتزوجه، المال ليس كل شيء، فأنا حين أتزوج سوف أختار رجلًا يعمل بيديه ويطعمني مما يجنيه من كده وعرق جبينه، وليس طفلًا كلما نضب نهر المال الذي يسبح فيه؛ أتى والده لمنحه قطرات جديدة.

ذلك الحديث كان يدور داخل أربع جدران تتكون منهم تلك الغرفة، وظنت المتحدثات أن كلماتهن لم تخرج من إطار ذلك المربع الصغير، ولكن كان للقدر حسابات أخرى.

وقف"شادي" دون أن يتحرك خطوة واحدة بعدما سمع تلك الكلمات، التي اخترقت أذنه دون حواجز، لم يعتد المرور بجوار أي من غرف المؤسسة، ولكن في ذلك اليوم تحديدًا بعدما أنهى زيارته المعتادة؛ أخذ يتجول بطرقات المؤسسة دون أن يقصد وجهة محددة، حتى رآها وهى تتحدث وتمرح مع زميلاتها وتتبادلن الابتسامات فغلبه الفضول؛ ليستمع إلى ما تقولن؛ فأستمع إلى تلك الكلمات، التي كانت صادقة بالفعل، ولكن لم يتجرأ أحد من المنتفعين من حوله أن يبوح بها.

قالت الحقيقة مجردة من أي شائبة نفاق، كان حديثهم مستمرًا حتى فطنت إحداهن إلى وجوده أمام باب الغرفة؛ فأشارت إلى زميلاتها ليصمتن في حين كانت" لقاء" مستمرة في حديثها، حتى التفتت فوجدته واقفًا أمامها.

لم تهتز من ذلك الموقف ولم تخش من أن يكون أستمع لما قالت، بل وقفت صامتة في انتظار ردة فعله، فما كان منه إلا أن ذهب دون أن ينطق بكلمة

واحدة، تعجبت الفتيات من موقفه، كيف لم يثر على تلك الإهانة، التي ربما يكون استمع إليها بأذنيه، فقالت إحداهن:

- ربما يستمع إلى شيء، لا داعي للقلق دعونا نعود للعمل أفضل.

أكثر من ساعة كاملة قضاها وهو يقود سيارته دون أن يصل إلى مكان محدد، طوال تلك المدة كانت كلماتها تتردد في رأسه، فتاة يبدو على مظهرها أنها متوسطة الحال، ترفض حتى مجرد اقتراح خيالي من زميلاتها بأن تكون زوجة له، ربما تكون محقةً فهي تراه بصورة خالية من المسؤولية، يبدو في نظرها شخصية هشة غير جديرة بأن تكون في موضع جاد، ليكون زوجًا وحبيبًا وأبًا، لأول مرة يشعر كما لو كان ينظر في مرأة صادقة، تظهر تفاصيله التي يعرفها جيدًا ولن يأبى الاعتراف بها، أسلوب الحياة الذي يحيا به لم يكن يسعده كما يتخيل البعض ذلك، ولكن لم يجد من يواجهه بتلك الحقيقة، وربما قدر الله له اليوم أن يستمع بأذنيه إلى تلك الكلمات، حتى توقظه من تلك الغفوة التي آن له أن يستيقظ منها، قبل أن ينقضي صباح عمره دون هدف.

كانت"ملك" شقيقة"لقاء" الصغرى تصغرها بعامين فقط؛ لذا فكانت كلتاهما صديقتين مقربتين لبعضهما البعض، لا يخفيان سرًا ويتشاركان كل شيء يحدث لهما، جلست "لقاء" على طرف فراشها تروى لشقيقتها الموقف المحرج، الذي استمعت له ثم قالت:

- ما الذي يزعجك فيما حدث، هل تخشين من أن يضر بعملك؟

- لا لم أفكر حتى في ذلك، ولكن تعلمين أنا لا أحب أن أتسبب في جرح لأحد بكلماتي، وأنا بالفعل أعترف أننى تحدثت عنه بشكل غير لائق، ولكن لا أدرى لماذا أشعر بكل ذلك النفور منه، وأرغب في مواجهته بحقيقة شخصيته، التي أراها ضعيفة وهشة وعاجزة، وها هي قد واتتني الفرصة، وحدث ذلك ولكن بشكل غير مقصود، ماذا أفعل الآن؟ حقًا أشعر بعذاب الضمير، لو كان بالفعل استمع إلى ما قولت فلابد وأن كلماتي أحزنته، وأنا لا أرغب في أن يحزن أحد بسببي.
- حدث ما حدث كفاكِ تفكير، ودعي الأيام تُرينا ما في جُعبتها.
- حقًا ماذا عساها أن تحمل لنا الأيام في طياتها، اللهم خيرًا يملأ النفس رضًا بجميل أقدارك.

همست"لقاء" بتلك الكلمات ثم أغلقت المصباح الذي بجوار فراشها؛ لتبحث عن ساعات نوم هادئ دون تفكير في شيء.

أيام متتالية مضت بعد ذلك اليوم، وفي كل صباح كانت لقاء تتحسس الخطى وهي تدخل إلى غرفتها بالمؤسسة، وكأنها تخشى أن تراه مجددًا أو ربما تطمح في ذلك، هي ذاتها لا تعلم ما الذي ترغب فيه، لماذا ينشغل عقلها به إلى هذا الحد، ربما إحساسها بتأنيب الضمير على ما قالته من كلمات قاسية في وصفه، هو ما يدفعا إلى ذلك، انقضت أشهر طويلة لم يأت فيها إلى المؤسسة، ومع مرور الوقت حاولت أن تمحو عن ذهنها كل تلك الأفكار التي كانت تراودها من حين إلى أخر، حتى أوشك بالفعل على نسيان ذلك الصباح تمامًا.

- جهزن حالكن للحفل السنوي فقد تم الإعلان عن موعده وجميع العاملين مدعوين.

قالتها إحدى زميلاتها في المكتب، وهي في غاية السرور والحماس لذلك الحفل، الذي تقيمه المؤسسة كل عام؛ احتفالا بذكرى تأسيسها، لم تكن "لقاء" تعرف شيئًا عن ذلك الحفل؛ لأنها لم يمض على عملها بها سوى أشهر قليلة، لم تكمل العام فسألت زميلاتها عن ذلك الاحتفال، فروت لها كل منهن ماهيته، وكيف يكون حفل بهيج وبه ما لذ وطاب من المأكل والمشرب والسرور، حتى بالغت إحداهن في الوصف فقالت:

- ما نحدثك عنه يشبه ذلك الاحتفال الذي نشاهده في الأفلام والروايات، خاصة مثل الحفل الذي أقامه الملك لكي يختار ابنه إحدى الفتيات زوجةً له في القصة الشهيرة، التي كانت بطلتها الفتاة الفقيرة سندريلا.

ضحكن على ما قالته تلك الحالمة بمن فيهن هي ذاتها، وبعد أن فرغن من عاصفة الضحك التي اجتاحت أرواحهن البريئة؛ ردت عليها"لقاء" تقول:

- إذن فعلينا جميعًا أن نصطف بالترتيب ليختار من بيننا الأمير زوجة له، وليكن بعلمكن أنا لن أنضم إلى ذلك الصف.

كانت تقصد بكلماتها أنها لن تحضر الحفل، لم تكن تهوى تلك المظاهر البراقة، التي في ظاهرها لمعة تجذب العين وفي باطنها أرواح خاوية من الحياة، بالفعل كانت قد قررت قرارًا نهائيًا، أنها لن تذهب حتى عدلت عن ذلك بعد أن أقنعتها شقيقتها "ملك" بالذهاب:

- ولماذا لا؟؟
- ولماذا أذهب؟ أنتِ تعلمين إنني لا أحب تلك الأجواء، ولا أرغب في التواجد بها، وعلاوة على ذلك من المؤكد أنه سوف يكون هناك بما إنه الأمير، أقصد ابن الملك وأنا لا أرغب في أي تلاقى بيننا.

- ما زلت على موقفك؟ ربما يكون لا يذكرك من الأساس، اذهبي مع زميلاتك وكفاكِ انغلاق على حالك، وحتى وإن حدث ورأيته فلن يترك مجلس الطبقة الملكية ويأتي إلى حيث يجلس العامة أقصد حيث تكونين، فلا تقلقي.

تبادلت كلتاهما الضربات الخفيفة بوساداتهما وامتزج ذلك السرور بين الشقيقتين بضحكة صافية من قلوب لم تعكرها مرارة الحياة بعد.

خطواتها تميل إلى التردد والتراجع في كل لحظة، امضت الطريق من المنزل إلى الحفل على تلك الشاكلة، حتى حُسم الأمر حين وصلت إلى المكان المنشود.

كانت زميلاتها ينتظرنها أمام باب قاعة الفندق الشهير المقام فيه الحفل، والذي تنفذ منه تلك القاعة على ساحة مكشوفة ممتلئة بالبشر من مختلف الطبقات، ولكن كما قالت "ملك" كل طبقة تجلس مع من يشبهها كما هو الكون، مقسم طبقات لا يمكن الخلط بينهم، وإلا حدثت حالة من عدم الاتزان أخلت بالقلب والروح.

ليل هادئ صاحبه جو ربيعي ساحر، أضاف للاحتفال بهاءً ورقيًا خاصًا، لولا وجود تلك المرأة المتكبرة، التي لا يطيقها أحد" فريال هانم"، يلقبها الجميع بهذا القلب، رغم أننا ما عدنا في زمن الألقاب، ولكن لحديث المال مفردات أخرى.

لم تندم "لقاء" على قرار الذهاب حتى تلك اللحظة، التي لمحت فيها الأمير - كما يلقبونه جميعهم – يتجه نحو الطاولة التي تجلس عليها هي وزميلاتها واللاتي ذهبن لبعض الرفقة، يتبادلون الأحاديث معهم وتركوها تجلس وحيدة؛

مما دفعه إلى الترجل من برجه العالي والنزول إلى حيث تكون، اقتربت خطوات" شادي" من مجلسها أكثرفاكثر. حاولت أن تظهر عينيها وكأنها لا تراه، ولكن كيف ذلك وهو الآن أصبح أمامها مباشرة، مد يديه ليصافحها، وهو يلقى التحية والجميع يراقب ذلك من بعيد، في حين همس البعض " يبدو أن الأمير سوف يختار سندريلا الفقيرة حبيبة له"، شعرت"لقاء" بذلك الحرج الذي يفرضه عليها الموقف؛ فقامت من مجلسها ومدت يديها لتصافحه وتبادله التحية، حل الصمت بينهما لبعض الوقت، هو ينظر في عينيها مباشرة وهى تشيح بتلك العينين بعيدًا عن مرمى بصره قدر الإمكان، وتفلح في ذلك تارةً وتخفق تارات أخر، حتى قطعت ذلك الصمت بكلمات بسيطة:

- خيرًا "شادي بك" هل أستطيع إفادتك بشيء؟
- نعم، فقط النظر إلى عينيك يكفيني.

تلك الكلمات التي تفوه بها مباشرةً أمامها جعلتها تنفجر غاضبة في وجهه، ولكن دون أن يصل صوتها إلى مسامع من حولها، الذين كانوا يسترقون السمع دون جدوى.

- إن كنت تظن أنه بإمكانك شراء كل شيء في الحياة بمالك فأنت واهم؛ أنا لست للبيت وغير قابلة لذلك، انظر جيدًا لكلماتك قبل أن تتفوه بها، حتى لا تسمع ما لا يسر غرورك الزائف، ثم لملمت أشياءها لتذهب وتتركه بما سمع، فما كان منه إلا أن فعل ما لم تكن تتوقعه أبدًا.

- وماذا أيضًا أكملي ما حدث، قتلني الفضول يا أختاه.

كانت "ملك" في أشد الحماس، وهي تنتظر من شقيقتها أن تروى لها باقي المشهد، الذي عايشته منذ أقل من ساعة من الآن، حتى وصلت إلى المنزل وروت لها ما حدث تفصيليًا.

- أخذت حقيبتي وهممت بالرحيل، وأنا ممتلئة بالغضب، وأرغب حقًا في تدمير كل ما يقف أمامي، فإذا به أمام مرآى ومسمع من الجميع يمسك بيدي ليستوقفني، كانت أطراف أصابعي يصيبها الصقيع كأغصان شجرة تركت في مهب الريح في ليلة شتاء عاصفة، فأمسك يدى بكلتا يديه وكأنه يخشى من أن يذوب الثلج وتتبخر تلك اللحظة الساحرة بين طيات الزمان، العجيب في الأمر أنى لم أخجل كأي فتاة في مثل ذلك الموقف، ورغم أنها المرة الأولى التي أترك فيها يدي تستقر في كف رجل، إلا أنى شعرت أنها استقرت في مكانها، الذي لم تكن تعلم أين يكون من قبل فعلمت في تلك اللحظة تحديدًا أن ذلك هو القدر. تركت نفسي تهدأ في ظل تلك الهالة الساحرة، التي أحاطت بقلبي وعقلي، ثم سحبت يدي من بين ثنايا يديه، ووبخته على فعلته تلك بكلمات لا أذكرها حتى، ثم تركته أمام الجميع واقفًا دون أن يرد على حديثي بكلمة واحدة.
- وماذا ستفعلين غدًا؟ ربما تذهبين إلى العمل فتجدين أمرًا بإنهاء عملك هناك.
- لا بأس فليكن، أنا لا أخشى على رزقي من بطش أحد، وإنما عند حدود القلب فلن أسمح له أن يتجاوز حده مهما كان.

في الصباح التالي كانت قد جهزت حالها لاستقبال أي ردة فعل على ما حدث في الليلة السابقة، ولكن على العكس تمامًا لم يتعرض لها أحد، ولم تتأذى في عملها، بل على العكس كانت حديث الصباح في الأروقة والغرف المغلقة، تلك الفتاة التي اعتزت بنفسها ولم تتهاوى أمام المال، كانوا يبالغون في

حديثهم، وكانت هي على ذلك القدر من العقل، الذي يجعلها تعرض عن ذلك الحديث ولا تعلق عليه سلبًا كان أم إيجابًا، التفتت إلى عملها وتجنبت الحديث عن ذلك تمامًا.

مضى شهرين من بعد تلك الحادثة، التي أخذت أكثر من حجمها في التناول بالحديث والهمسات والتكهنات، وفي أثناء ذلك لم يتقابل طرفا القصة ولم يعيرا ذلك الذي يدور في الخفاء والعلن من استنتاجات أي اهتمام، ولكن الجديد الذي طرأ بالفعل هو حضور "شادي" إلى المؤسسة يومًا بعد يوم تقريبًا، حتى استقر به الحال في الحضور يوميًا، وبدأ في العمل بجانب والده، وبالطبع ذلك أخذ من مجهوده ووقته وتركيزه الكثير، حتى يلحق بقطار العمل، الذي كان قد فاته منذ سنوات ليست بقليلة، ذلك الأمر الذي لاقى ترحيبًا كبيرًا من والده، الذي طالما تمنى أن يتولى ابنه الوحيد مقاليد العمل، وإداره ذلك الصرح العظيم، الذي في نهاية الأمر سوف يؤول إليه وحده.

تلك التطورات السارة لم تكن كذلك بالنسبة ل"فريال" زوجة الأب الجشعة، التي كانت تتمنى أن يبقى الابن المدلل على حالة، وأن يبقى فاشلًا عاطلًا عن العمل، لا يعلم أي شيء عن ثروة أبيه حتى تأخذ هي كل ما يروق لها من أموال وصفقات لا تكتفي منها أبدًا.

طوال تلك الأيام التي يحضر فيها إلى ذلك المكان، الذي تطأ أقدامهم أرضه ويجمعهم به جدار واحد، لم يفكر ولو لمرة أن يذهب إليها بل أنه كان يتجنب المرور بطرقات ربما تتلاقى فيها خطواتهما، كلا القلبين يحمل نبضًا شريدًا عليه يخشاه بقدر ما يتمناه، فهل يكتب الزمان لهذين الشريدين سبيلًا يجمعهما حتى جاء اليوم المشهود.... الجميع منكب على عمله وحالة النشاط المعتادة تسرى بالمكاتب وبالعقول، كانت "لقاء" مثلهم تركز على عملها ولا تنشغل بسواه، إلا بذلك الفكر الذي يأتيها من حين إلى أخر ويعبر بوجدانها مرور الكرام.

في لحظة لا تقدر بدقيقة من الزمان كان الخبر يسرى بينهم جميعا كسريان النار في الهشيم...

(شادي بك حدثت له حادثة خطيرة أثناء قدومه إلى المؤسسة، وهو الآن في المشفى بين الحياة والموت).

ذلك الشاب الذي لم يكن له قلوب كثيرة لتحبه وتشفق على حاله، أصبح الجميع الآن يردد له الدعوات، بأن يمن الله عليه بالحياة من أجل شبابه الذي مازال في أوله، ومن أجل أبيه الرجل الفاضل، الذي لم يعانِ أحد من ظلمه أو قسوته يومًا، انقلب المكان رأسًا على عقب، هناك من ذهب ليتفقد الوضع، وهناك من اكتفي بالدعاء، وهناك من لم يكترث إلى الأمر سوى لبضع لحظات من التأثر الزائف، ثم سرعان ما يعود إلى إيقاع الحياة، الذي لا ينتظر أحد، ولا يشفق على أحد.

أما عن حالها هي فتوقف الزمان عند تلك اللحظة، التي استمعت فيها إلى ذلك الخبر المشؤوم، فما كان منها إلا أنها أخذت حقيبتها وخرجت من المكتب مسرعةً، حتى أنها لم تستمع إلى زميلتها وهي تناديها. استقلت أول سيارة أجرة مرت أمامها وذهبت صوب المشفى، الذي من حسن الحظ كانت تعرفه؛ لأنها تعلم كحال العاملين جميعهم أن هذا المشفى تابع لتلك الأسرة، فلا يتعاملون مع مكان آخر سواه، ولهم فيه أكثر من نصف رأس المال، لذا فهو يعد ملك لهم ضمن حصيلة أملاكهم، التي أصبحت على قدر كبير من الثراء الفاحش.

لم تكن تعلم في قرارة نفسها لماذا تذهب إلى هناك، فقط كانت تتبع صوت قلبها، وحين ينبئنا القلب بالسير في طريق ما لا يفلح العقل في التصدي له مهما كان ذلك العقل يتمتع بالاتزان والتريث، هو شعور عجيب حين يشعر المرء بأنه على وشك أن يفقد عزيزًا على قلبه، وهى في تلك اللحظة وبكل

تلك المشاعر الجياشة التي كانت تختلج أوصالها علمت وتيقنت من أنه بالفعل عزيز على قلبها، بل أنه يبدو كما لو كان حبيب تتألم حين يصيبه مكروه، كانت تتحسس الخطى لتجد طريقة تسأل بها عنه دون أن تلفت الأنتباه، حتى رأت ممرضة تركض بجانبها فاستوقفتها لتسألها فبادرتها الأخيرة تقول:

- عذرًا لا تؤخريني فهناك حالة حرجة فصيلة دمها نادرة جدًا، ولا نجدها رغم أننا نستطيع أن نمنح المريض من فصائل أخرى يقبلها جسده، ولكن فصيلته تحديدًا سوف تكون أكثر إسعافًا له.
- رجاء أخبرني اسمه.
- اسمه؟؟؟ هذا المريض يعتبر مالك ذلك المشفى، رجاء لا تؤخريني.

كان ذلك الحديث يدور بينهما و"لقاء" ممسكة بيدها دون أن تتركها تذهب فاستطردت تقول:

- اسمه "شادي"؟
- نعم وفصيله دمه AB، هلا تركتي يدي لأذهب.
- خديني معكِ لأمنحه من دمائي أنا نفس الفصيلة، ولكن رجاء لا تجعلي أحد يراني.

تهللت أسارير المريضة ووافقت على الفور، ثم أخذتها على غرفة صغيرة لتبدأ في سحب الدماء منها وتزويده بها، مضت الساعات حتى أبلغهم الطبيب أن حالته بدأت في الاستقرار بعد إجراء عدة عمليات جراحية تكللت جميعها بالنجاح بفضل الله، بعد أن اطمأنت عليه ذهبت إلى منزلها، وذلك بعد أن تبادلت هي والممرضة أرقام الهواتف، واتفقت معها على أن تتصل بها لتطمئن عليه، وتتصل الأخيرة بها إن حدث واحتاجوا إلى دم مرة أخرى.

عجيب هو ذلك القلب يأخذنا في طياته إلى مالا نرغب في إدراكه، وحين نقاوم يعاقبنا بنبضات مبعثرة تشتت أوصال الروح، وتصيب أيام العمر بحنين مستمر إلى لحظة صفاء ونقاء نفس لا تشوبها شائبة أحزان.

مضت الحال بها على ذلك النحو تتصل بالممرضة يوميًا لتطمئن عليه، وتذهب إلى المشفى خلسة كلما تثنى لها ذلك، ظلت على تلك الحال حتى استقرت حالته، وانتقل إلى غرفة عادية بعيدًا عن غرفة الرعاية المركزة، التي ظل بها أكثر من عشرة أيام.

ذهبت ذات ليلة لتلقى نظرة خاطفة كالعادة بمساعدة الممرضة، التي أصبحت على علم بحال قلبها فرقت لذلك الحال، وظلت تساعدها في الخفاء، وفي تلك الليلة فاجأتها بفكرة لم تكن خاطرة على بال"لقاء" قالت لها وهى تمسك بيدها وتوجهها نحو غرفته:

- هل ترغبين في رؤيته عن قرب؟؟
- نعم بالطبع أرغب في ذلك، ولكن أخشى أن يستيقظ ويراني.
- لا تقلقي هو الآن تحت تأثير جرعة الدواء الليلية، وهي تجعله ينام فترة طويلة فلا تقلقي لن يشعر بكِ أبدًا.

كلماتها شجعت"لقاء" على أن تخطو خطوتها الأولى داخل الغرفة، ثم أغلقت الباب حتى لا يراها أحد، اقتربت منه وبحركة لا إرادية ربتت على جبينه، وكأنها تطمئنه إنها بجواره، ولسان حالها يلومها، فتقول همسًا بينها وبين قلبها: "أي جنون ذلك الذي أفعله بحالي بدلًا من أن أحاول نسيان ما بقلبي من عشق، أقترب من اللهب فتحترق أوصالي أكثر فأكثر؟؟؟ ماذا بك يا قلب، أبهذا القدر تهديني عشقًا، ما كان له أن ينبت بأرضك الخصبة أبدًا، والآن أنا أحتمى بظل تلك الأغصان، التي لا تنفك في النمو يومًا بعد يومًا" أثناء ذلك الحديث الذي كان يدور بينها وبين نفسها اللوامة على الدوام فتح "شادي"

عينيه وأغمضهما سريعًا، تراجعت هي للحلف بضع خطوات، ودعت الله من صميم قلبها ألا يكون قد رآها، ثم همت بالرحيل وعقدت العزم على ألا تأتى للزيارة مرة أخرى، سوف تكتفي بالاطمئنان عليه من بعيد، وينتهي ذلك الألم عند هذا الحد وبالفعل قد كان.

مضت أشهر عمل طويلة لم تأخذ فيها إجازة؛ فقررت أنها بالفعل في أمس الحاجة إلى تلك الإجازة، بضعة أيام تقضيها مع أسرتها الصغيرة في كنف الحب والود، وبعيدًا عن العمل والتفكير والشوق وتبعات الحنين الذي لا ينقضي أبدًا.

فتحت نافذة غرفتها التي تطل على الشارع الشعبي الأصيل، الذي يعرف فيه المارة بعضهم البعض، فتستمع إلى التحيات والصباحات من هنا إلى هناك، والابتسامات الودودة الخالية من التصنع والمصالح الشخصية، فقط ود صافٍ لا يحمل في طياته أي مطامع دنيوية زائفة. أغمضت عيناها وسلمت حواسها لنور الشمس علّه يغمر روحها بفيض من السعادة يطيب خاطر الوجدان، كان النسيم في ذاك الصباح بديعًا وصافيًا ما بين الخريف وروائح الشتاء، روائح الأمل تملأ الهواء ويتخللها بقايا روائح لذكريات الطفولة، كانت تسترجع أحداثًا طيبةً مرت في العمر، وتتغافل عن عمد كل ما هو مرهق ومؤلم للنفس، ظلت على ذلك الحال حتى تسلل إلى نسيم صباحها عطر وافد جديد، لم تكن على موعد معه ولا تنتظره، كان ذاك العطر هو نسائم طيبة تسبق خطوات الحبيب، التي تستنشقها المرأة العاشقة قبل ان يستنشقها الأخرون.

دق جرس الباب فانتفضت من أمام النافذة؛ لتسترق السمع وتعرف من ذلك الزائر، الذي يطرق أبواب المنزل في هذا الصباح الباكر، أسرعت أختها الصغرى تفتح الباب، أما هي فقد فتحت باب غرفتها لتلمح القادم فإذا به هو الضيف ويطلب لقاء والدها، صدق القلب وتبينت الروح ما هو آت قبل أن تدركه العين، أصابها ارتباك شديد ولم تعرف كيف تتصرف؛ فأخذت دقائق

قليلة من الوقت حتى تستجمع نفسها من جديد، ثم بدلت ملابسها وخرجت تلقى التحية على الضيف، وحاولت قدر الإمكان أن تترك داخل غرفتها المحكمة الغلق كل مظاهر العشق والشوق، التي تغمر الفؤاد وتفيض من كلتا العينين الساهرتين في ليل الحنين.

- صباح الخير، أعتذر إن كنت قد سببت إزعاجًا بحضوري فجأة.
- صباح النور "شادي بك" شرفتنا، عساه خيرًا.
- كنت أرغب في مقابلة والدك إن لم يكن هناك مانع.

كانت بالفعل أختها الصغيرة ذهبت لتنادى على والدها، الذي كان بالكاد يفتح ورشته ليستقبل يوم عمل جديد، ظنت "لقاء" أنه يرغب في رد المعروف فبالطبع علم بشكل أو بأخر أنها تبرعت له بالدم حين كان بين الحياة والموت، تلك المشاعر المتداخلة التي كانت تعصف بالقلب والعقل جعلتها تظن أنه قد جاء ليمن عليهم ببعض المال، نظير ما قدمته له من جميل حسن، وهنا حين رُسمت تلك الفكرة بجدار عقلها خاطبته بلهجة رافضة:

- لماذا ترغب في مقابلته، إن كنت تظن أننا أناس متوسطي الحال وترغب في المساعدة أو تقديم شيء لنا نظير ما قد كان، فأسمح لي أن أقول لك ليس هناك مجال لذلك، لذا إذا سمحت لا تكمل الحديث الذي تنوى التفوه به وإلا تكون حينها قاصدًا بالفعل أهانتنا.

ابتسم "شادي" على إثر ما قالت وأجابها بكل هدوء وكأنه كان قد فطن إلى طباعها، وبات بمقدورة أن يمتص كل تلك الثورات المتعاقبة:

- بل جئت لأمر أخر.

أجابته باستهانة وكأنها ترغب في إغضابه حتى يرحل من أمامها:

- ما هو يا ترى ذاك الأمر.

- جئت لأطلب منه يد ابنته الكريمة على سنة الله ورسوله فهل في ذلك عيب؟؟؟

تلك الكلمات الصريحة التي قالها لتوه أوقفت الزمان حقًا، وشعرت بأن كل شيء ثابت في محله لا يتحرك، وسكنت الأصوات إلا صوت خفقان قلبها العاشق الذي كان ينبض بسرعة فائقة، لا تستطيع هي ذاتها مجابهتها، ظنت للحظة أنها استمعت إلى الكلمات بشكل خاطئ فقالت:

- ماذا قلت؟؟؟
- قلت أنى أرغب في أن تكوني زوجتي وأم أبنائي، وقلت أيضًا أنى أحببتك منذ تلك اللحظة التي وضعتيني فيها أمام مرآتي؛ لأرى حقيقتي التي لم يرينى أحد من قبل إياها، وأحببتك حين أمسكت بيديك في الحفل لأخبرك بذلك؛ فتحصنت بكبريائك وعزة نفسك، التي زادتني عشقًا لكِ وأحببتك حين سرت دمائك الطيبة بعروقي لتمحو أثار كل تلك السنوات، التي ذهبت هباء في الاستهتار دون هدف، وأتممت ذلك العشق بقلبي حين منحتني تلك اللمسة السحرية، التي كانت ذات ليلة أقضيها وحيدًا في فراش المرض، وكنتِ أنت رفيقة قمري ،الآن هل تقبلين أن تكوني زوجتي ونصف نبضي واكتمال فرحى ورفيقة دربي، الذي ما كنت أتبين خطواته دونك أبدًا.

حين كان ذلك الحديث يدور بينهما دخل والدها ليرحب بالضيف، ويجلسه في غرفة الزائرين، وبدأ الحديث بين كل الأطراف حتى وصل الحال بالقرار النهائى عند صاحبة القرار، فقال لها والدها:

- الأمر عائد إليك يا ابنتي فقل تقبلين؟؟

توردت وجنتيها بحمرة الفرح، وأجابته في حياء:

_ نعم أقبل ولكن لي شرط واحد....

بعيدًا عن تلك المحال باهظة الأثمان أخذته "لقاء" ليشتريا خواتم الزواج، ورغم أنه كان يرغب في أن يشترى لها خاتمًا ماسيًّل يليق بمكانتها بقلبه، التي لا تقدر بمال إلا أنها كانت ترغب في شيء أخر فأخذته إلى حيث يمكن أن يشتريه لها.

- نعم ها هنا صف السيارة وهيا بنا، المتجر على بعد خطوات قليلة،

قالتها "لقاء" وهي تشير ل "شادي" بيدها وتصف المكان الذي تقصده، ترجل كلاهما من السيارة ومشيا خطوات بسيطة، حتى وقفا أمام المتجر وحين نظر هو إليه لم يصدق ما راه بعينيه فنطق باستغراب يؤكد عليها:

- هل تمزحين؟؟ هنا؟؟؟
- نعم هنا، لا تندهش أنا لا أحب الذهب؛ لذا فإن كنت ترغب في شراء شيء لي فها هنا ما أحب أن أرتديه وأتزين به؟
- فضة، تفضلين الفضة عن الذهب والماس؟!!!!
- إن كانت منك فهي أغلى من كنوز الأرض وما عليها.

ثم أمسكت يديه كطفله صغيرة تستحث والدها على أن يشترى لها ما ترغب به، وبالفعل دخلا المتجر وأيديهما متشابكة بقوة لن تفلتها مصاعب الزمان، بعد ما أتما الشراء جلسا بإحدى الكافيتريات ليحتسي قهوته وهي تمازحه وتقول:

- هيا أنهيها بسرعة لأقرأ لك الطالع.
- لا فقد عرفت ما هو مقدر لي، فقد انعم أالله على قلبي بأكثر مما كنت أتمنى.

خجلت من كلماته وسعدت بها في ذات الوقت حتى استطرد يقول:

- لولا ذلك الشرط القاسي الذي فرضتيه علينا لكانت الآن ساعدتنا مكتملة.
- أعلم أنه قاسٍ بالفعل ولكن ذلك أفضل لنا.
- أفضل لنا؟، نتزوج سرًا وتقولين أفضل لنا؟؟ لماذا إذن؟؟
- قلت لك سابقًا، أفضل أن يبقى سرًا حتى ننعم بحياة هادئة بعيدًا عن القيل والقال، فأنا أفضل أن أكون زوجتك سرًا عن أن يتحدث أحد عنا ويقول أنى تزوجتك من أجل المال، ويقولون إنك تزوجتني مجرد نزوة، وما ان تفرغ منها حتى تعيدني من حيث أتيت بي، صدقني ذلك الذي بيننا لن يفهمه أحد، يكفي أن الله وحده يعلم أن قلبينا لم يجمعهما إلا الحب الصادق، ولا تنسى زوجة أبيك "فريال هانم" لن تتركنا نهنأ بيوم واحد سعادة.

كان يدرك في صميم نفسه أنها تتحدث بالحق، ولكن كأي رجل عاشق كان يرغب في أن يسعد حبيبته، ولكن طالما الأفضل في أن يكون ذلك الزواج سرًا لبعض الوقت إذن فليكن.

لم يقل عبثًا أن الأيام حين تغمرها السعادة تمضي وكأنها دقائق قليلة لا يكاد المرء يشعر بسحر مرورها، سرية الزواج أضفت على قصة عشقهم طابعًا خاصًا، أصبح يدير المؤسسة ببراعة ونجاح، لم يتوسم أحد أن يكون فيه يومًا، أما هي فتركت العمل وأصبحت له السكن والرحمة والسعادة في أبهى وأصدق معانيها، ها هو العام أوشك على الأنقضاء في سعادة غامرة لم يتخللها لحظة ضيق واحدة.

ظل "شادي" يفكر في تلك الهدية التي يرغب في أن يمنح زوجته إياها، ولو كان باستطاعته أن يمنحها قطعة من السماء ما كان يتأخر عن ذلك أبدًا، ظل يتنقل من متجر إلى الآخر يبحث عن شيء ثمين، ذي قدر عالٍ كقدرها بقلبه، ولكن لم يهتدى إلى شيء حتى لمعت في ذهنه تلك الفكرة الصائبة، تذكر

متجر الفضة الذي تعشقها خليلة نفسه؛ فاتجه بالسيارة صوب المكان، ومن حسن الحظ كان المتجر به معروضات جديدة، مما منحه فرصة طيبة لاختيار ما يروق له من بينها، ظل يقلب في قطع الحلى الفضية المزينة بالأحجار الكريمة الأصلية، حتى وقع بصره على قرط ذي فص أزرق بدرجة زرقة ما بين الفاتحة والداكنة؛ جذب عينيه ذلك القرط من شده ما به من رقى وأصالة فسأل البائع:

- ما أسم ذلك الحجر الذي يزين هذا القرط؟
- حجر (التوباز)، أنه من أجمل الأحجار الكريمة، وله حكاية هل ترغب في معرفتها؟
- بالطبع.
- على مر العصور وخاصة عند المصريين القدماء، كان البشر يرتدون هذا الحجر اعتقادًا منهم أنه يحميهم من التعرض للإصابات،وعند الإغريق كان هناك معتقد بأن ذلك الحجر له قدرة سحرية على جعل الأنسان خفيًا وغير مرئي، ونستطيع تغيير درجاته لونه من الفاتح إلى الداكن، وإلى تلك الدرجة الوسطية التي تراها الآن عن طريق تعريضه للحرارة، وحديثًا يتم تعريض الحجر لأنواع معينه من الإشعاعات والأساليب العلمية الحديثة حتى يتغير لونه فيضيف عليه جمالًا خاصًا، وفي كل المعتقدات والأزمنة المختلفة كان البشر يعتقدون في ذلك الحجر أشياءً كثيرةً؛ لذا فهو من الأحجار الكريمة الأصيلة التي لا يضيع سحرها مهما مر عليها الزمان.

ما قاله البائع أكد له أن هذا القرط بما فيه من توباز هو بالفعل الهدية المناسبة التي سوف تسعد بها زوجته، فهو يعلم أنه سيعدها حتى وإن لم يكن نفيسًا أو باهظ الثمن، فحين ترتديه سوف تمنحه هي ذلك القدر من القيمة الغالية.

أما هي فقد كانت تعد لـه برزق من الله هدية أخرى، ربما لا يوجد في ذلك الكون ما هو بنفس قدرها الغالي.

- مبارك مدام "لقاء" أم نقول ماما "لقاء".

قالتها طبيبتها وهى تبشرها بأغلى خبر من الممكن أن يلقى على مسامع أنثى، كانت تتابع مع تلك الطبيبة حالتها الصحية حين أقترب العام على الآنقضاء ولم يحدث حمل، والآن حدث ما كانت تتمناه، سوف تصير أمًا لابن من ذلك الحبيب الذي سوف يكون أطيب الأباء.

لم يكن ذلك الكون الفسيح يسيعها حقًا من فرط ما كان بقلبها من سعادة، لم تبلغه هاتفيًا بالخبر بل انتظرت حتى يأتي؛ لترى الفرحة التي لطالما تمنت وحلمت أن تراها في عينيه حين تخبره بمثل ذلك الخبر، ذهبت إلى المنزل وأعدت أشهى الطعام وجلست تنتظره، الورود في مكانها منثورة الأريج، والشموع في أركان المنزل تنتظر أن يمر بجوارها فتضاء دون حاجة إلى شرارة النار الطفيفة، القلب في موضعه ينبض بانتظار الحبيب، أما عن الروح فباتت روحين كل منهما تنتمى فقط إليه وحده، ما أسعد تلك المرأة التي تحمل بداخلها قطعة ممن تحب تنبض بداخلها لحظة بعد لحظة، وتنمو يومًا بعد يوم حتى تكتمل فتشرق بنورها كشمس بهيجة تبدد غيوم الحياة.

دق جرس الباب فتهللت أساريرها؛ قامت تنظر في مرآتها وتعدل من هيئتها وتردد ترتيب الكلمات التي كانت تحفظها منذ شهور بعيدة، وتنتظر تلك اللحظة التي يتحقق فيها الحلم؛ فتلقيها على مسامعه ليمتزج صوتها بنياط قلبه، فيحدث بالروح طوفان فرح لا يعقبه أنين، فتحت الباب وعلى وجهها الابتسامة النابعة من الفؤاد المتيم بالعشق المبين، ولكن تلك الابتسامة تلاشت رويدًا رويدًا حين تبيت الوافد، الذي لم يكن زوجها الذي تنتظره بل كان آخر شخص بذلك الكون يمكن أن تتوقع زيارته.

جلس"شادي" في السيارة بعد أن أتم شراء الهدية، وحرص على تجهيزها بشكل رقيق يليق بمحبوبته، ولم ينس أن يشترى الشكولاتة التي كانت تعشقها، وكان يعرف نوعها المفضل فيأتي به من أطيب متاجر الحلويات، وقبل أن يبدأ في القيادة ليذهب إلى المنزل فكر في الاتصال بها لتخبره إن كانت بحاجة لشيء يشتريه لها وهو قادم إلى المنزل، ولكنها لم تجب على اتصاله، كرر الاتصال مرة بعد الآخرى ولكن دون جدوى، لم يكن من طبع "لقاء" أن تتأخر في الإجابة على زوجها، ولكن تلك المرة كان الأمر حقًا ليس بيديها، فقد كان هناك ما يحول بينها وبين كل شيء، والذي يسعى أيضًا ليحول بينها وبين سعادتها.

- "فريال هانم"، تفضلي.

حاولت"لقاء" تدارك الصدمة التي دامت دقائق معدودة بعدما رأتها أمام باب منزلها، الذي كانت تظن أنها لا تعرف عنه شيئًا.

- نعم سوف أتفضل وهل تظنين أنى أنتظر أذنك بالدخول!!

تغاضت"لقاء"عن ذلك الرد المهين، الذي تسعى به لاستفزازها وقد كانت تدرك ذلك؛ لذا حاولت قدر استطاعتها أن تتحكم في أعصابها وترد على كلماتها:

- خيرًا، هل ليّ أن أعرف سبب الزيارة الكريمة غير المتوقعة؟
- السبب معروف وهو أنى تركتك تفرحين لبعض الوقت بمحض إرادتي، أما الآن فقد قررت أن هذا يكفي.
- ماذا تقصدين؟؟؟

_ أقصد زواجك من الذي لا يليق بكِ، أعتقد سنة مدة كافية جدًا.

كلماتها أحدثت في نفس "لقاء" مزيجًا كبيرًا من الصدمة والخوف، فكيف عرفت تلك المرأة عن أمرهما الذي كانا حريصين على أن يكون في طي الكتمان، فاستطردت تقول:

- كنت أعرف عن زواجكما من اليوم الأول، وتركت كل شيء يمضي حتى أحدد أنا متى ينتهي، وقد قررت أن ينتهي الآن وسوف يكون

هنا، ومع تلك الكلمات القاسية التي ألقتها على مسامع "لقاء" تولدت بداخلها قوة كبيرة في الحفاظ على زواجها وسعادتها، التي ليس من حق أحد أن يسلبها إياها فردت عليها بقوة:

- ليس من حقك أن تقررين شيئًا ليس لكِ شأن به، لن أترك زوجي وبيتي حتى وإن هددتني بالقتل، فسوف أموت وأنا ها هنا بجانب زوجي.

ضحكت "فريال" على تلك الكلمات التي بدت في وجهة نظرها ساذجة، نابعة من قلب واهن فأوضحت لها مقصدها:

- حياتك؟؟ وهل تعنى لي حياتك شيئًا، إن رغبت في أن أقتلك فسوف أقتل أغلى ما تملكين حتى تكملي حياتي حسرة على فقدانه.

أحدثت كلماتها في نفس "لقاء" الرعب، والتي وضعت يديها بحركة لا إرادية على بطنها وكأنها خافت أن تكون علمت أيضًا بخبر حملها، ولكن ذلك مستحيل لأنها هي ذاتها لم تعلم به إلا منذ ساعات قليلة.

- ماذا تقصدين بأغلى ما أملك؟؟؟
- "شادي".

- ماذا؟؟ تقتلين ابن زوجك؟ هل تستمعين إلى ما تقولين؟؟ هل أنت بشر مثلنا وتملكين قلبًا يشعر وينبض؟ وهل تعتقدين أنك سوف تفلتين من العقاب.
- نعم أقتله وأنت تعلمين أنى قادرة على ذلك، وأتركك تمضين حياتك حسرة عليه، وعليك الآن أن تختاري ما بين كونك زوجته لأيام معدودة باقية أو أن تتركيه ولن أعرضه لأي أذً، الآن قلت كل ما أرغب في قوله ولكي القرار، ولكن لا تختبري صبري فأمامك يومين على الأكثر لأرى ما سوف تفعلين.

تركتها في صدمتها وخرجت من الباب ثم صفعته بقوة خلفها؛ فاهتزت أركان روح"لقاء" على ذلك الصوت الموحش الذي أخترق قلبها، كانت "لقاء" تعلم قدرة تلك المرأة ونفوذها وشرها، الذي ليس له حدود وما كانت تخشاه في أسوأ كوابيسها بات واقعًا الآن وعليها الاختيار.

حين تضعك الأقدار في موضع الاختيار، عليك أن تختار ما هو أقل إيلامًا للقلب، فجراح القلب قاسية إلى ذلك الحد الذي يجعلها ترافق روحك دهرًا كاملًا، دون أن تكل أو تمل من إيلامك، لذا فعليك لكي تجتاز الاختبار أن تحسن الاختيار.

وهذا ما كان مقدرًا ل"لقاء" الاختيار بين حياتها وحياته؛ لذا فالموت كان لها أرحم من أن تحيا دونه، ظلت جالسة مكانها تفكر في تلك الصاعقة التي عصفت بأيام العمر ماضيها وحاضرها، ولم يخرجها من دوامة التفكير تلك إلا صوت مفاتيحه وهو يفتح بها باب المنزل، حاولت جاهدة أن تنزع قناع الحزن، الذي ترسم بقسمات وجهها وتستقبله بابتسامتها المعهودة، حتى لا يشك بها وبالفعل نجحت في ذلك.

- حبيبتي، لماذا لم تجيبي على الهاتف، أصابني القلق عليك.

- عذرًا لم أستمع إليه، اشتقت إليك كثيرًا، لماذا تأخرت هكذا؟؟
- معي عذري، أغمضي عينيكِ أولًا ولا تفتحيهما إلا حين أمسك بيديكِ،

ابتسمت وهي تقول:

- حسنًا ولكن أيًا كان السبب لا تتأخر هكذا مرة أخرى.

أخرج الهدية من جيبه ثم فتح العلبة التي بها القرط وأمسك يديها لتفتح عينيها وتنظر ما اشتراه لها، ونظرت بالفعل إلى القرط الذي يتلألأ به حجر التوباز، الذي بدأ هو يحكى عن قصة هذا الحجر، ثم نظر إلى عينيها فاذا بالعبرات تنهمر من مقلتيها دون توقف، مما أصابه بالدهشة فقال:

- لم استطع أن أنتظر حتى يأتي موعد الاحتفال بعيد زواجنا الأول، فسارعت بشراء تلك الهدية، لماذا البكاء حبيبتي ألم تعجبك؟؟
- بلى، إن تلك الدموع التي بعيني تفيض من شدة إعجابي بها، وأيضًا لأني لم أجهز لك هديتك بعد.

كانت قد اتخذت قرارها بعدم إخباره بحملها حتى لا يتألم أكثر حين تمضي إلى ذلك الطريق، الذي قررت أن تسلكه وحيدة، أجاب حديثها فقال:

- هديتي معروفة، تكفيني اللمسة السحرية التي تمحو عن نفسي كل ألم وتمنحني أسباب السعادة اللامتناهية.

ثم أشار إلى جبينه، ففهمت مقصده، كان يُسميها باللمسة السحرية حين تربت بأطراف أناملها الحانية على جبينه، كما فعلت حين كان بالمشفى على فراش المرض، فاستيقظ بتلك اللمسة العاشقة للحب والحياة، ومنذ ذلك الحين وهو يطلق عليها هذا المسمى، ربتت بيديها الحانيتين على تلك الجبين التي ما تمنت سوى أن تبقى بقربها ولكن للأقدار حسابات أخرى.

دوى الانفجار شديدًا لولا أنه كان في منطقة بعيدة عن المدن السكنية لكان حدثت خسائر كبيرة، انفجرت السيارة في منطقة صحراوية نائية لا يعلم أحد لماذا ذهبت إليها من الأساس، جلس الضابط المكلف بالبحث في القضية يرتب الأوراق، ويعيد ترتيب الأحداث دون أن يصل إلى سبب منطقي يجعل امرأة شابة تتمتع بحياة مستقرة - كما علم فيما بعد من خلال البحث والتحري – على أن تقود سيارتها، و تذهب إلى هذا المكان الموحش في تلك الساعة المتأخرة من الليل، ثم يحدث ذلك الانفجار، فهناك حلقة مفقودة في تلك القضية، ولكن مازال البحث مستمرًا للوصول إليها.

خرج"شادي" من مكتب الضابط وهو يبحث بدوره عن إجابة لذلك السؤال الذي لا يستطيع أحد الحصول عليه، " لماذا ذهبت "لقاء" إلى ذلك المكان وكيف انفجرت بها السيارة، كادت صدمة موتها أن تقضى على حياته لولا أنه كان يتماسك فقط حتى يعلم كل شيء عن ذلك الحادث.

تعلم أن يحيا بقلب يقتله الألم: ألم فقدان حبيبته، وألم آخر أشد قسوة حين يتذكر تلك الليلة المشؤومة التي أبلغوه فيها بذلك الخبر، وحين ذهب إلى هناك علم أنه لم يتبق حتى من جسدها شيئًا ليواريه الثرى.

اتفقت أقدارهما على أن تفرقهما بأصعب فراق، وزاد ذلك قسوةً حين حُرم من أن يكون هناك قبر يذهب إليه لزيارتها والاستئناس بها، حتى وإن كانت جسدًا تحت التراب فيكفي أنه كان سيشعر بوجوده قرب روحها، أما الآن فلا يوجد شيء يعزيه ويشد من أزره، تمضي به الأيام والليالي دون روح، جسد يتحرك بين الناس ولكنه أشبه بنفس ذاقت الموت، وبقيت في برزخ مفقود ما بينه وبين الحياة، فلا هو بحي ولا بميت، هو رجل فقط لا تعنى له الحياة شيئًا.

تلاشت "لقاء" وكأنها لم تكن، إلا أنها باقية بقلوب من أحبوها بصدق وكان هو أكثر هؤلاء المحبين عشقًا وصدقًا.

أحضر"محمود" طعام الإفطار من يد والدته، التي أعدته خصيصًا لها، كم كانت حانية وطيبة القلب ولا يفوتها شيئًا من كرم الضيافة، أرسلت "أم محمود" مع ابنها ذلك الإفطار الشهي، وأكدت عليه ألا يتركها إلا بعدما تأكل جيدًا.

كان البحر هادئًا في هذا الصباح، وقد اعتادت أن تذهب لتجلس بجواره كل صباح وتنعم بنور الشمس، الذي ربما يكون فيه شفاء لما بنفسها من حنين للحياة.

(الإسكندرية) لا تعلم لماذا وقع اختيارها على عروس البحر الأبيض المتوسط، ولماذا لم تذهب إلى بقعة أخرى، ربما هي الأقدار التي ساقتها إلى هناك، وأيضًا هي نفس الأقدار التي وضعت "محمود" في طريقها حين كان كلاهما يستقل نفس القطار المتجه إلى الإسكندرية.

كان"محمود" في زيارة لأخته المتزوجة في القاهرة، واستقل القطار ليعود إلى الاسكندرية حيث والدته التي لم يتبق لها سواه بعد أن تزوج جميع أبنائها، وأصبحت لهم حياتهم المستقلة، وبعدما ذهبت روح زوجها الطيب إلى بارئها بقيت هي وابنها الأصغر"محمود" والذي تجاوز عامه الثلاثون دون أن يتزوج، وظل يحيا مع والدته ويعاونها في عمل المطعم الذي كان في الأساس عمل والده، حين تعرف على"لقاء" في القطار لم يسألها عن شيء؛ لأنه كان واضحًا أنها لن تبوح بشيء عن حالها، ولكن حين عرض عليها تقديم المساعدة توسمت هي فيه حسن الخلق، ووافقت على أن يبحث لها عن مكان صغير تعيش فيه وعمل تنفق منه على حياتها.

جلست تستقبل نسائم البحر الشافية، وتتذكر كل تلك الخطوات التي نفذتها ببراعة وبمساعدة أسرتها، التي أكدت عليهم ألا يبوح أحد منهم بسرها أبدًا، وخاصة ل"شادي" مع وعد منها أن تتواصل معهم كلما تسنح لها فرصة لذلك. كل الخطوات تمت لكي يصدق موتها، وحتى تصدق ذلك أيضًا تلك المرأة، التي لا تصنف ضمن زمرة البشر، فهي أقرب إلى الشياطين في شرها وقسوتها، فضَّلت "لقاء" أن تموت وهى على قيد الحياة على أن يصيب حبيبها مكروهًا، كانت فكرة الآنفجار الأقرب إلى المنطق؛ حتى لا يبحث أحد عن جثتها، فيظن الجميع أنها تفحمت ولم يتبق منها أشلاء.

مادة الآنفجار نفسها التي وُضعت في السيارة كانت تضمن ذلك التفسير وبالفعل قد كان، ظلت صامتةً تتذكر كل ذلك حتى أخرجها "محمود" من صمتها، حين ربت على كتفها بخفة توقظها من غفوتها التي قضتها بعينين مفتوحتين.

- لقد أحضرت الإفطار ورجاءً لا تخذليني مثل كل مرة، لا أستطيع أن أعود به لأمي مرة أخرى كما هو، أنتِ تعلمين كيف هي "أم محمود" فلا تعرضيني لتوبيخها.

قال تلك الكلمات وهو يمازحها ويحثها على تناول الطعام، كانت"لقاء" قد روت لهم بعضًا من حياتها، ولكن دون تفاصيل. فقط يعلمون أنها متزوجة ولكن على خلاف مع زوجها؛ لذا هربت _إن صح التعبير_ منه حتى لا تتفاقم المشاكل بينهم، ورغم أن ذلك التفسير لم يلاق استحسان من الابن أوالأم إلا أنهما كانا يعاملاها على أنها ضيفة وغريبة عن بلدتهم؛ لذا فلها عليهما واجب الضيافة والمساعدة، إن كانت في الإمكان.

البناية القديمة التي كان يسكنها هو"محمود" ووالدته كانت بها شقة خالية من السكان، وإيجارها إلى حد ما معتدل، ويتوافق مع ظروف"لقاء" التي لم تكن

بحوزتها إلا القليل من المال، فلم ترغب أن تأخذ شيئًا أثناء رحيلها، حتى لا تكون هناك شبهة هروب، ويفطن الجميع إلى أنها على قيد الحياة، أخذت معها القليل من المال، وتركت كل شيء حتى ملابسها، ولكن ما لم تستطع تركه هو قرط التوباز، ظلت ترتديه منذ ذلك اليوم الذي أهداها فيه إياه حبيبها.

مضت ثلاثة أشهر وبدأت النبتة الصغيرة التي بأحشائها تتحول إلى ثمرة، توشك كل يوم على النضوج، كانت "أم محمود" بمثابة أم لها، كانت ترعاها وتنتظر ذلك الفرح، الذي بداخلها وكأن القادم حفيد لها، وليس ابن غريبة من ديار غريبة، تلك الشهور التي مضت فكرت فيها دائمًا في عمل، فلابد لها من عمل تصرف من دخله على نفسها وعلى ذلك الضيف، الذي اقترب موعد وصوله، لا تستطيع أن تعمل بمكان رسمي يطلب منها أوراق وشهادات، فهي في حكم البشر والقانون في عداد الأموات، ماذا عساها أن تفعل؟!! بعد تفكير طويل هدتها نفسها إلى ما تجيد صنعه بيديها، نعم.... ماذا غيره!!

- الأرابيسك؟؟؟ ماذا تقصدين وضحى لي.
- الأرابيسك يا "محمود"، هذا ما تعلمته في ورشة أبى، منذ أن كنت طفلة صغيرة وحتى الآن، أعلم أنى أستطيع إجادة العمل به، فقط لو استطعت ان أجد مكانًا مناسبًا أقيم به ورشة، وأعمل وأكسب رزقي باجتهادي.
- ألن يكون ذلك مرهقًا لك.
- لا تقلق أستطيع أن أتدبر حالي، ولكن إن ساعدتني في إيجاد المكان المناسب والمعدات أكون شاكرة لجميلك ما بقي لي من عمر.

في بداية تعارفهما كان"محمود" يشعر بانجذاب خاص تجاه "لقاء"، ولكن حين علم أنها متزوجة وفي ذمة رجل؛ عدل عن ذلك الشعور وتصدى للحب الذي كان قد أوشك على أن يتسلل إلى فؤاده خلسةً. استطاع أن يقتل العشق في المهد قبل أن يصدر له صوت ونبض، بات لها صديق ثم سرعان ما تحولت

تلك الصداقة إلى رابطة أخوة، فكان حقًا أخ وسند لها، تم تجهيز الورشة وبعض المعدات التي أستطاع أن يتحصل عليها من أجلها بأقل الأثمان. كل شيء كُتب باسم"محمود" حتى لا يعرضها لشيء، ودون أن يسألها لماذا لا ترغب في أن يكون اسمها ظاهرًا في أوراق رسمية.

كان يعلم أنه سوف يحين اليوم الذي تثق فيه وتروى له قصتها وسرها الذي تخفيه بين طيات أيام عمرها، بدأت العمل بكل حماس حتى في شهور حملها الأخيرة لم تتوقف عن العمل، ذاع صيت الورشة وما تقدمه من أعمال خشبية ترتقى إلى درجة الفن، فن الأرابيسك الذي يقدره الكثيرون ويعشقه كثيرون لأصالة مظهره وما يحمله من طابع شرقي بديع.

مضت الأيام والليالي حتى أشرقت ذات ليلة شمس الوعد، جاءت "وعد" إلى دنيتنا الطيبة، فتاة ذات ملامح ملائكية، ولدت في ليلة ساكنة يخترق سكونها صوت بكائها الذي يكاد يقترب من مسامع والدها، الذي لم تمهله الأقدار أن يعرف بوجودها في أحشاء أمها، والآن لا يحضر لحظة ميلادها وميلاد الفرح.

- "وعد" أسميتها "وعد".

ردت"لقاء"على سؤال"أم محمود" حين سألتها عما إذا كانت قد اختارت اسم للرضيعة، كانت اختارت ذلك الاسم في شهور حملها الأخيرة، في صباح عاهدت نفسها فيه أمام الله على أن تتماسك أمام المصاعب وتنشئ ذلك القادم على أفضل ما يكون؛ ليكون يومًا ما فخر لأبيه الذي ربما تكتب لهما الأقدار أن يجتمعا به مرة أخرى، وحين أبلغها الطبيب بأن في أحشائها فتاة؛ قررت حينها أن تمنحها هذا الاسم فكانت وعد.

الأيام تمضي مسرعةً يكاد المرء يلحق بقطارها الذي لا يتوقف بالقلب إلا في محطات الحنين الموجعة، شهور وسنوات تمضي بالأم والابنة، التي اقتربت

من إتمام عامها الثاني، كانت تشم في ابنتها ريح حبيبها الذي أجبرتها الأيام على الابتعاد عن دربه، ولكن لم تتوان يوم في أن تتابع أخباره، واطمأنت حين استعاد نفسه وعاد إلى عمله في المؤسسة، وبقي لها الدعاء له بالخيرات في كل وقت وحين.

كان صوت طرقات"محمود" على باب شقتها أصبح مميزًا وموثقًا لدى مسامعها، يطرق بطريقة معينة؛ فتعرف أن الطارق هو، يطمئن عليها وعلى"وعد" ويداعب الصغيرة، ويحملها ويربت على يديها الصغيرتين وينعم بضحكتها البريئة، التي تكاد أن تخطف الألباب، فتحت"لقاء" الباب على أثر طرقاته:

- صباح الخير يا أم أجمل وعد.

كان دائمًا يمازحها بهذا النداء واللقب الطيب، وهي تبتسم على ذلك المزاح وتسعد به كل مرة، إلا ذلك الصباح فلم تبتسم كعادتها بل إنه لاحظ بعينيها أثار دموع.

- ماذا بكِ، هل أنتِ بخير ووعد بخير؟؟

لم تجيبه بل جلست على أقرب مقعد؛ وانخرطت في موجة بكاء شديدة، فأخذ يهدئ من روعها، وجلب لها كوبًا من الماء، ارتشفت منه بضع قطرات قليلة ثم استعادت نفسها، فأشارت إليه على الجريدة اليومية الملقاة على المنضدة؛ فأخذها وقرأ عناوين الأخبار في الصفحة التي كانت مفتوحة عليها.

(وفاة رجل الأعمال المعروف صفوت الوكيل) كان خبرًا يبدو له مبهمًا، فلماذا وفاة ذلك الرجل تؤثر بها إلى هذا الحد من الآنهيار والبكاء؟!! نظر إليها دون حديث وكأنه يسألها بلغة العين التي لا تُحسن قراءة مفرداتها إلا القلوب النقية، فهمت"لقاء" ما يرغب في سؤالها عنه فأجابت حديثه الصامت:

- "صفوت الوكيل" رحمه الله والد زوجي وجد ابنتي، التي لم يرها ولن يرها أبدًا، ماذا فعلت بنفسي وبابنتي؟؟ يا ليتنى ما تركت الخوف يتغلب على قلبي العاشق، يا ليتنى لم أفعل ذلك، الآن رحل الجد دون أن يرى حفيدته، ودون أن تنعم هي بأحضانه الحانية.

نظر إليها"محمود" نظرة أكثر اندهاشًا من ذي قبل، عن ماذا تتحدث، لم تمهله الفرصة ليسأل فاستطردت تفسر له كل شيء:

- الآن لم أعد أقوى على حمل كل ذلك لحالي، سوف أشركك سري لأنك أصبحت بالفعل في منزلة أخي، وبمقدوري أن ائتمنك على سرى الكبير الذي يمزق أوصالي.

ثم روت له كل شيء منذ البداية حتى لحظة أن تصادفا في القطار، والبقية هو يعلمها يومًا بيوم، وعايشها لحظة بلحظة، هدأ من روعها مرة أخرى وأخذ يطمئن فؤادها المكلوم بأن الأيام سوف تطيب الجراح، وبأن الله على كل شيء قدير، ورغم أن ما قالته أثر في نفسه حقًا إلا أنه تماسك أمامها ولم يظهر ما بنفسه من صدمة؛ حتى لا تتأثر هي أيضًا بذلك فيكفيها ما بنفسها من ألم.

انفض مجلس العزاء وذهب الجميع إلى مشاغلهم وبيوتهم، الصادق منهم والمنافق، الذي أتى حقًا لتقديم واجب العزاء، والذي أتى رياءً للوريث، الذي سوف تؤول إليه جبال الثراء بما حوت وحملت من مال ونفوذ وجاه، لم يكن"شادي" يعير ذلك انتباهًا، فقد بات بمقدوره التفرقة بين ما هو صادق وما هو كذب مطلي بطبقة صدق زائفة، أحزان قلبه كانت تكفيه فالآن رحل الأب ورحيله ذكره برحيل محبوبته، التي لم ينساها لحظة واحدة.

أنهى الرسميات التي يتوجب عليه إنهاؤها، وذهب إلى منزله الذي لم يغيره منذ رحيل "لقاء" رغم أن الجميع كان ينصحونه بالبعد عن ذلك المنزل، حتى ينسى أحزانه، ولكن ذلك كان يجعله يتشبث بالمكوث به أكثر، أصبح زواجه منها الآن علنيًا بعد الحادث، ولكن خبر الزواج امتزج بخبر وفاتها، فأصبح حديث باهت ليس له معنى، لم يخلع ملابسه التي تتشح بالسواد، فقط اكتفي بالجلوس على ذلك المقعد، الذي كانت تحب دائمًا الجلوس عليه، كان منهكًا يشعر بإرهاق شديد، ولكنه في ذات الوقت يعلم أنه لن يستطيع النوم فأي غفوة تلك التي تصاحبه وبقلبه كل تلك الأحزان، شرد مجددًا في وحدته التي لا يبددها مال الكون كله، تمنى في لحظة لو كان فقيرًا ولكن معه أحبة وأهل وأصدقاء ونبض حياة، ثم عاد يستغفر الله الرازق الوهاب، الذي قدر له المال وكتب له في أقداره أشياء أخرى يُحرم منها.

كل تلك الأفكار المتسارعة والمتصارعة فيما بينها توقفت مع صوت جرس الباب، ورغم أن الوقت كان بالفعل قد تأخر إلا أنه قام من مجلسه؛ ليعلم من ذلك الوافد الذي يأتي إلى زيارته في تلك الليلة العصيبة، وفي ذلك الوقت الذي أوشك أن ينتصف فيه الليل، كان هذا الزائر يحمل معه ما لم يكن "شادي" يتوقعه أبدأ.

العمل.... لا شيء يُلهى القلوب المتألمة سوى العمل، كانت تلك الفاجعة مفيدة جدًا ل"لقاء" ظلت تعمل حتى لا يؤرقها قلبها بكل ما فيه من حنين وندم على خوف، لم تستطع أن تكبح جماحه؛ فأخذها في طياته وألقى بها في المجهول. الآن لا تستطيع أن تعود لتخبر حبيبها بما كان لأن الخطر مازال قائمًا، ولا تستطيع أيضًا أن تحيا بكل ذلك الألم الذي يعصف بوجدانها كلما نظرت إلى "وعد" التي حرمت من أباها وهو على قيد الحياة، كانت في يديها قطعة أرابيسك تعمل عليها وتحاول أن تركز في تفاصيلها قدر الإمكان، حتى دخل

"محمود" الورشة وهو يناديها بكل حماس مما جعل الفضول ينتابها حول ما يجعله في تلك الحالة فبادرته تقول:

- ماذا حدث، لماذا تتحمس هكذا لعله خير.
- بالفعل كل الخير، لن تصدقي من يتناول عشاءه الآن في مطعمنا.
- من؟؟؟
- زوجك، نعم أنا متأكد من أنه هو، فقد رأيت صورته في الجريدة اليوم التالي من وفاة والده، حين كان هناك تغطية لخبر العزاء، الذي حضره كبار رجال الأعمال والمسؤولون، وكانت صورته من بينهم.

تركت "لقاء" القطعة الخشبية تتهاوى من بين يديها، لتلامس الأرض محدثةً صوتًا لم تستمع إليه من فرط ما بها من مشاعر متداخلة، تفقد القلب والروح توازنهما.

- ماذا بكِ وماذا تنتظرين، هيا لقد سنحت لكِ الفرصة اذهبي له وأرو له كل شيء.
- لا أستطيع ذلك، هل نسيت أن تلك المرأة مازالت موجودة، ومازال تهديدها قائمًا، بل لو أنها علمت أنى خدعتها ربما يشتد جنونها وشرها وتفعل ما لا يتوقعه أحد، وهو أيضًا ربما لا يسامحني على فعلتي تلك فحينها كيف أتصرف، لا لن أفعل شيئًا ويبقى القدر كما هو عليه.
- ألا ترغبين حتى في رؤيته من بعيد دون حديث؟؟

كان سؤال"محمود" واضحًا الإجابة، فهي بالطبع ترغب في ذلك، بل إن شوقها إلى رؤيته يصل إلى عنان السماء، ولكن هل شجاعتها تجعلها تفعل ذلك أم أن الخوف والتراجع سوف يصيبها مرة أخرى، ويحرمها من أبسط أمل لديها وهو رؤيته.

وقفت تنظر إليه وهو يجلس وحيدًا على طاولته، يتناول العام الذي بقي أمامه كما هو وظل شاردًا، كان قد مر على وفاة والده أكثر من شهرين، وربما يكون قد سافر إلى الإسكندرية لعمل ما، أو حتى لمجرد تغيير روتين الحياة، ظلت تنظر إليه وهي متوارية عن الآنظار، وما أصعب على المرأة أن ترى خليل نفسها دون أن يُسمح لها بالاقتراب منه، ظلت على ذلك الحال بعض الوقت حتى شعرت أنها لن تكتفي أبدًا من النظر إليه فقررت الرحيل، عادت إلى منزلها برفقة"محمود" الذي أصر على

أن يقوم بتوصيلها ليطمئن عليها، ظلت طوال الطريق صامتة وكأن الكلمات التي بالكون كله قد انتهت، وفقدت معانيها فلم يعد هناك حديث يقال، وصلت إلى المنزل وقبل أن تصعد إلى شقتها استوقفها"محمود" ليعلمها أمرًا هامًا، وعليها أن تستمع إليه، وإن كانت حتى لا ترغب في ذلك:

- بما أني صديقك وفي منزلة الأخ لكِ عندي حق النصح، لا تستسلمي إلى تلك المخاوف التي سوف تقضى على سعادتك وحياتك، لا شيء يستحق كل ذلك الألم الذي تعيشينه الآن أنت وابنتك.

نظرت إليه ولم تجيب على حديثه فأكمل ليتم ما يرغب في قوله:

_زوجك نزيل في فندق يملكه صديق مقرب لي، فإن رغبتي في رؤيته فقط أعلميني بذلك، وسوف أدبر طريقة تدخلين بها غرفته وهو نائم حتى لا يشعر بكِ، أجلسي بجواره واتبعي ما يقوله لكي قلبك، فإن أمرك بالحديث تحدثي، وإن تغلب عليك الصمت عودي من حيث أتيتي، أنا منتظر قرارك اليوم عند منتصف الليل، فإن وافقتي سوف أقوم بتوصيلك إلى هناك ولن أتركك وحيدة.

ربتت على كتفه وقد شعرت بأن الله قد عوضها بالفعل بأخ تستطيع أن تسند عليه أحمال قلبها دون أن يخذلها.

كان القرار بالفعل حاسمًا وسريعًا فقد قررت أن تأخذ بنصيحة "محمود" وتذهب معه إلى حيث يكون زوجها، انتصف الليل وتم كل شيء كما وعدها، ودخلت غرفته وهو بالفعل كان يغط في نوم عميق اقتربت منه وهي تحاول أن تُخفت صوت نبضات قلبها، الذي كان يخفق بقوة ألف عام من الحنين، كان ضوء المصباح المضاء بجوار الفراش خافتًا جدًا يكاد ينير بصيص من الخطوات. أمتزج بنوره الهادئ ذلك الآنعكاس الذي بدأ يتلألأ على حجري التوباز اللذين يزينان أذنيها، كانت ترتدى القرط الذي أهداها إياه منذ تلك اللحظة التي وضعه فيها في يدها ولم يفارقها أبدًا، والآن يشهدان على اجتماعهما مجددًا، اقتربت بذلك القدر الذي جعلها تلمس جبينه بأطراف أناملها؛ فتُعيد تجديد اللمسة السحرية كما كان يُسميها في أيامهم الخوالي، ربتت على جبين الحبيب وهى تهمس إلى روحه همسًا لا يكاد يصل إلى مسامع القلب حتى لا تقلق غفوته:

- حين أحببتك كنت أعلم أنك فاكهتي المُحرمة، ولكني لم أستطع كبح جماح قلبي، فعشقت وأسكنت واستكنت وحلمت وتمنيت ورأيت بصيصًا من نور الحلم يوشك على أن يكون حقيقة، أراها بعين قلبي قبل أن يراها الناظرون، ثم كان ما كان، لذا فليس من حقي الآن أن أشتكى من أنى طريدة الفردوس، تمنيت ألا يفرقني عنك إلا موتي، ولكنى لم أكن أعلم أن الموت سوف يدركني وأنا على قيد الحياة.

كان"شادي" يستمع إلى كلماتها من قبل حتى أن تنطقها، ولكنه انتظر حتى تُنهى الحديث الهامس وتختمه بعبرة ندية سقطت من بين الأجفان، التي طالما عشق شروق نور الشمس من بينهم كل صباح، فتح عينيه في حركه مفاجأة ثم أمسك معصمها بكلتا يديه بحنو افتقدته كثيرًا، ثم ضمها إلى صدره فأنهمر سيل الدمع الحبيس من سنوات، الذي لا يحق له أن يمطر على صدر رجل آخر سواه، دقائق ليست بالقليلة استغرقتها "لقاء "حتى تمالكت نفسها وبادرته تقول:

- كنت تعلم؟؟؟
- علمت كل شيء منذ وقت قريب، تحديدًا يوم وفاة والدي في تلك الليلة أتانى زائر لم أكن أعرفه، طرق باب منزلنا وحين سألته من أنت قال:
- ليست أنا من يهمك أمره، الأهم أن لدى ما يخصك، ورأيت أن من الأمانة أن تعرف ما لك عندي.
- لي عندك؟؟؟ أنا لا أعرفك، رجاءً وضح مقصدك أو أن أذهب من حيث أتيت.
- لك عندي وعد ولقاء.

نظرت إليه وكأنها تستحثه بنظراتها أن يكمل ما يرويه:

- حين ذكر اسمكِ علمت أنه سوف ينبئني بالفرح المبين،"محمود" ذلك الرجل الذي بالفعل توسمت فيه طيب الخلق، شرح لي كل شيء وكنت أتى كل أسبوع أنظر إليك وأنت تعملين في الورشة، ولكن لم أرغب في الاقتراب فجأة حتى لا أسبب لكِ صدمة، ثم فكرت أنا و"محمود" في تلك الفكرة التي تجعلك تقتربين رويدًا رويدًا حتى يجتمع شملنا من جديد، ولكن هذه المرة شملنا مع ابنتنا لنحيا مثل باقي البشر دون فراق.
- وكيف يحدث ذلك وتلك المرأة مازالت بيننا، لا لن أخاطر بحياتك وحياة ابنتى، أنا تحملت كل ذلك في سبيل أن تكونا بخير.

أمسك بيديها ليُجلسها مرة أخرى بعد أن هبت واقفة بحركة لا أرادية تنم عن أن المخاوف مازالت كما هى بنفسها وروحها الصافية، التي لم تعرف الكره ولا الحقد على أحد، روح تتمنى فقط الحياة بسعادة برفقة من تحب، ثم أوضح لها ما جد من قرارات اتخذها ليتفادى كل ذلك الخوف والقلق.

- بعد وفاة والدى أعطيتها حصة كبيرة من المؤسسة، وقدر كبير من المال، قدر يكفي مطامعها ويجعلها تتنحى عن طريقنا تمامًا، مثل تلك المرأة لا تعلم ولن تعلم أبدًا أن هناك في الحياة ما هو أثمن من المال والثراء بكثير، ولكن كيف لها أن تعلم ذلك وهى تحيا بجشع يعمى قلبها وعينيها، من الآن وحتى آخر يوم في عمرى لن أسمح لأحد أن يؤذى زوجتى ولا أن يقترب منها ومن ابنتى، مضي زمن الفراق، والآن تحقق لقلبي وعد اللقاء.

(أسوار الخوف تحول بيننا وبين الحياة، لذا فعلينا لكى ننعم بحياة راضية أن نهدم تلك الأسوار مهما كانت شديدة البُنيان).

obeikan.com

ذاكرة الحنين

تسللت أشعة الشمس الذهبية من فراغات النافذة، وتسلطت مباشرة على عينيها المغمضتين تحثها على الاستيقاظ، في بادئ الأمر لم يفلح نور الصباح في ذلك، ولكن حين أشتد نور شمس الظهيرة آن لقلبها الاستيقاظ، فتحت عينيها متكاسلة تشعر وكأنها كانت غافية لمدة أعوام، وليس بضعة ساعات، دقائق بسيطة انتصر فيها النشاط على الكسل وأتمت فتح عينيها، وجلست على فراشها تتثاءب وكأنما ترغب في غفوة أخرى، ولكن لن تستسلم، لابد أن تستيقظ فيبدو من نور الشمس أنه بالفعل قد حل وقت الظهيرة.

نظرت حولها وظلت دقائق تتفحص جدران الغرفة البيضاء، ثم تجولت بنظرها لتبصر ما تحتوية تلك الجدران، فراش تجلس عليه ومنضدة بجانبها، عليها بعض الأدوية وكرسى بجانب الفراش ودورة مياة ملحقة بالغرفة، كل ما رأت بعينيها ينبئها بأنها في مشفى، حتى ملابسها توضح ذلك، ولكنها لا تشعر بأي ألم فلماذا هى هنا، لاحظت مرآة صغيرة كانت تبدو ظاهرة لها من خلف باب دورة المياة، الذي لم يكن مُحكم الغلق، فقامت لتنظر إلى وجهها فربما يكون فيه إصابات لا تعرفها، لمست الأرض بقدميها وكأنها ترغب في أن تتأكد من أن كل الذي تراه بعينيها حقيقة وليس حلمًا سيئًا أو خيالًا موحشًا، نظرت في المرآة فإذا بكل شيء سليم ولا يوجد حتى خدش بسيط يدل على شيء.

- لماذا أنا هنا وأنا لست مريضة ولا أتألم من شيء، أين أنا؟؟؟ بل من أنا؟؟

كانت تهمس بينها وبين قلبها بكل تلك التساؤلات، التي لابد أن تجد لها إجابة ثم جاء السؤال الأصعب والأكثر رعبًا، من أنا؟؟ لا تذكر شيئًا أبدًا، كم هو مرعب ذلك الشعو، أن تعرف الحياة ولكن لا تتذكر منها شيئًا.

أصابها خوف شديد ارتجفت أوصالها على أثره، فعادت تجلس على طرف فراشها وهى تحاول جاهدةً أن تتذكر أي شيء دون جدوى... كانت على وشك البكاء لولا أن تلك العبرات تجمدت بعينيها، حين استمعت إلى صوت باب الغرفة ينفتح دون أن يطرقه الوافد ليستأذن بالدخول.

ـ صباح الخير"حنين"حمدًا لله على سلامتك، كنا ننتظر أن تستيقظى منذ عدة أيام، ولكنك تأخرتى عن الموعد الذي كان يتوقعه الأطباء، ولكن في النهاية فعلتينها واستيقظتى.

كان ذلك حديث الممرضة المشرفة على حالتها، التي تتولى مسؤلية رعايتها، استمعت إليها"حنين" وهى تكمل محاولاتها المستميتة للخروج من الصدمة لتفهم ماذا يحدث لها، فبادرتها تسأل عن مقصدها عما قالته من كلمات:

- ماذا قلتى؟؟؟حنين؟؟ هل هذا اسمي؟؟ وماذا تقصدين بعدة أيام؟؟
- نعم أنتِ كنتِ في غيبوبة لأكثر من عشرة أيام، أما عن اسمك فهو الشيء الوحيد الذي استطعنا أن نعرفه من تلك القلادة، التي كنتِ ترتدينها يوم الحادث.

مدت الممرضة يديها لتفتح درج المضدة، التي كانت بجانب الفراش، وأخرجت منه قلادة ذهبية منقوش عليها الاسم"حنين" ثم أعطتها إياها.

- وكيف أتيت أنا إلى هنا؟!! أنا لا أذكر أي شيء، أرجوكِ وضحى لى ما حدث.

- كنتى تعبرين الطريق فكادت أن تصدمك سيارة، ولكنها لم تفعل لذا ليس بجسدك أي ضرر عضوى، ولكن من أثر الحادث تعرضتى إلى صدمة شديدة أدت إلى غيابك عن الوعى تلك الأيام، وشخص الأطباء حالتك تلك على أنها انهيار شديد في الأعصاب؛ نتج عنه تلك الغفوة الطويلة، لا تقلقى دكتور"أحمد" هو المسؤول عن حالتك، وسوف يوضح لكِ كل شيء.
- أريد أن أقابله.
- تمام سوف أبلغه بأنك استيقظتى ومؤكد أنه سوف يأتى للأطمئنان على حالك.

مضت قرابة الساعة بعد ذلك الحديث، الذي دار بينهما، ثم استمعت إلى طرقات على باب الغرفة؛ فأذنت للطارق بالدخول، وكان هو الذي تنتظره.

- صباح الخير أستاذة "حنين" أنا دكتور "أحمد".
- صباح النور يا دكتور، أرجوك اشرح لى لماذا لا أتذكر شيئًا عن نفسي، أكاد أشعر بأنى سوف أجن من كثرة التفكير، ومحاولاتى الفاشلة في أن أتذكر أي شيء.
- أولًا لابد أن تحاولى التماسك، فأنتِ في أشد الحاجة لأن تكونى هادئة، حتى تستقر حالتك النفسية وتتذكرين تفاصيل حياتك.
- كيف لم تصدمنى السيارة ولم أتعرض لأذى جسدي، وأصبت رغم ذلك بتلك الحالة؟!!!
- حالتك تلك لا تعنى فقدان الذاكرة بالمعنى المتعارف عليه، الذي ينتج من أصابات في الرأس أو قصور في وظائف المخ، حالتك مختلفة عن ذلك، أنتِ مصابة بفقدان ذاكرة مؤقت يحدث نتيجة صدمة عصبية؛ بمعنى أن يتعرض الشخص لما لا يستطيع تحمله نفسيًا فيرفض الواقع، ويدخل في تلك الحالة من النسيان، التي تنتهي بنهاية

السبب، الذي أدى إليها، وفي حالتك تلك كان قرب الاصطدام بالسيارة هو ما أحدث الخوف بنفسك فكان ما كان.

- أبلغتنى الممرضة أنى هنا منذ عدة أيام، ألم يسأل عنى أحد؟؟ ومن يدفع مصاريف إقامتى وعلاجى هنا؟؟؟
- لا لم يتعرف عليك أحد ولم نتلقى سؤالًا عنكِ، أما عن مصاريف العلاج فحالتك دخلت ضمن الحالات الخيرية، التي يتكفل بها المشفى نظرًا لظروف دخولك إليه، التي توضح أنكِ ليس لديكِ من يتكفل بها.
- ألم يكن معى حقيبة يوم الحادث ؟ ربما يكون بها أوراق توضح أي شيء عنى.
- بالفعل كان بحوذتك حقيبة يد صغيرة، بحثنا بها فلم نجد الحافظة، ويبدو أن هناك من قام بسرقتها، أثناء انشغال المارة بإسعافك ونقلك إلى هنا باعتبار أننا أقرب مشفى من المكان.
- إذن لا فائدة سوف أبقى هكذا دون هوية؟؟؟

قالتها"حنين"ثم انخرطت في نوبة بكاء حادة، استطاع دكتور"أحمد" بصعوبة أن يهدئها قليلً،ا ثم استطرد حديثه يقول:

- لا تتعجلى بالطبع سوف نصل إلى أي معلومة تفيدنا، ونتخذ منها طرف خيط يساعدنا على الوصول إلى أسرتك، فقط تحلى بالصبر، واعلمي أنكِ سوف تبقين هنا حتى تتماسكى وتجدين مكانًا تعيشين فيه، وعمل ترزقين منه بما تستطيعين به أن تتكفلي بحالك، حتى يُحدث الله أمرًا كان مفعولا.

يمضي اليوم تلو الآخر وهى تبحث في أركان العقل والقلب وبثنايا الروح عن بصيص أمل، يذكرها بتفاصيل حياتها، مضى أسبوعان على ذلك الحال دون أن تجد شيء؛ سئمت وجودها بالمشفي وهى ليست مريضة ولكن في ذات

الوقت لا تستطيع أن تتخطى أسواره، فهى ليس لديها حياة معروفة خارج تلك الأسوار.

حين يولد المرء يجد نفسه بين أحباب يحتضنون خوفه من الحياة، التي تبدو إليه في تلك اللحظة مجهولة، ثم يجد من يمسك بيديه حتى يستطيع الوقوف والاتزان، ومن ثم المضى قدمًا بخطوات ثابتة ليتبين طريقه في الحياة، أما هى فقد ولدت في ذلك اليوم، الذي استيقظت فيه على صفحة بيضاء ليس بها خيط واحد يوضح لها من أين تبدأ السير، وإلى أين قد ينتهى بها المطاف.

جلست على درج البناية الرئيسية بالمشفي، وعيناها معلقتان بالطريق لعل يومًا ما يأتى أحد ليخرجها من ظلمات الوحدة وفراغ الذاكرة؛ ويعيدها إلى حيث تنتمي، اعتادت الجلوس هكذا كل يوم تقريبًا حتى قرب المغيب، حين ينتابها اليأس؛ فتذهب إلى غرفتها تختبئ بالفراش حت يحين ظهور الخيط الأول من نور الصباح، وتتكرر بها دوامات الفكر المرهقة.

- إذا سمحتِ، هل لكِ أن تصفين لى أين أجد غرفة دكتور"أحمد"؟؟

كان رجلًا تبدو ملامحه غريبة عليها، فهى لم تره طوال تلك الفترة التي كانت بها بالمشفى، نظرت إليه دقائق قليلة، وقد اعتادت على فعل ذلك الأمر، فكلما يتحدث إليها أحد تنظر في تفاصيل قسمات وجهه، وكأنها تبحث عن ذوويها في وجوه العالمين، أتمت نظرتها النافذة المعتادة ثم أجابته بوصف مكان الغرفة، وهو بدوره قام بشكرها وتوجه حيث وصفت له، ثم عادت إلى جلستها المعتادة وشرودها، الذي لم يعد هناك منه مهرب.

كان المغيب قد أوشك على الاقتراب، فقامت للذهاب إلى غرفتها لولا أن استوقفتها الممرضة لتبلغها أمرًا هامًا:

- "حنين" دكتور "أحمد" يرغب في رؤيتك في غرفته.

- خيرًا؟؟؟ عساها أخبار جيدة، بالله عليكِ أنبئيني بالأمر.
- حقًا لا أعلم، هو فقط طلب منى مناداتك، وهو سيخبرك مؤكدًا بكل شيء.

طرقت"حنين" باب الغرفة فأذن لها بالدخول، نظرت إلى الحاضرين فوجدت دكتور"أحمد" وبرفقته ذلك الرجل، الذي كانت تتحدث إليه منذ وقت قريب، أشار إليها الدكتور بالجلوس، وهو يقول موضحًا سبب استدعائه لها:

- أقدم لكِ أستاذ"سليم" وهو صديق مقرب إلى أحد أصدقائى، وكان يحدثنى في أنه بحاجة إلى مربية ترعى ابنه، وخاصة أنه يعمل بمجال الإرشاد السياحى، وذلك العمل يجعله كثير السفر، مما يحتم وجود أحد يرعى الطفل في غيابه، أنا أوضحت له كل شيء عنكِ، فإذا قبلتِ ذلك العمل سوف تضمنين مكانًا للسكن، وعملًا مناسبًا حتى تستطيعى أن تتوصلى لأحد من أسرتك.

فكرت"حنين" فيما قاله الطبيب، ووجدت أن الحديث منطقى لولا بعض الخوف الذي مازال يسكن نفسها، ويجعلها تخشى الخروج خارج أسوار المشفي، ولكن يبدو أنها لابد أن تتخذ تلك الخطوة حتى تتقدم فيما هى فيه، فكانت الموافقة هى الجواب، وتم الاتفاق على أن يأتى"سليم" في صباح اليوم التالى؛ ليصطحبها إلى المنزل وتبدأ العمل.

في تلك الليلة لم تستطع أن تغفو ولو حتى دقائق قليلة، كان القلق يساورها في كل لحظة، الغد تبدأ فاصًال جديدًا في حياتها التي مازالت لا تعرف عنها شيئًا، كما لا تعرف شيئًا عن ذلك الرجل، الذي يدعى "سليم" فكيف تكون في مكان مع شخص مجهول بالنسبة لها؟!! ضحكت ضحكة باهتة على تلك الفكرة فهل "سليم" فقط هو المجهول، أم أن الحياة برمتها تعد سلسلة مبهمة من الفقرات، التي ليس لأي منها معنً لديها، أشرقت شمس الصباح الطيبة؛

فقامت تلملم قطع الملابس القليلة التي منحتها إياها إدارة المشفي من المنطلق الخيرى أيضًا، ولم يكن حالها يسمح بالرفض، فليس هناك بديل من أن تقبل ذلك الإحسان.

لم تكن تملك شيئًا سوى تلك القلادة الذهبية، التي ترتديها في عنقها، والتي نقشت عليها حروف اسمها ولولاها ما كانت عرفت حتى مجرد الاسم.

طوال الطريق كانت تنظر من نافذة سيارته على المارة في الطرقات، وعلى المحال التجارية والبنايات السكنية، تستمع إلى الأصوات وتنظر إلى الوجوه ولسان حالها يقول مؤكد لى أسرة وأصدقاء، وأناس يعرفوننى في هذا الكون الفسيح، ولكن أين وكيف عساي أن أجدهم، لا تملك إلا الصبر، الصبر حتى تضع الأقدار في طريقها أحد يعرفها؛ فتحدث المعجزة ويتحقق أملها في العودة إلى حيث تنتمى.

كان منزل"سليم" عبارة عن شقة فاخرة، تتكون من دورين وتبدو كبيرة بالنسبة إلى رجل يحيا هو وابنه الرضيع، الذي لم يتم عامه الأول بعد، وخادمة تقوم بأعمال الطهي والنظافة، دخلت "حنين" المنزل بخطوات مترددة حتى أصبحت في الداخل، وعلمها أن تواجه ما هوم مقدر لها.

- أهلا بكِ، اعتبرى المنزل منزلكِ، رجاءً لا تشعرى بأنكِ غريبة.

قال "سليم" تلك الكلمات الودودة، وهو يحاول الترحيب بها وكسر حاجز القلق، الذي يبدو واضحًا جليًا في نظرة عينيها، كما أنه يشفق على حالها؛ لذا فكان منه تلك المعاملة الودودة، ثم جاءت الخادمة تحمل الرضيع وما أن رأه"سليم" حتى ابتسم ابتسامة أب حانٍ، ومد ذراعيه؛ ليأخذه من يديها ويضمه إلى صدره، ثم طبع قبلة حانية على رأسه وذهب به إلى "حنين" ليعرفها عليه:

- هذا الشقى المزعج الصغير"إياد " عمره عشرة أشهر.

نظرت إليه "حنين" فتوسمت فيه البراءة والملامح الساحرة؛ فأخذته من بين يدي والده بحركة فطرية، وضمته إليها، وهي تداعبه وتبتسم إليه:

- أهلا أهلا صديقى الجديد، يبدو أننا سنصبح صديقين مقربين، ونمضي سهراتنا سويًا، فمؤكد أنك تعشق السهر مثل كل الأطفال، وأنا أيضًا أعشق السهر؛ لذا فنحن رفيقان طوال الليل، ولدينا كثير لنتحدث فيه.

ابتسم"سليم"على حديثها الضاحك، الذي كانت تقوله للرضيع، الذي ابتسم بدوره ببراءة تخطف القلب والروح ببهاء جمالها.

مضت الأيام بعد ذلك طيبة هادئة، وسرعان ما ألفت"حنين"وجودها بالبيت، وعملها برعاية الرضيع، ولكن ذلك لم يجعلها تنسى ولو لحظة واحدة مشكلتها الرئيسية، وهى البحث عن ذاتها، ساعدها"سليم"في البحث، ولكن لم تؤتِ كل جهودهم أي نتيجة، فكان يصيبها اليأس من حين إلى آخر، ثم تعود تأمل في حدوث المعجزة، التي تنتظرها بفارغ الصبر وظلت تحيا بذلك الأمل شهور طويلة، كان لديها طوال تلك الفترة التي قضتها في منزل "سليم" فضول حول حياته وحيدًا، ففكرت أن تسأله ولكن خشيت أن يسبب سؤالها إحراج؛ فكانت تتراجع في كل مرة، أشياء كثيرة كانت ترغب في السؤال عنها، وأهمها سبب منعه لأى أحد من الصعود إلى الطابق العلوى من المنزل، كانت غرفتها وغرفة الطفل وغرفة الخادمة وباقى الملحقات الرئيسية للمنزل بالطابق السفلى، أما الطابق الآخر فكان ممنوعًا منعًا باتًا من أن يصعد إليه أي أحد. حتى تنظيفه كان يقوم به خادم، يأتى يومًا محددًا من كل أسبوع، يرتب كل شيء فيه ويذهب.

أما "سليم" فكان بالفعل كثير السفر مع الأفواج السياحية، التي يرافقها في رحلاتها، لذا فكانت أيام تواجده في المنزل قليلة ومحددة، حتى أنها شعرت بأن هذا منزلها وهو ضيف عليه يأتى كل حين وحين.

ذات صباح لم تستطع "حنين" أن تتمالك فضولها فسألت الخادمة:

- هل تعرفين شيئًا عن والدة "إياد" أنا لم أرها تأتى ولا مرة خلال كل تلك الأشهر الماضية لتراه، هل هناك أم تحتمل أن يبقى رضيعها بعيدًا عنها كل ذلك الوقت؟؟

أجابتها الخادمة بما تعرفه من معلومات قليلة:

- أنا أعمل هنا قبل قدوم حضرتك إلى العمل بأسبوع تقريبًا، وحين سألت أستاذ"سليم" عن زوجته أخبرنى إنهما منفصلين، وبالفعل أنا لم أرها ولا مرة واحدة.

إجابة الخادمة زادتها فضولًا، فقد كان"سليم" رجلًا حسن الخلق طيب الطباع، فأي امرأة تلك التي تتركه وتذهب، علاوة على ذلك تترك هذا الطفل الملاك الذي يتمناه أي إنسان، عند تلك الأفكار صمتت وبخيالها تجددت دوامة الأمل والتساؤلات، هل هى أيضًا أم ولها أبناء؟؟ هل ياترى لديها حبيب وزوج يبحث عنها الآن أم إنها وحيدة؟؟؟ نظرت في يديها تبحث عن أثر خلفه ارتدائها لخاتم زواج فلم تجد، لذا يبدو أنه ليس له وجود من الأساس.

حسن الطباع التي كان عليها"سليم" جعلتها تقترب من قلبه، وتشعر بأن ذلك الرجل يحمل بقلبه ألمًا كبيرًا، ولكنه لا يتحدث عنه، تأكد لديها ذلك الشعور حين كان مريضًا ذات ليلة وحرارته تكاد تصل إلى حد خطير، ليلتها كان يهلوس بكلمات غير مفهومة، ولكنها تبينت كلمة واحدة من بينهم كان يرددها كثيرًا(سامحينى)، أخذ يرددها أكثر من عشرات المرات، تلك كانت الليلة

الوحيدة التي صعدت فيها"حنين" إلى الدور العلوى مخترقة القوانين المانعة لذلك، وقامت ببعض الإسعافات له حتى تنخفض حرارته، لحين وصول الطبيب وحين وصل تركته في رعايته ونزلت إلى الدور السفلي، وظلت تفكر في تلك الكلمة التي لابد أن يكون هناك تفسيرلها.

بدأ انشغالها ب"سليم" يطغى على تفكيرها في حالها، بدأ بالفعل يأخذ مكانة كبيرة من قلبها، وهذا الشعور كان يشقيها بقدر ما يسعدها، كانت تخشى من أن تتحول تلك المشاعر الطيبة إلى حالة عشق ربما لم يكن من حقها، ماذا لو كانت بالفعل على ذمة رجل آخر، فكيف لها أن تعشقه.

كلما شعرت بقرب دنو الحب منها كلما فكرت في الرحيل، ولكن إلى أين ترحل؟ وكيف عساها أن تجد مكانًا يأويها، ومصدر رزق آخر تحيا منه، هل أقدارها تعيسة إلى ذلك الحد الذي يجعلها بين شقي الرحى، وعليها أن تختار بين اختيارين أحلاهما مر، حاولت أن تقنع نفسها بأن ذلك الذي تشعر به تجاة "سليم" ليس حبًا، وإنما معاملته الحانية الطيبة لها جعلتها تألفه وتشعر بكل تلك المشاعر التي بقلبها الآن، ولكن مع مرور الوقت كان ما بقلبها يعلن صراحة أنه عشق مبين، لذا فالآن بالفعل يتوجب عليها الرحيل، ولكن سوف تعلمه بذلك حتى يتدبر أمره، ويأتى بأحد غيرها يقوم برعاية "أياد"، سوف تشتاق حقًا إلى ذلك الصغير الذي يحمل كثيرًا من ملامح والده، أحبت الأصل والفرع وكيف لا وهو قطعة منه.

كان "سليم" في رحلة سفر طويلة بعض الشيء وكانت" حنين" تنتظره حتى يأتى لتبلغه بقرارها الحاسم، بأنها سوف تترك العمل لديه، فضولها مازال يملأ عقلها ويشغل تفكيرها، تذكر أنها حين كان مريضًا وصعدت إلى الطابق العلوى الممنوع عليها، نظرت نظرة سريعة فلم تجد شيئًا غريبًا يُمنع بسببه أي أحد من الدخول ورؤيته، غرفة نوم عادية وملحق بها دورة مياة خاصة، وغرفة مكتب صغيرة، فلماذا إذن يُحرم الدخول إلى هذا المكان، كان

فضولها قد وصل إلى ذلك الحد، الذي جعلها تقرر البحث بنفسها عن إجابات عما يدور بخلدها من أفكار وتساؤلات، ورغم إنها تعلم أن خصوصية البشر لها حرمتها، ولا يصح اختراقها إلا أنها استمعت إلى نداء الفضول ولبته، كانت الخادمة في تلك الليلة إجازة وبقيت هى و"إياد" فقط في المنزل، وبعد أن خلد الطفل للنوم وأطمأنت عليه في مهده؛ صعدت إلى الطابق العلوى، ودخلت غرفة النوم الرئيسية، لم تكن تعرف عما تبحث، فقط اتبعت حدسها الذي يرشدها إلى أين تذهب.

نظرت في الأدراج ثم فتحت خزانة الملابس، لا شيء غريب أو غير طبيعى سوى فستان زفاف معلق في حافظة أنيقة، تحفظه من الشوائب والأتربة، لفت أنتباهها أحد أدراج الخزانة، وكان درج صغير في أسفلها فتحته ووجدت فيه ألبوم صور كبير، فأخرجته وجلست على كرسى بجانب الفراش ثم فتحت الألبوم، وبدأت تتصفحه وتطالع الصور الواحدة تلو الأخرى، اتسعت عيناها على آخر ما تكون، وكأنها ترغب في تصديق ما ترى، كانت هي....صورها مع"سليم" في أماكن عدة، وابتسامات متباينة، وصورتهما مع "إياد"حين كان مازال يتنسم نسائم الحياة الأولى، وصورتهما في الزفاف، وقفت من فرط ما أصابها من صدمة وسقطت من بين يديها كل تلك الصور، التي تركتها تتهاوى من بين يديها، وذهبت صوب الخزانة، وأخرجت فستان الزفاف من حافظته فإذا به نفس الفستان الذي كانت ترتديه في الصور، دارت الأرض تحت قدميها، وشعرت للحظة من الزمان أنها سوف تتهاوى على الأرض، وأن قدميها لم تعد قادرة على حملها.

- إذن هو زوجى، وذلك الطفل الذي أحتضنه منذ شهور ابنى، أي جنون هذا الذي أحيا فيه، هل فقدت عقلى أم ماذا أصابنى؟!! رحماك ياربى بقلبي ونفسي التي لا يعلم حالها سواك.

ظلت تتحدث دون أن يكون هناك أحد يستمع إليها سوى الله السميع العليم، قررت أن تتماسك وتنتظر عودة "سليم" حتى يفسر لها كل شيء. مضت الأيام بعد تلك الليلة متثاقلة وكأنها تأبى المرور، ففي الآنتظار يحيا المرء الدقيقة بأعوام.

حل موعد وصوله من السفر فأعطت"حنين" الخادمة إجازة، وقالت لها بأن ذلك أمر"سليم" فانصاعت الأخيرة إلى الأمر، ورتبت"حنين" كل شيء كما فكرت في حدوثه، وانتظر أن يتحقق في كل ليلة منذ ذلك الوقت، الذي علمت فيه أن ذلك الرجل ليس بغريب، وإنما هو أقرب قريب.

وضع"سليم" مفتاح المنزل في الباب، وأداره وفتحه ودخل فإذا بكل شيء ساكن، حتى "إياد" لم يكن يحدث ضجيجًا ببكاءه المعتاد، كانت قد حرصت على أن يكون نائمًا؛ حتى تنفذ المشهد الذي كان في مخيلتها كما نظمت تفاصيله بدقة، ظل"سليم" يبحث عن الجميع فلم يجد أحدًا، وحين ساوره القلق دخل غرفة الصغير، فإذا بذلك الملاك الطيب يغفو هانئ الفؤاد، وحين أطمأن عليه خرج من الغرفة دون أن يحدث صوتًا ثم أغلق الباب خلفه والتف ليتلقى المفاجأة، رأها تنزل الدرج من الطابق العلوى وهى ترتدى فستان زفافها، أصابته الصدمة ثم تمالك نفسه؛ لأنه كان يعلم أن ذلك اليوم آت لا محال، أصبحت الآن أمامه، ولابد أن يصارحها بكل شيء، فلم يعد لديه اختيار أخر، وقبل أن يتفوه بكلمة واحدة بادرته هى بالحديث :

- لماذا ؟؟؟ تركتنى أبحث عن ذاتى وأنا بجوارك، وأنت الذات والملاذ والوطن؟؟ تركتنى أحتضن ابنى على أنه ابن امرأة أخرى، وهو قطعة منى؟؟؟ تركتنى أحبك في الخفاء، وألوم نفسى على ذلك العشق، وأحسبه خطيئة كبرى، وأنت حلال لقلبي ونفسى دون أن تخبرنى؟؟؟ لماذا تركتنى أتألم كل ذلك الوقت أمام ناظريك، دون أن تقول لى الحقيقة.

لك أن تعرف أننى حتى الآن لم أتذكر شيئًا، ولكن علمت فقط أنك زوجى ووالد ابنى، وأصبح الآن عليك أن توضح لى التفاصيل، التي لا أعلمها.

- الآن سوف أوضح لكِ كل شيء، عشقنا كان منذ سنوات الصبا الأولى، أنا وأنتِ جيران سكن منذ طفولتنا، وحين أصبحنا في سن الشباب والحب؛ ربط بيننا عشق صادق قوى، كان يصمد أمام العواصف مهما كانت عاتية، ترغب في هدمه بقوة، كان هو يتغلب عليها ببراعة، وحين طلبتك للزواج سعدت أسرتينا بذلك، وكلل عشقنا بالنهاية السعيدة، ولكن أنا الذي كنت دائمًا أتسبب فيما يمكن أن يهزم ما بقلوبنا، في بداية قصة عشقنا وحتى قبل أن أتقدم إلى خطبتك، كنتِ تعلمين عن نزواتى المتعددة، ومع ذلك تغفرين لى في كل مرة، أخطى ثم أعود لأعتذر، وتقبلين اعتذارى حتى إن اصدقائنا المقربين كانوا يعلمون عن عيبى ذلك.

في بداية عملى كنت أتعرف على هذه، وأصادق تلك ولكن جميعهن كن مجرد نزوات، وعشقك هو الأساس، وحقًا لا أعلم كيف كنتِ تغفرين لى كل تلك الزلات، ربما هى قوى الحب التي بقلبك، أو أن صفاء نفسك كان يساعدك على ذلك، حقًا لاأعلم، ولكن حين اقترب زواجنا عاهدتك على ألا أعود إلى تلك الهفوات أبدًا، وأن أكون نعم الزوج والأب، ولكن لم يحدث فعدت مرة أخرى إلى ذلك الطبع اللعين، ولكن دون أن تعلمى ذلك، أعلم أنى ارتكب خطيئة كبيرة، وأعلم أيضًا أنكِ لن تغفرين لى، ولكن حينها تسلط شيطانى على عقلى وسول لي أنى أستطيع أن أنجو بفعلتى في كل مرة، ولكن أراد الله أن يعاقبنى على تلك الذنوب، التي كنت ارتكبها دون أن أحسب حساب أن الله يمهل ولا يهمل.

حدث ذات يوم وهو نفس اليوم الذي انتقلتى فيه إلى المشفي، أنى كنت أجلس في أحد المطاعم مع إحدى صديقاتى، اللاتي لم تكوني تعرفين عنهن شيئًا،

ولا أدرى كيف عرفتى بمجلسنا هذا، ولكن يومها فوجئت بكِ أمامى والغريب أنك لم تثورين أو تلقى على مسامعى كلمات قاسية، بل أكتفيتِ بالنظر إلى نظرة مباشرة من العين نافذة إلى العين، وأقسم لكِ أن تلك النظرة كانت أقسى بكثير من ألف كلمة جارحة، كان من الممكن أن تتفوهين بها، لم ولن أنسى تلك النظرة ماحييت، وهى نفسها التي كانت كافية بأن توقظنى من ذلك الضلال الذي كنت أحيا فيه.

بعد أن نظرتى نظرتك تلك التفتِ لتعودى من حيث أتيتي، وما هى إلا خطوات قليلة ثم سقطتى على الأرض مغشيًا عليكِ، فحملتك وأسرعت إلى أقرب مشفي، ثم دخلتى في غيبوبة لعدة أيام متتالية، كنت أدعو الله فيها أن تستفيقى لأطلب منكِ الغفران، أخبرنى الطبيب بحالتك وبفقدان الذاكرة المؤقت الذي أصابك، وشدد على ضرورة ألا تتعرضى إلى أي صدمة جديدة، حتى تستعيدى توازنك، وتتذكرى كل شيء، وكم كنت أخشى تلك اللحظة التي تتذكرين فيها كل تلك الآلام، التي سببتها لكِ وفي ذات الوقت كنت أتمنى شفاءك حتى وإن لم تمنحينى الغفران فيكفينى أنكِ بخير.

أنهى"سليم" حديثه الذي كانت تستمع هى له بإنصات، ثم وضع رأسه بين كفيه وبدا كما لو أنه يبكي بكاءً مكتومًا.

دموع الرجل لا تذرف إلا حين يكون القلب قد فاض بأحماله، ساد الصمت بينهما بعض الوقت، الذي كانت تبحث بداخلها عن غضب منه، أي شيء يذكرها بذلك الذي روى عنه من آلام، لم تجد شيئًا بقلبها له سوى العشق الأصيل، تقدمت من مجلسه بضع خطوات، ثم أمسكت بكفيه الذين كانا يخفي بهما عينيه الدامعتين، ثم مسحت آثار الدمع عن وجنتيه وهى تقول:

- لا أذكر شيئًا مما قلت، ولا أشعر بداخلى بأي ألم منك، ربما أراد الله أن يمنحني ذاكرة جديدة وعمرًا جديدًا أحياه بقربك دون أن يكون

بقلبى أي ضغينة لك، نعم أذكرك ولكن بذاكرة الحنين إليك، الحنين إلى عشقك وقربك وبداية حياة جديدة معك في كل صباح؛ لذا فمن الآن وحتى أخر العمر لن يكون بيننا خطيئة وغفران، بل سوف يحيا قلبينا بعشق وأمان.

(حين يكتب الله في قدر قلبين أن يجمع بينها عشق صادق، لن تُفلح مكائد الدنيا مهما عظمت في أن تفرق بينها)

obeikan.com

رائحة نسيم البحرالساحرة أيقظت كل منهما في ذات الوقت، فتح عينيه وهو ينظر حوله ليتبين أنه في اليخت الخاص به في إحدى الغرف الخاصة بالنوم، لم يصدق عينيه، ما الذي أتى به إلى هنا؟؟ يذكر أنه كان في حفل زفاف أحد أصدقائه الليله الماضية، وكان الحفل مقامًا في أحد الفنادق ولا يذكر أي شيء عن الإبحار، نهض من الفراش وتوجه إلى النافذة الصغير الموجودة بجدار اليخت؛ فتيقن من أن اليخت غير راسٍ في مرساه، إنه بالفعل يبحر ولكن من أين إلى أين؟؟؟

نهضت من الفراش وهى تحاول استيعاب ما يحدث، كل ما كان حولها يؤكد أنها في يخته وتبحر في يم لا تعلم إلى أين يأخذها مجددًا، كانت "هى" سريعة الغضب إلى ذلك الحد الذي يجعلها تتفوه بكلمات جارحة ثائرة في أحيان كثيرة، ثم سرعان ما تندم عليها فيما بعد، وتعترف دائمًا بأن تلك العصبية كانت من أهم أسباب تفاقم المشكلات بينهما، التي أوصلتهما الآن إلى حد الآنفصال بعد ما يقرب من ثلاث سنوات زواج.

كان كل منهما في اليخت بغرفة منفصلة عن الآخر، وفي لحظة واحدة فتحت أبواب الغرف وخرج كل منهما بما يحمل في قلبه من مشاعر متباينة وردود أفعال متسرعة غاضبة.

- هل وصل بك الحد الى تلك التصرفات الصبيانية، تخطفنى وتحضرنى هنا دون أن أعى ذلك؟؟ هل تظن أنه بتلك الطريقة نعالج

مشاكلنا؟ زواجنا انتهى وكلانا يعلم ذلك، فلماذا نطيل في الأمر الذي انتهى بالفعل؟؟

- عن أي خطف تتحدثين؟؟ ألم نكن كلانا في حفل الزفاف ليلة أمس؟؟ أنا لا أذكر كيف استيقظت هنا، وأنا لم أكن أعلم من الأساس أنكِ هنا.

نظرت"هى" إليه نظرات استنكار لما يقول، وكأنها لا تصدق حديثه مما دفعه لأن يكمل كلماته قائلًا:

- حقًا لاأذكر شيئًا وبدلًا من أن تلقى علىَّ اللوم كعادتك، وتختلقين التهم التي ليس لها محل من الحقيقة، دعينا نبحث في الأمر لنعرف ما حدث.

كلماته كانت صادقة إلى حد كبير، مما دفعها لأن تتحلى ببعض السكينة؛ لتبحث معه عن مخرج لتلك الدائرة المنسوجة من حلقات الفكر والاستنتاج.

كان حديثهم السابق يدور في الممر الذي ينتهى بباب خلفه سلم للصعود إلى الطبقة العليا من اليخت، أشار إليها بيديه ليصعدا سويًا فتبعته"هى" ولكن حين اقتربا من ذلك الباب؛ لاحظت شيئًا لفت انتباهها فأشارت إليه ناحيتها وهى تقول:

- أنظر هناك ورقة معلقة على الجدار.

مد يده وانتزع تلك الورقة التي كانت مثبتة في الجدار بشريط لاصق ليس بقوي، نظر في الورقة وبدأ يقرأ بصوت واضح ما بها من كلمات، حتى تستمع هى أيضًا لما تحتويه تلك الورقة.

(بالطبع تشاجرتما كالعادة، ولكن طالما تقرآن الآن تلك الكلمات إذن فقد هدأتما قليلًا مما يساعدنا على أن نفسر لكما لماذا أنتما الآن في ذلك اليم...

نحن أصدقائكما ولن نذكر أسماء فقد اشتركنا جميعا في ذلك الأمر، وضعنا في شرابكما الذي تناولتماه في الحفل ليلة أمس مخدرًا ثم بعد أن غفوتما قمنا بنقلكما هنا على متن اليخت، الذي يبحر الآن بواسطة الملاح الآلي، حتى تستعيدا يقظتكما وتبحرا بنفسيكما، نعم فعلنا ذلك لما رأيناه من عناد شديد يتشبث بقلوبكما، ويحجب عن أرواحكما الرؤية بوضوح، كنتما ومازلتما عاشقين، حتى وإن لم ترغبا في الاعتراف بذلك، فنحن نراه جليا في نبض قلوبكما ونظرات الأعين. وبما إن الأمر وصل إلى حد الطلاق والانفصال النهائي أرتأينا بوصفنا أصدقائكما المقربين أن نقدم على ذلك الفعل، حتى تجدا طرقًا للتفاهم بهدوء فيما بينكما بعيدًا عن أي عوامل خارجية، تلك الرحلة لكما فاعتبرونها فرصة أخيرة لإنقاذ ما بقلوبكما من عشق مبين، فإما إن تعودا وأنتما يد بقلب، أو أن يكون الفراق قراركما الأخير).

كانت كلمات الأصدقاء على ذلك القدر من الوضوح الذي أصابهما بالخجل من نفسيهما وعنادهما، الذي مازالا مستمرين فيه، صعدا إلى سطح اليخت، ولكن لم يتحدث أي منهما إلى الأخر، جلس "هو" في مكان و"هى" في مكان، وكل عقل وقلب منهما يسترجع كل تلك السنوات التي مضت بكل مافيها من أفراح وأحزان.

كان ملقبًا بصائد الكنوز، ذلك اللقلب لم يحظى به إلا بعد سنوات عمل شاقة، كان يعشق الاكتشافات الأثرية، يظل يبحث وينقب هنا وهناك حتى يظفر بكشف عريق، يقدمه إلى العالم فينبهر به القاصى والدانى، ويعلمون أن ذلك اللقب حقًا يليق به، شدة ولعه بعمله كانت تجعله يقضى فيه أوقاتًا كثيرة، يكاد أن ينسى حسابها مما حرمه من متاع كثيرة في الحياة البسيطة اللعينة عن كل تلك الكنوز، أما"هى" فكانت أيضًا على نفس القدر من عشق العمل، كانت كثيرة الأسفار بحكم عملها كمضيفة طيران، زارت كثيرًا من بقاع الكون، ولم تسأم قط ترحالها المتكرر، الذي كان يأخذ من وقتها أكثر ما تمنح لقلبها.

ربط الحب بين قلبيهما سريعًا في أحد المؤتمرات، التي كان هو ضيف فيها وهى أيضًا، كان تعارفًا سريعًا ثم عشق أصيل ثم زواج مرير، لم يكن الزواج هنا مريرًا بسبب عدم التفاهم ونقصان العشق، بل كان زواجًا غير متزن، لسبب بسيط جدًا؛ أن شريكين الحياة لا يتقابلان إلا كل حين وحين، حتى نسيا أنهما زوجان، مما أدخل في نفوسهما الغضب من حالهما، والذي أنعكس فيما بينهم الآن من خلاف.

بعد كل ذلك الفكر الذي أصابهما بالارهاق قرر"هو" أن يتقدم خطوة إلى الأمام فذهب إليها ليحدثها:

- ربما هم على حق، نعطى أنفسنا بعض الوقت ربما نجد سبيل لعودة الحياة بيننا.
- عن أي حياة تتحدث، عن تلك الساعات القليلة التي نرى فيها بعضنا، ونمضيها في الشجار الذي يرهقنا أكثر ويباعد بين قلوبنا أكثر وأكثر،

حين تفوهت بتلك الكلمات شعرت بأن هناك ألمًا كبيرًا بقلبها لم تكن تصفح عنه؛ ففاض من عينيها الدمع، الذي يهون في أحيان كثيرة ما بالروح من ألم، رق "هو" لحالها؛ فضمها إلى صدره وأخذ يربت على كتفها ليطمئن ذلك الفؤاد، الذي يبدو أنه بالفعل يفيض بالألم والعشق في آن واحد، كحال فؤاده هو ذاته، ثم نظر بعيدًا فلمح ما لفت انتباهه فقال:

- انظري، يبدو أننا نقترب من جزيرة، ما رأيك نرسو بقربها ونخوض تلك المغامرة، ربما تكون شافية لما بالقلوب.

أومأت برأسها لتعلن موافقتها على ما يقول وقد كان ذلك، تولى هو قيادة اليخت بدلاً من الربان الآلى، ووجهه إلى حيث تكون الجزيرة، ثم رسى بالقرب منها وترجل كلاهما من اليخت ليلمسا أرض الأمل بقدميهما التي

تشتاق إلى خطوات موفقة سعيدة، ظلا يتجولان فيها فلم يجدا شيئًا يلفت الآنتباة؛ فقد كانت جزيرة مهجورة ويبدو أنها على ذلك الحال منذ عقود كثيرة، كان أصدقائهم قد زودا اليخت بالطعام والملابس والأغطية، وكل شيء يلزم رحلتهما، فعاد هو إلى اليخت ليجلب بعض الطعام ثم رافقها في قطعة ساحرة من الجزيرة، التي كانت محاطة ببقايا أسوار يبدو أنها تهدمت على مر العصور، أضاء مصباحًا صغيرًا ثم مد قدميه أمامه في حركة متكاسلة، فإذا بقدمه يصطدم بحجر صلب، ولكن تلك الصدمة لم تسبب له ألمًا بقدر ما حكت ذلك الحجر، وحين انتابه الفضول رفعه لينظر تحته فوجد حفرة ليست بعميقة، ولكنها كانت كافية العمق لإخفاء كتاب مكتنز الصفحات، نظر إليها وكأنه يرغب في أن يقول ها هى مغامرتنا تبدأ.

ابتسمت هى له على إثر ما فهمت من حديث عينيه، فأخرج الكتاب وأخذ يقرأ وهي تستمع إليه، كان الليل قد أوشك على الأقتراب فأقتربا من ضوء المصباح وبدأ هو يبحر بين صفحات الكتاب، التي كانت تحمل في طياتها الكثير والكثير.

((((إن كنت قد عثرت على كتابى ذلك وتقرأ الآن كلماتى، فلك أن تعرف إن كل ما سوف تقرأه حدث هنا على تلك الأرض، التي تقف عليها بقدميك الآن، وإن كل تلك القلوب التي اختبرت معاني العشق والألم واليأس والأمل عاشت ها هنا تحت تلك السماء، وبرفقة نسيم يشبه ما تتنسمه أنت الآن، من أنا؟؟؟ سوف تعرف في نهاية الأمر من أنا، ولكن الآن دعنى أروى لك ما كتبت لك أقدارك أن تعرفه، سوف أحكى عن أحلام متشابكة وقلوب استكان بها نبض الأمل، قلوب تحمل بداخلها ما لا تبوح به الأعين، أحلام مبعثرة ما بين واقع وخيال.... رحلة صعبة وسط أمواج متلاطمة تبحث عن مستقر، عشق ضل الطريق، وورود تتطلع إلى ربيع مزهر، وأيام تمضى بأرواح معلقة بأمنية واحدة، وهى النجاة من عاصفة الحياة.

يُحكى أن في سالف العصر والزمان، بجزيرة يطلق عليها جزيرة الخيزران في بلاد ما وراء الخيال مملكة تدعى " نورسين " في وسط المحيط منقطعة ومنعزلة عن العالم، تحيط بها هالة من السكون و كأنها ليس بها حياة ولا يسكنها بشر، لها عشرة أبواب وتحكمها ملكة تدعى "كهرمان" تلك المملكة بها كل سبل الراحة والحياة الكريمة ومتطلبات السعادة، ولكن يحظر على سكانها الخروج من أي باب من العشرة أبواب، كما يحظر على أي منهم كسر القوانين والقواعد، التي فرضتها "كهرمان" وإلا تعرض لأشد العقاب.

كانت"كهرمان" امرأة تتمتع بجمال آخاذ؛ تبهر العيون بجمالها وتخشاها القلوب من قسوة طباعها، وحكمها النافذ وسيطرتها على المملكة وحياة سكانها، تفرض سيطرتها على كل شبر من المملكة، وتستطيع أن تعرف كل شيء يحدث بأصغر بيوتها، الخطيئة الكبرى التي لا يستطيع عاقل أن يُقدم على فعلها هى التفكير فقط مجرد التفكير في الآندماج في العالم الخارجى بعيد عن المملكة والجزيرة، شيوخ المملكة وكبار السن بها وحدهم مَنْ قد رأوها قبل أن تتحول إلى ملكة قاسية إلى هذا الحد؛ لذا حينما يروون لأحفادهم أن تلك المرأة كانت أرق من النسيم، ومحبة للحياة ودائمة الابتسام والضحك والتباسط مع عامة القوم؛ لا يصدقون أنم يتحدثون عن نفس المرأة.

هو سر لا يعلمه إلا الله، ذلك السر الذي تحولت بعده إلى ماهى عليه الآن.

تُرى هل توفر كل سبل الحياة الرغدة منحهم السعادة، أم أن تلك السعادة كانت تتطلب كسر الحواجز، والخروج من تلك الأبواب العشر أم أن ذلك يعد مخاطرة كبيرة، وعلى من يقوم بها تحمل العواقب.

وقفت أمام السنارة وشبكة الصيد والقبعة التي كانت يرتديها والدها وقاية من أشعة الشمس، التي كانت تحيط به ساعات وساعات، وهو يمارس أحب

الأعمال إليه... الصيد... لم يكن بمثابة عمل فقط، بل كان الصيد له حياة، وحين حُرم منه فقد الحياة... كم كانت تعشق تلك الأيام التي تخرج فيها مع والدها في رحلاته وتلهو وتلعب وتستمتع بالشمس ورائحة البحر، التي لا تنفك أن تتنسمها حتى الآن رغم حرمانها منها...وحين ترى حصاد الصيد وما رزق الله به والدها من خير البحر؛ يملأ شباكه ويعم الفرح على كل طاقم السفينة.

- أسيل... أسيل...

انتزعتها أختها الصغرى"بتول" من نوبة شرود جديدة أصابتها حين نادتها مرة بعد مرة وهي لا تجيب نداءها.

- ما بكِ يا أختاه...عدتى مرة أخرى للشرود والتفكير فيما تنوين فعله؟!!

أجابتها بنظرة عين شاردة ممتزجة بعزيمة وإصرار، تعنى أنها لن تتراجع فهى فقط مازالت تحيا؛ لتحقق ما تخطط له منذ أكثر من عام.....

- اسمعينى مرة واحدة أرجوكِ... أنا وأنتِ مجرد فتاتين من العامة، وما حدث لنا حدث لكثير من سكان المملكة، وارتضينا السكوت؛ لأن قوتنا لا تستطيع مجابهة الملكة بنفوذها وحكمها الظالم، لذا فلا داعٍ لما تفكرى فيه لأنه أقرب إلى المستحيل.

التفتت إليها"أسيل" بكل غضب لتكسر حاجز سكوتها، الذي مضى عليه ساعات.

- تقولين أن ماحدث هين ويحدث لكثيرين؟!!! تطلبين منى أن أتخلى عن ثأرى، أن أرتضى الذل والهوان؛ وأعيش تحت سطوة تلك المرأة الظالمة، التي لا تعرف عن الآنسانية شئًا ... تلك التي تتحكم حتى في أحلامنا...وإن نسيت فهل تستطيعين أن تنسى والدنا، الذي فقد حياته حسرة بسبب ذلك القانون، الذي فرضته لتُحرم الصيد والخروج من المملكة ... توفي والدنا لأنه لم يتحمل أن يُحرم من عمله، الذي لا يعرف سواه... ثم توفيت أمنا حزنًا عليه..

وإن نسيت كل ذلك فهل نرتضي ما تفرضه من طقوس؛ لتقهر كل من يفكر في الزواج... تلك المرأة فقدت عقلها مؤكدًا...أصدرت قانونًا يلزم كل شاب يرغب في الزواج أن يجتاز اختبارات قاتلة لا يمكن أن ينجو منها ألا ذو بنية قوية، أو من يعرف الطرق الوعرة وكثير الأسفار، وذلك لا يتوفر في شباب المملكة؛ لأنهم محبوسون داخلها منذ طفولتهم.

على من يرغب في طلب الزواج من فتاة أن يتقدم بالطلب أولًا إلى المملكة، ويبعثونه في سفر بموارد محدودة خارج المملكة؛ ليجتاز رحلة رهيبة لا يعود منها إلا من رحم ربى... وتلك هى الحالة الوحيدة التي تسمح فيها بالخروج من المملكة...أي جنون هذا الذي يجعلها تحكمنا بمقاليد الموت وقتل الأحلام ومعاني الفرح.

لم تستطع"بتول" أن تعترض على ماقالته أختها لأنه كله حق... ولكنها ما زالت تخشى عليها من فكرة الأنتقام...كيف لها بقوتها القليلة أن تهزم ملكة لها نفوذ وسلطة وصولجان وحرس وهالة كبيرة تحيط بها صعب اختراقها.

عدلت أسيل من هيئتها ومسحت ماتبقى بعينيها من أثار دموع، وهمت بالذهاب إلى عملها.

- لقد تأخرت عن عملى لا تنس أنى قريبًا سوف أصبح وصيفة مقربة للملكة..قالتها وبعينيها لمعة اقتراب تحقيق هدفها ..الآنتقام ولا شيء أخر سواه...

هل تكفيها قوتها القليلة في ذلك أم أن الأقدار سوف تمنحها ما لم تكن تحسبه في مخططتها؟!!!

مولاتى"كهرمان" اليوم تتفضلى جلالتك باختيار الوصيفات الجدد من ضمن المجموعة، التي تم تعليمهن وتدريبهن على خدمة مولاتى السلطانة.

أشارت"كهرمان" إلى كبيرة الوصيفات بقصرها الملكى بيديها بالآنصراف دون أن تلتفت إليها، كانت تنظر من خلف نافذة جناحها الذهبى بالقصر تطالع المملكة.

صباح هادئ مثله كمثل صباحات كثيرة تشرق على المملكة، أحيانا تشعر إن بداخلها إحساس بالرضا على أنها أستطاعت أن تجعل الحياة بمثل ذلك الركود والسكون... كل شيء متحرك دون حياة.. السوق يكتظ بالبائعين والشاريين، الشكل العام يوحى بنبض حياة، أما في داخل قلوبهم فتوجد هالة كبيرة مظلمة، ولا أحد يعلم إن كان بمقدور شيء إنارتها، أم أنه قد فات أوان ذلك منذ أمد بعيد... استطاعت أن تقتل كل قصة في مهدها قبل أن يكتمل عليها بدر السماء؛ فتصير واقعًا بين اثنين أراد لهما القدر نبض عشق وحياة.

رغم أن خطواتها كانت مرسومة على الطريق ببعض من علامات القلق، إلا إنها كانت تستطيع أن تمنح روحها القوة بكل دوافع الآنتقام، التي تعزز من حواسها وتجعلها أكثر انتباهًا، كانت خطوات "أسيل" تأخذها كل يوم في

الاقتراب من هدفها، وإتمام كل جوانب خطتها التي أخذت من ليالى عمرها الكثير ومن نهاره الأكثر.

بالقرب من القصر كان يجلس"علام" بعد أن روى حدائقه بالماء العذب، وبقايا حكايات الماضى القريب، كان يهمس للنباتات بأسرار ويودعها في طى كتمانها، ربما لأنه لا يستطيع أن يبوح بها لبشر؛ فالنبات أأمن وأكثر إصغاءً، أتم عمله وجلس أمام باب القصر، الذي لم تطأ قدمه بوابته منذ سنوات، حين أمرت "كهرمان" بأن تقتصر مهمته على رعاية البساتين المحيطة بالقصر من الخارج فقط... كان ربيعًا جافًا لم تزهر فيه الورود بشكل طبيعى، وكما ينبغى لها أن تكون في مثل هذا الفصل من العام، شغله ذلك الأمر فهو منذ أن كان طفلًا صغيرًا لا يعرف غير تلك المهنة، فوالده كان بستانيًا وقد ورث عنه ذات المهنة، فباتت النباتات رفيقة له طوال سنوات عمره، ويبدو أنها ستبقى كذلك حتى نهايته.

رفع عينيه ينظر إلى الطريق فرأي"أسيل "قد اقتربت من بوابة القصر، وحين رآها ابتسم ابتسامته العذبة الممزوجة بروح الأبوه، التي يشعر بها كلما رأي"أسيل" أمام عينيه؛ فأسرعت الخطى تبادله ابتسامة بأخرى، كان في عم علام شيء من العوض عن أبيها، فكانت ترى في طيبة قلبه كثيرًا من عطف الأب الذي فقدته غدرًا.

- صباح الخير عم "علام".
- صباح الخير ابنتي "أسيل"... كيف حالك؟
- بخير حال حمدًا لله، سلمت لنا عم "علام"، ادع لى بالتوفيق فاليوم الملكة "كهرمان"سوف تختار الوصيفات الجدد لها، تمن لى التوفيق، وأن أكون من هؤلاء الوصيفات.

- سوف أتمنى لكِ يا ابنتي ما مقدر لكِ فيه الخير، فربما تتمنين ماهو شر دون أن تدري.

نظرت إليه"أسيل" نظرة بها بعض ملامح الشك والريبة، أتراه يعرف مخططها ويخشى عليها منه، أم يعرف شيئًا لا تعرفه هي؛ فبادرته بسؤال:

- ألـيس من الخير أن أكون وصيفة مقربة للملكة، وأحصل على امتيازات كثيرة ومستوى معيشى أفضل؟
- الله وحده يعلم ماهو خير لكِ؛ لذا فسوف أدعو الله دوما بالخير، الذي لا يعلمه أحد سواه...كما أدعو لابنتي أيضا بذلك الدعاء.

أنهت"أسيل" حديثها معه وأكملت خطواتها نحو بوابة القصر، وعبرت إلى الداخل... إلى أول خطوة في حلمها.

أتراه خيرًا أم أن للأقدار حسابًا أخرًا؟!!!!

وقفت كبيرة الوصيفات" أيار" تراجع تجهيزات عرض الوصيفات للاختيار، وعلى ملامحها القاسية دومًا علامات القلق والترقب؛ فهى تخشى وقوع أي خطأ تعاقبها عليه الملكة"كهرمان" أطمأنت أن كل شيء كما ينبغى أن يكون، فسمحت للوصيفات بالدخول إلى القاعة الخاصة بالملكة بعد أن أذنت لها بذلك.

جميع الفتيات أخذهن الآنبهار برؤية" كهرمان" عن قرب، فهى بالفعل امرأة ساحرة الجمال، رغم ما تحمله بقلبها من عواصف عاتية وأمواج متضاربة، تكاد تغرق بها جميع البشر من حولها إلا أنها في بداية الأمر ونهايته أنثى، وتذهب العين للانبهار بقسمات وجهها، ناهيك عن ردائها الملكى وحليها الذهبية، وما تتمتع به من علامات الملك والجاه.

ذلك كان حال كل الفتيات إلا "أسيل" وحدها كانت تنشغل بتفكير أخر تمامًا... تبحث في نظرة عينيها... في طريقة انتقائها للكلمات التي دومًا تنطقها بشكل آمر كما تعودت والجميع يطيع.

"ماهذا الشيء اللامع الملقى على الأرض"

تلك الكلمات حدثت بها "أسيل" نفسها حين رأت من بعيد في طرف القاعة شيئًا يلمع، يبدو وكأنه قطعة حلى ذهبية سقطت من الملكة دون أن تدري، رأت في ذلك فرصة رائعة، ربما لن تتكرر في أن تلفت نظر الملكة لها وتختارها من ضمن وصيفاتها، وهنا تكون قد أتمت أول خطوة في طريقها المنشود... فقط تحتاج إلى بعض الجسارة ورباطة الجأش والحزم والتنفذ.

- ما هذا هل جننتيِ يا فتاة... كيف تجرئين على الخروج من صف الوصيفات قبل أن تأذن الملكة لكِ بذلك؟

نطقت "أيار" بتلك الكلمات في حدة شديدة؛ لتوبخ بها"أسيل" على خروجها من الصف، واندفاعها نحو أطراف القاعة صوب ذلك الشيء، الذي لمحته وأرادت أن تعيده بنفسها إلى"كهرمان".

بالفعل كان خاتمًا ذهبيًا مرصعًا بزمردة، ليس لها شبيه في سحرها وعلو قيمتها...

- عذرًا مولاتى لم أقصد أبدًا إساءة الأدب، أو اختراق النظام، لكنى خشيت أن يراه أحد ويسرقه في غفلة الآنشغال بالاختيار من بيننا وصيفات...

كانت تلك كلمات"أسيل" تقولها بكل سكون وخنوع يرضى غرور مليكتها، التي باتت تعرف عنها القليل من الطباع التي تمكنها من سبر أغوارها والتقرب منها...

- " أيار"
- أمرك مولاتى.
- تلك الفتاة تُعين أول وصيفاتى المقربات لحسن خُلقها وأمانتها...

تهللت أسارير"أسيل" حين أدركت أن خطوتها الأول قد نجحت، والآن هى على الدرب الصحيح نحو هدفٍ لن تتراجع عنه مهما صار...

حمل بعض من الطعام الذي تيسر له شراؤه وهو عائد إلى بيته لزوجته، "زمردة"وابنته "ديم"...كان عم علام دائم الرضا، فمهما كان رزقه يرض به... كانت "زمردة" تقف على باب المنزل حين يقترب موعد قدومه كل يوم، كانت كذلك من أول يوم لزواجهما طيبة العشرة صافية القلب راضية دومًا بحال زوجها.

- اشتقت إلىكِ حبيبتى..كيف حالك وحال "ديم".

عند ذكر ابنتها تتغير ملامحها إلى ملامح تشوبها الأحزان.. فابنتها لا تتحدث منذ أعوام مضت، رغم أنه ليس بها مرض، وإنما ترفض الحديث..تحيا بين جدران البيت حياة بلا نبض، ولا يعرف الفرح طريق إلى قلبها... قدر لها ذلك وقد كان.

- لا تقلقى يومًا ما سوف نسمع صوتها جليًا يكسر حواجز السكون الذي يقتل بداخلنا الحياة وحينها سوف أذكرك بذلك.

طمأنها زوجها بتلك الكلمات، التي كان يطمئن نفسه بها أكثر منها...

انصرفت الوصيفات بعدما تم اختيارهن بدقة... ثم وقفت"أيار" تنتظر باقى أوامر مليكتها.

- اسمحى لي يامولاتى قبل أن انصرف أحييكِ على فكرتك الذكية... الخاتم أوضح لنا من منهن أكثر شجاعة وأمانة وقوة ملاحظة، لتكون أقرب وصيفاتك وتحظى بذلك الشرف العظيم.....

لم تحرك كلمات النفاق والمجاملة في"كهرمان" ساكنًا فقد اعتادت على هذا النفاق.

- تدركين أنى لا أحب أن أترك شيئًا للصدفة.

قالت ذلك وهي ترمقها بنظرة حادة بها معانٍ كثيرة، تلك النظرة التي أحدثت في"أيار" شيئًا من الخوف، لتبقى دائما تحسب خطواتها حتى لا تخطئ وتتعرض للعقاب.

هل امرأة بكل هذا الذكاء والسلطة يُمكن أن تقهر؟!!

أثناء عودتها من القصر إلى المنزل ليلًا بعد أن أنهت أول عمل لها مرت على السوق في طريقها؛ لتشترى بعضًا من ثمار الخوخ التي تعشقها أختها"بتول" كانت تشعر أنها في دور الأب والأم بالنسبة لها، وربما كانت بتول هى ما يربطها بالحياة، ويبقي بداخلها بعضًا من المشاعر الطبيعية والحب بعيدًا عن الآنتقام والكره، أخذت تسترجع كل الأحداث التي لا تنفك تُذكر نفسها بها دائمًا، خشية أن تنساها وتتراجع، أو ربما هو نوع من جلد الذات لتصبح أكثر قوة وصمودًا.

دخلت المنزل بخطوات هادئة؛ لأنها توقعت أن تكون بتول قد غفت في مثل تلك الساعة المتأخرة من الليل، ولكن على العكس شقيقتها كانت في انتظارها بكل قلق لتطمئن عليها.

- أحضرت لكِ ثمار الخوخ التي تحبيها.

لم ترد"بتول" على تلك الجملة بل أطالت النظر في عين شقيقتها؛ لتعرف إجابة السؤال الذي تخشى طرحه عليها.

- إذًن فقد كان؟!

أومأت أسيل برأسها لتخبرها أنه بالفعل تم اختيارها.

- أعانك الله يا أختاه، وحفظك من كل سوء.

نطقت"بتول" بتلك الكلمات القليلة لتدارى بها ذلك الخوف، الذي يعتصر فؤادها فما بقي لها بالدنيا سوى أسيل، وإن أصابها مكروه فلن تقوى على الحياة بدونها... قالت ذلك ثم تركتها وذهبت للنوم، فربما يأتى الغد بما هو خير.

أشرقت شمس النهار على القلوب، منها الكسير ومنها المفعم بالأمل والأخر الذي لم يعد يفكر في شيء سوى قوت يومه.... أيقظت أختها الصغيرة؛ لتخبرها أنها سوف تنتقل من اليوم إلى القصر بحكم وظيفتها الجديدة، وسوف تأتى لزيارتها والاطمئنان عليها وتوفير احتياجاتها كلما استطاعت ذلك...ودعت الأختان بعضهما سريعًا قبل أن تهرب تلك العبرات من مقلتيهما، ويتحول إلى وداع قاسٍ..وهو في حقيقة الأمر وداع مؤقت...

حالة من الاستنفار والتأهب بدأت في كل أرجاء المملكة مع بداية ذلك اليوم... بقي قرابة أربعين يومًا على الاحتفال بذكرى تنصيب كهرمان ملكة على عرش مملكة "نورسين" وذلك الاسم يعنى نور القمر، فقديمًا كانت تلك المملكة تتالق تحت ضياء البدر ليلًا، عكس حالها الآن وكأنما القمر أيضًا غير راضٍ عن حالها.

رغم أن هذا الاحتفال يقتصر على المملكة وشعبها؛ لأنها معزولة عن العالم إلا أن"كهرمان" كانت تحرص على أن يتم على أكمل وجه؛ لتثبت لنفسها كل عام أن حكمها أكثر سيطرةً وإحكامًا.

امتلأ القصر بالعاملين وتنظيم التجهيزات، وتولى كل فرد مهامه حتى يتممها مع اقتراب موعد الحفل، وعلى مايبدو أن هذا العام سيكون احتفالًا مختلفًا تمامًا، فهى الذكرى العاشرة لتولى"كهرمان"عرش المملكة.

الأيام الأولى لأسيل في القصر تمضى، وكل يوم تتعلم شيئًا جديدًا وكل لحظة تزيد من قوتها وعزيمتها وإصرارها على خطتها، كانت مثالًا للوصيفة المطيعة حاضرة الذهن، تحاول التقرب من الملكة قدر المستطاع، وربما كانت فرصةً جيدةً أن يواكب عملها، اقتراب الحفل وانشغل كل مَنْ بالقصر في العمل ليلًا ونهارًا؛ لإتمام كل شيء وعلى رأسهم"أيار" التي كانت تعمل بكل طاقتها وتركيزها؛ خوفًا من بطش "كهرمان".

كانت"أيار" في بداية الأمر مجرد جارية بالقصر، يوم أن جاءت إلى جزيرة"الخيزران"، ضمن مجموعة من الفتيات الأسيرات على متن باخرة

عملاقة آتية من بلاد تم اختراقها والسيطرة عليها من قبل بلاد أخرى أكثر قوةً.

في ذلك الوقت كانت مملكة "نورسين "تحت حكم الملك "تاج الدين" والد كهرمان حينها لم تكن إلا أميرة أبيها المدللة، وكانت مملكة "نورسين" مملكة السعادة بكل ماتحمله الكلمة من معنً؛ لذا فلم تشعر"أيار" بالأسر ولا بكونها جارية بِيعت للقصر الملكى من قِبل مَنْ أسروها، ولأن في حقيقة الأمر هى في ديارها لم يكن لها أهل فقد نشأت يتيمة الأبوين، وكانت تُربى في بيت عمها، لحظة دخولها" إلى القصر رأتها كهرمان ورق قلبها لحالها الضعيف ونظرة الخوف من المجهول، التي كانت تملأ عينيها فذهبت إلى والدها ترجوه أن يجعل"أيار" قريبة منها لخدمتها، وفي حقيقة الأمر فقد أرادت صداقتها ومنذ ذلك الحين و"أيار" قريبة منها كظلها، وهى أيضًا من الأشخاص القلائل الذين يعرفون كيف كانت في الماضى وما أصبحت عليه الآن.

في الشرفة العلوية لجناح الوصيفات وقفت"أيار" تنظر إلى أطراف المملكة، وإلى تلك الشجيرات الصغيرة التي لم يكتمل نموها بعد.

"هذه المملكة حقًا اشتاقت إلى ربيع يزهر ما جف بها من ورود، ويجدد الينابيع العذبة بأوصالها، ولكن من أين لنا بذاك الربيع؟! "

كانت تحدث نفسها بتلك الكلمات، وهي تدرك أن شيئًا ما ينقص تلك الحياة... ولو أن تلك الجدران قادرة على الحديث لصرخت بأعلى صوت طالبة الحياة.

أسيل كانت ترى شرودها وتراقبها عن بعد، وحديث حالها يقول"حتمًا تلك المرأة لديها الكثير من خزائن الأسرار، التي لا يعلمها أحد سواها ".....

صباح مشمس يحث على الحركة والشاط، ويبعث في النفس بعض الأمل ليوم أفضل.. تجهزت"زمردة" للذهاب إلى السوق وشراء ما يحتاجه بيتها، ولكن في ذلك اليوم كانت تراودها فكرة ملحةٌ تتمنى لو أنها تملك الجرأة لتنفيذها، وفي نفس الوقت تتردد في إخبار زوجها بها. هى تدرك تمامًا خوف"علام "على ابنته "ديم" من الخروج من المنزل، ولكن لابد من المحاولة...لابد من كسر كل تلك الحواجز... تلك الفتاة تذبل يومًا بعد يوم حتى كادت أن تجف أغصانها... سوف تأخذها معها اليوم إلى السوق وليكن مايكون...

- "ديم "... حبيبتى ...هيا بنا نذهب سويًا إلى السوق.. أعلم أنكِ تحبين القراءة واليوم تختارين بنفسك كتبك...لن أختار لكِ بعد اليوم...هيا... يكفي كل تلك السنوات التي قضيتينها بين تلك الجدران والكتب... بالفعل يكفي...

القلق يملأ عيناها وقلبها، ولكن كانت"زمردة" امرأة قوية، وربما تلك القوة والشجاعة لم تكن في محلها تلك المرة، ولا في صالح "ديم".... فتحت الباب ليتسرب نور الشمس إلى قلب "ديم" ويبدد ظلام السنوات الماضية، وخطت أولى خطواتها خارج البيت لتسبر أغوار الحياة التي حُرمت منها فيما مضى.

ترى ماذا ينتظرها في تلك المحاولة...نجاح أم فشل؟؟!

مضت أيام قليلة قرابة الأسبوع منذ أن غابت عنها أختها وانشغلت عنها في عملها الجديد، ولم يبق لبتول إلا عشقها للقراءة والكتب، التي باتت تؤنس وحدتها وتزيد من معلوماتها وخبراتها في الحياة...قررت هى أيضا الذهاب إلى السوق في ذلك النهار المشمس....

كانت خطواتها على الطريق مرتجفة كحال قلبها...مضى وقت طويل لم تظهر فيه في الطرقات وتشعر بنبض الحياة...كانت"زمردة " أكثر قلقًا منها وخاصة من رد فعل"علام " بعد أن يعلم بخروجهما ولكن لا بأس فقد حدث ما حدث وليكن مايكون...

أحيانًا يصنع الخوف داخلنا حواجزًا كثيرة، ويأتى يوم يرغب فيه المرء بكسر كل تلك الحواجز، وتحطيمها بحثًا عن الحياة...

حين وقعترعينا "ديم " على بائع الكتب وما يعرضه من أشكال وأنماط مختلفة؛ ذهبت صوبه وكأنما تناست لبعض الوقت تلك المشاعر المتداخلة التي كانت تشعر بها منذ دقائق قليلة...

كتاب واحد يروى قصص مغامرات حول العالم مدت كلتاهما يديها لتأخذه في وق تواحد... بتول وديم تتشاركان عشق المغامرات، وربما تتشاركان أيضًا في السن المتقارب، فكلتاهما تقريبًا في عمر الأخرى.

- يبدو أننا نتشارك في نوع الروايات التي نحب قراءتها... تفضليه أنا لدى روايات كثيرة تشبهه.

قالت بتول تلك الكلمات وهى مبتسمة ابتسامتها الصافية النابعة من قلب مفعم بالتسامح والامل، وانتظرت رد"ديم" ولكنها لم تجيبها، فقط ظلت تنظر إليها دون حديث، وعلى وجهها شبح ابتسامة خفيفة مترددة خلف ستائر الآنعزال عن الحياة، التي بالكاد تمت إزالتها من ساعات قليلة.

مدت "بتول" يدها لتصافحها وتعرفها بنفسها.

- اسمي "بتول ".. وأنتِ ما اسمك؟

ظلت ديم على حالها دون حركة أو حديث، وحين لاحظت"زمردة" ذلك أدركت الموقف فمدت يدها لتصافح "بتول" وتحدثها.

- أهلا بكِ... هذه ابنتي"ديم" وأنا"زمردة".. عذرًا فابنتي لم تقصد ألا تجيبك... هى لا تتحدث من سنوات عديدة، ولكنها تدرك كل شيء وأكيد لاحظتي حبها للكتب؛ لذا اليوم أصطحبتها معى لتختار ما تحب أن تقرأ فتلك سلوتها الوحيدة.
- شفاها الله وعافاها... لو تسمحين لى أن نبقى أنا وهي أصدقاء، ونتزاور ربما تجد كل منا في الأخرى أنس الصداقة.

بالفعل رحبت"زمردة بالفكرة وتعارفا بشكل واضح ووعدتها بتول بالزيارة... ثم مضى كل منهم في طريقه.

على الجانب الآخر خارج ذلك العالم المغلق... وعلى صفحات فضية تتلألأ تحت أشعة الشمس المتوهجة، كان الصوت جليًا يكاد يصل إلى عنان السماء.

- سيدي البحار"نعمان". سيدي البحار "نعمان"
- ما بك يا"رعد"؟!

أشار"رعد"من مقصورة المراقبة بيده إلى الإمام، وكأنه يوجه نظر "نعمان " في اتجاه معين واستطرد قائلًا:

- "الخيزران" يا سيدي" الخيزران" لقد اقتربنا.
- هل أنت متأكد هذه المرة؟!!
- نعم ياسيدي أكاد أرى الأرض في وسط الماء...مازالت بعيدة لكنى أراها.
- حمدًا لله... لم نعد نملك الكثير من الوقت...كم تبقى لنا لنصل إليها؟
- تقريباً ثلاثة أيام لا أكثر.

ثلاثة أيام تفصل بين" نعمان" وحربه، التي لا يملك فيها سلاح ولا خطة... لا يملك سوى العزيمة والدافع القوي، وتمسكة بالإيمان فلولاه لكانت تملكت منه الحياة، وأنزلت به شر الهزائم.

بالفعل لم تكن تترك شيئًا للصدفة... بين الحين والآخر، كانت تنزل "كهرمان" إلى السوق متخفية لا يعرفها أحد، تمشى بين الناس وتستمع إلى مايقولون وما يدور في أحاديثهم، وكأنها ترغب دائمًا في الاطمئنان على سطوتها وخوفهم الدائم منها... كانت تخفي ملامح وجهها وتظهر فقط عينيها... تلك العينان اللتان أفقدت"ديم "توازنها حين رأتهما... كادت أن تسقط لولا أن والدتها كانت تمسك يدها بقوة، وحين رأت على وجهها علامات التعب أخذتها ورجعت إلى المنزل، ولم تدرك أن ما أصاب ابنتها حدث عندما رات "كهرمان" في السوق، وحتى إن علمت فلن تصدق ذلك لا أحد من أهل المملكة بإمكانه تصديق أن مليكتهم المستبدة تمشى بينهم في السوق دون حرس وتتجسس عليهم بنفسها.

كان يكفي"ديم" مجرد تلك النظرة الخاطفة لتتبين أنها هي، فهل ينسى المظلوم ملامح وقسمات وجه من ظلمه ولا سيما العينين...تلك العينين التي لا تذكر منهما سوى نظرة الظلم، التي بادلتها عيناها بنظرة قهر وموت نفس وهى على قيد الحياة.

ضحكت"بتول" بينها وبين نفسها، وهي في طريق العودة إلى منزلها ...لقد نسيت شراء أشياء كثيرة واستبدلتها بالكتب.

- ماذا فعلت بحالى...كل تلك الكتب متى سأقرأها.

خاطبت نفسها بتلك الكلمات وهي تبتسم وتضحك على حالها وما فعلت.. يبدو أن غياب"أسيل" أشعرها بالوحدة، وطول وقت الفراغ لذلك ابتاعت كل ذلك.

- لا بأس سوف أشاركها مع "ديم"، الآن أصبح لى صديقة وأيضًا تهوى القراءة مثلى.

وعلى ذكر الصديقة الجديدة أصابها بعض الشرود والفضول، ترى ماذا حل بتلك الفتاة ليحدث لها ذلك، الأيام سوف توضح لها كل شيء.

استقبلت"زمردة"ثورة زوجها حين عادت إلى المنزل ورأي حالة ابنته، بقيت ما تبقى من اليوم نائمة، حتى أنها لم تأكل شيئًا ولم تنظر إلى الكتب التي كانت الشيء الوحيد الذي يبعث بروحها بعضًا من علامات الحياة.

- ألم نتحدث في ذلك الأمر مرارًا وتكرارًا، وأخبرتك أنها غير جاهزة لتلك الخطوة؟! لم فعلتى ذلك؟؟
- لم أعد أحتمل يا"علام" رؤيتى لسنوات شبابها تذبل بين جدران المنزل، إلى متى ستبقى كذلك؟؟؟ لابد من وجود حل، وتخيلت أنه ربما يساعدها خروجها، وبالفعل كانت بخير حتى إنها تصادقت مع فتاة في نفس عمرها تقريبًا، ولم تنفر منها أو تخشاها، وكانت بخير وفجأه لا أعلم ما حدث فأصبحت على تلك الحالة التي تراها عليها.
- اهدئى نحن نحتاج إلى الهدوء حتى نستطيع أن نتجاوز ذلك، كما تجاوزنا الأصعب سويًا وكما نفعل دائمًا، ألس كذلك؟

ابتسمت ابتسامة رضا فما باليد حيلة، لابد من الهدوء والتفكير.

كانت طرقات المملكة خالية تقريبًا من المارة؛ الكل ذهب إلى بيته بعد يوم عمل طويل، وكانت"أسيل" أيضًا ذاهبة إلى بيتها بعد أن سمحت لها "أيار"بالمبيت مع أختها ليلة على أن تعود في الصباح الباكر.

كانت الكتب مبعثرة على الفراش بجانب"بتول" التي كانت في رحلة نوم عميق، وفي يدها أحد تلك الكتب وبجانب الفراش على المنضدة كوب حليب فارغ وبقايا كسرة خبز.

تلك الفتاة حين ترى الروايات وتبدأ في القراءة تكتفي بكوب حليب، وتنسى الطعام وكل شيء حولها، وتدخل في مغامرة تلو الأخرى مع أبطال رواياتها.

لملمت"أسيل" كل تلك الأشياء المبعثرة حول أختها، ولم ترد إيقاظها حتى لا تقلق نومها... ولسبب آخر كان في قرارة نفسها...لديها ما ترغب في أن تخبئه ولا تعلم عنه"بتول" شيئًا، وربما من حسن الحظ أنها نائمة.

داخل قمرة القيادة جلس"نعمان" يراجع خرائطه، ويتأكد من أن ما أبلغه به "رعد" صحيح، اقتربت"الخيزران" واقترب معها حلم صعب المنال، ولكن لا يمكن التراجع فالأمل الوحيد في تلك الجزيرة دون بقاع الأرض كلها ولا يمكنه التراجع أبدًا، لم يتبق على سفينته بحارة سوى"رعد"، جميعهم تركوه ورحلوا إلى سفن أخرى بعد أن قل تركيزه في العمل، ولم يعد قادرًا على توفير العائد المادى، الذي اعتادوا عليه في عملهم معه...هو لا يلومهم فلهم الحق في اختيار حياتهم، وهو لم يعد له حياة سوى فيما بقى له ليعلقه بالحياة.

جلس "رعد" في أحد أطراف السفينة، يفكر فيما يقدمون عليه، ولم يكن أقل عزيمة وإصرارًا من"نعمان"، ولن يتوانى عن مساعدته أبدًا مهما تطلب الأمر، فهو مازال يحمل له فضلًا كبيرًا حين أنقذه من الموت من سنوات

ماضية، حيث كان في عرض البحر يصارع الموت ولا يتذكر شيئًا سوى أنه كان غائبًا عن الوعى، ثم حين استفاق كانت الأمواج المتلاطمة والعواصف العاتية تكاد تذيب روحه، وتبتلعها داخلها لولا أنه رأي سفينة قادمة صوبه، وما بها من بحاره يلقون له أطواق النجاة... ثم أكرموا ضيافته وحاولوا جاهدين وعلى رأسهم قائدهم"نعمان" أن يساعدوه على تذكر كل شيء إلا أنه بالفعل لا يذكر حتى اسمه، ومن يكون وكيف انتهى به الحال بين الأمواج ...

ومنذ ذلك الحين بقى على السفينة ولم يتخل عنه "نعمان" أبدًا،ا وأطلق عليه اسم"رعد" ليشد من أزره، ويشعره بقوته ويبعث في نفسه روح الشجاعة والإقدام ومواجهة القدر إيا ما كان، وعلمه كل ما يخص الإبحار والعمل بالسفن... وفي المقابل هو أيضًا أبى أن يتخلى عنه في محنته عكس باقى البحارة... وسيبقى كذلك حتى آخر عمره.

مضى يوم وباقى يومان وتصل السفينة إلى الجزيرة...فقط يومان...

بحثت"أسيل"عن مكان تخبئ فيه ما بيدها، وتضمن أن ذلك المكان لا يمكن أبدًا أن تعثر عليه أختها...ولكن أين..أين...ثم هداها تفكيرها إلى غرفة أبيها...فـ"بتول "لا تدخلها كثيرًا، ربما لأنها لا تقوى على رؤية أشيائه وتذكر كل ما يثير في نفسها الشجون...

ذهبت"أسيل"صوب صندوق عدة الصيد، وفتحته ووضعت القارورة الصغيرة ملفوفة في قطعة قماش داخل الصندوق في أقصى طرف فيه...ثم خرجت وأغلقت باب الغرفة، وجلست على مائدة الإفطار التي أعدتها لتفاجأ "بتول" بإفطارها معها... لم يكن بداخلها ذلك المقدار من الشر، الذي يتطلبه قتل نفس مهما كانت تكن لها من كراهية...أخفت قارورة السم التي تنوى قتل"كهرمان" به، ولكن لم تستطع أن تخفي نبض قلبها الخافق بمشاعر متداخلة، مابين خوف وقوة وكره وانتقام دون خفقة تردد واحدة.

بقي القليل وتسنح لها الفرصة لوضعه في طعامها والقضاء عليها.

استيقظت "ديم" بعد عدد ساعات النوم الكثيرة، التي قضتها الليلة الماضية في حين لم يغف والديها فيها لحظة قلقًا عليها.

بعد ما حدث تأكدت"زمردة " أن"علام" كان على حق، لم يحن الوقت بعد لخروجها، لابد من الصبر وانتظار الوقت المناسب لذلك، بدت وكأنها نست ما أخافها البارحة وربما ذلك أفضل.

بدأت يومها بشكل طبيعى، ابتسمت لأمها وتناولت معها الإفطار، وبدأت في القراءة التي تساعدها على تجاوز الساعات وربما العمر كله.

لم يخف على"بتول" شرود أختها وهما جالستان تتناولان الإفطار سويًا، ولكنها لم ترغب في إشعارها بذلك، هى تعلم ما بداخلها لذا فلن يجدى الحديث نفعًا، رأت فقط أن تحاول انتزاعها من تلك الحالة فبدأت الحديث.

- البارحة ذهبت إلى السوق لشراء بعض احتياجات البيت، وحين رأيت الكتب كعادتى نسيت كل شيء، واشتريت مالم أستطيع حتى حمله.. ولكن حدث شيء أسعدنى حقًا... تعرفت على فتاة اسمها"ديم" ووالدتها " الخالة زمردة"

شعرت بطيبتهم وصفاء قلوبهم ووعدتهم بتبادل الزيارات وخاصة أننى وديم نتشارك الهوس بالقراءة، لولا أنهم يعيشون في بيت بعيد على أطراف المملكة كنا تزاورنا كل يوم.

لم يفلح حديث "بتول" في جذب انتباة "أسيل" إلا عند الحديث عن الزيارة والصداقة، فهى كانت بمثابة أم لها، وتخشى عليها من أي غريب.

- حسنًا زوريهم ولكن اعرفي كل شيء عنهم، حتى تخبريني وأكون مطمئنة... والآن حان موعد عودتي إلى القصر.

ثم ودعتها وذهبت إلى ذلك الطريق المجهول مبعثرة الخطوات.

اليوم لم يكن يرغب في الخروج من بيته...تمنى لو أنه لم يذهب إلى أي مكان... يبقى فقط بجوار ابنته ليطمئن عليها كل لحظة، ولكن لابد من الذهاب إلى العمل... من يستطيع أن يستغنى عن مصدر رزقه وما يجنى منه قوت يومه... كان يروى النباتات ويقلمها ويزيل ما جف منها حين بدت له رؤيه"أسيل"على قارعة الطريق تتجه صوب بوابة القصر...وحين اقتربت استقبلها بابتسامة أبوية، فهى بمثابة ابنته الثانية وبادرته هى بأخرى وهى تلقى التحية.

- عم علام... صباح الخير... لو تدري كم تبهجنى رؤيتك في بداية صباحي ويومى لعلمت قدرك بقلبى... ابتسامتك تذكرنى بابتسامة والدي رحمه الله... ولكن تشغلنى لمحة الحزن بنظرة عينيك، ربما سببها شيء يزعجك.
- أسعد الله صباحك ابنتي"أسيل" وأنتِ ابنتي الثانية... لا تشغلي بالك فأقدارنا يبقى بها أشياء ترافقنا ما حيينا... نصيحة من والدك توخى الحظر دائمًا في خطواتك بعد عبور تلك البوابة.

قال تلك الكلمات وهو ينظر إلى بوابة القصر، وكأنه يرغب من صميم روحه أن يقول لها عودى ولا تعبرى تلك البوابة أبدًا، ولكن في النهاية من هو حتى يتحكم بحياة غيره... فقط تمنى لها الخير وأجابته بإيماءة تعنى التفهم لما

يقصد.... لم تجرؤ على سؤاله عن عدم دخوله القصر والعمل ببستانه الداخلى... مؤكد هناك سر وراء منعه من دخول القصر وذلك السر أثار فضولها ربما يومًا ما تعلم ما هو.

تمضي الساعات بطيئة في الآنتظار...ومع مرور تلك الساعات يزداد حماس"نعمان" وإصراره، ولا تهدأ عواصف العزيمة بروحه أبدًا... ذهب ليتفقد غرفة المؤن بالسفينة فهو لا يرغب أن يترك "رعد" دون طعام يكفيه حتى يعود... وجد كل شيء جيد والطعام والاحتياجات متوفرة كما ينبغى أن تكون... ورغم أنه يعلم في قرارة نفسه أن هناك أحتمال ألا يعود، ولكن من منا لا يستطيع أن يتمسك بالأمل حين يعصف به اليأس ويكاد أن ينال منه... هى ساعات قليلة ويتبين مصيره ....

انقضى النهار وبدأت خيوط الليل الأولى في الظهور...ليلة أخرى هادئة ...ذلك الهدوء القاتل الذي يكوسها ببرودة شتاء لم يحن موعده بعد... الوقت والزمان له معايير واضحة ومحسوبة بالساعات والأيام والسنوات، ولكن لا يعنى لها ذلك شيئًا...بعد جولتها الصباحية في السوق لم تجد"كهرمان" جديدًا في أحوال أهل المملكة... الحياة تسير بنفس الرتابة المعهودة؛ لذا ماعادت تدرك معنى الوقت، ولم تعد تحصى السنوات...خلف ذلك الوجة الساحر الجمال والقلب القاسى سنوات عمر مبعثرة، وحنين تائه في دروب روح باتت في برزخ مفقود، ما بين الحياة والموت...لا تشعر بشيء ولا تنتظر شيء وأيضًا لا يسعدها شيء.

ذهبت"أسيل" لتطرق باب غرفة مولاتها"كهرمان" لتقدم لها الطعام ...وقبل أن تصل إلى باب الغرفة وجدت "أيار" أمامها...

-إلى أين تذهبين؟

- لتقديم الطعام لمولاتى هذا موعده.

- الملكة "كهرمان" لن تأكل شيئًا اليوم، سوف تخلد إلى النوم ...هى أمرت بذلك... أعيدى ذلك الطعام.

- حسنًا أمر مولاتى مطاع.

ثم استدارت "أسيل" لتعود أدراجها إلى مطبخ القصر، وتعيد ما معها من طعام وألف سؤال يدور بذهنها، ترى ماذا حدث؟!... هل علم أحد عنها شيئًا... بالطبع لا فهى حريصة جدًا في كل خطواتها... حتى قارورة السم ليست بحوزتها... ربمًا هى فقط بعد هلاوس القلق الذي ينتابها من وقت لأخر....

في منزل"علام" استقبلت"زمردة" "بتول" بكل ود وترحاب، وكانت سعيدة بإنها زارتهم كما وعدتهم... جلست كلتاهما تتجاذبان أطراف الحديث، وتتناولان مما جهزته "زمردة" لضيافة ضيفتها، ثم نادت على "ديم" لترافقهما في جلستهما... وبالفعل كانت أمسية هادئة تعرفت فيها "بتول" عليهم جيدًا، وسرت حين علمت أن والد "ديم" يعمل بستانى في قصر المملكة ربمًا يأتى يوم وتحتاجه فيه... ربمًا يستطيع أن يساعد أختها إن حدث لها مكروه داخل ذلك القصر، ولكن كانت حريصة أيضًا على ألا تخبرهم أن أختها تعمل هناك... ربما مازال الوقت مبكرًا على ذلك.

لم يمنعها فضولها من معرفة ما بتلك الليلة من غرابة، وما حال الملكة الذي تخفيه"أيار"عنها لدرجة أنها منعتها من دخول القاعة، بحجة أن "كهرمان" نائمة.... وبالفعل انتظرت حتى هدأت الأجواء وسكن كل من بالقصر إلى غرفته ونومه؛ وذهبت بخطًي هادئة إلى غرفة الملكة، ودخلت دون أن تصدر صوتًا... هى فقط كانت ترغب في رؤية ما أُخفي عنها..... لم تجد شيئًا غريبًا الملكة بالفعل نائمة... دفعها فضولها لأن تقترب منها قليلًا... نظرت

إليها وإذا بها تغط في نوم عميق... أيقنت أنه ربما ساورها القلق والفضول عبثًا... همت بالرجوع إلا أنها رأت شيئًا رغبت في أن تتأكد منه.

يا الله... إنها عبرات تزرفها عينيها وهى نائمة.... تلك المرأة بكل قسوتها تستطيع أن تذرف الدمع كباقى البشر.... هنا لمعت الفكرة بمخيلتها... ربما لن تحتاج إلى ذلك السم لتقتلها... يكفي فقط أن تعرف السر الكامن بقلبها وروحها وإذاعته لأهل المملكة، وربما ذلك يكون كفيل بالقضاء علىها... فأحيانًا نقطة الضعف في الروح تقتلها.

أتراها تفلح في قتل"كهرمان" بنقطة ضعفها؟!!!

حين يقترب الهدف تمضى الدقائق متسارعة؛ لتبلغ النفس مرادها.أشرقت شمس اليوم الذي بات يفصل"نعمان"عن جزيرة "الخيزران"...أعاد ترتيب خطواته في ذهنه، وراجع مع"رعد"المكان الذي سوف ترسو فيه السفينة، تحديدًا خلف الباب التاسع من أبواب المملكة...كما أخبره الحكيم، الذي وصف له تلك الرحلة من البداية، والذي أيضًا حدد له كيف يجد مايبحث عنه.

أبواب المملكة العشرة كانت تحمل أسماء...حيث كان الملك "تاج الدين" يأمر بفتحهم دائمًا واستقبال الزوار، وكل منهم يدخل من الباب الذي يحلو له...وكانت مملكة "نورسين" في ذلك الوقت تشتهر باسم المملكة ذات العشرة أبواب... ويطلق عليها تلك الأسماء بالترتيب:

(باب الصداقة / باب الود / باب السعادة / باب النصر /باب الحظ/ باب الصبر/ باب الحب/ باب الأمل / باب العزيمة / باب الحياة) وكانت الأسطورة تزعم بأن من يدخل من باب يتحقق له ما يحمله اسم ذلك الباب... ولذلك طلب منه الحكيم أن يدخل من الباب التاسع"العزيمة" حتى يتحقق له ما يسعى إليه

بقوة تلك العزيمة بداخل روحه، ووصف له خريطة توضح مكان كل تلك الأبواب.

الآن بات يعرف وجهته وخطواته، يبقى فقط نجاح التنفيذ في سكون الليل القادم.

استيقظت "كهرمان "وكانت "أسيل"منتظرة أوامرها للصباح...نفذتها جميعها، ثم أمرتها "كهرمان" بالآنصراف، ولكن انصرافها لا يعنى أن تغفل عيناها عنها... ظلت "أسيل" تراقب خطواتها، حتى وجدتها تذهب خلف القصر... تتجه خطواتها نحو مربع محدد من بستانها، به زهور متفتحة زاهية الألوان، تبدو وكأنها كلها من نوع واحد، وألوان مختلفة ...خطت بقدميها تجاه ذلك المربع، ثم جلست على مقعد بسيط، وكأنها اعتادت الجلوس عليه، أو أنه وُضع خصيصًا لها في ذلك المكان... جلست ساعة وراء ساعة وكأنها لا تشعر بالوقت... فقط تنظر إلى تلك الزهور وفي الأفق طيف يكاد يبدو وكأنه طيف حنين لشيء ما، أو ربما لشخص ما.

انقضى الصباح والظهيرة، وأوشك الليل على البداية و"كهرمان" على حالها جالسة في سكون مريب ومثير للدهشة... عادت "أسيل" إلى مطبخ القصر، وهي شاردة تفكرفيما رأته الليلة أمام عينيها، الذي لم تكن تصدقه لو لم تراه بنفسها... حتما تلك المرأة لديها نقطة ضعف قاتلة... لاحظت الجارية "غزل" التي كانت بدأت صداقتها مع"أسيل" منذ بداية عملها بالقصر شرود "أسيل"؛ فسألتها عن سبب شرودها فروت لها أن حال الملكة غريب قليلًا، وحدثتها كذبًا أنها يقلقها هذا الحال باعتبار أنها وصيفة مقربة لها وتحبها.

- أنا أعمل بذلك القصر منذ سنوات، وأحيانًا أرى أشياء ليس لها تفسير، ولا أبحث عن تفسير لها لأنى لن أجده... أسرار متشابكة لا يعلم مداها إلا الله؛ لذا لا تشغلى تفكيرك يا رفيقتى، فنحن هنا للعمل

فقط، ومن يتجاوز حده يتم طرده من القصر مثل عم"علام "البستاني.

على ذكر طرد عم"علام" تذكرت"أسيل" أن ذلك إحدى علامات الاستفهام التي تشغل تفكيرها وتبحث عن إجابة لها فسألتها:

- هل تعلمين سبب طرده يا "غزل"؟
- نعم سمعت عن تلك القصة، حيث كنت حديثة العمل هنا...حينها كل ما سمعته أن الملكة غضبت عليه لأنه تجاوز حده في الحديث معها، ولولا أن والدها الملك"تاج الدين" كان يكن له قدرًا خاصًا ربما كانت قد أنزلت به عقابًا أشد، ولكنها اكتفت فقط بتحديد عمله خارج القصر.
- أنت محقة.. حمدًا لله على أنها لم تأمر بقتله، لم تكن لترفق بحاله ولو حتى من أجل ابنته.

نظرت إليها"غزل" باندهاش، وهي توضح لها حقيقة غائبة عنها، أو ربما يكون قد اختلط عليها الأمر:

- أي ابنة يا "أسيل" عم "علام" ليس لديه أبناء ولا بنات!!

أذهلتها تلك الحقيقة التي لم تكن تفهمها ولا تعرفها، وتركت مقابلة علام مئات علامات الاستفهام الأخرى.

على باب إحدى غرف السفينة وقف"نعمان" ينظر بداخلها وكأنه يودع شيئًا ما، وبالكاد استطاع أن يسيطر على تلك العبرة، التي كادت أن تخجله وتخون ثقته وتزرفها عيناه، التي رأت من آلام الحياة ما يكفيها لتبقى صلبة أبية أمام

الدمع... أغلق باب الغرفة واستدار ليكمل خطواته باتجاه سطح السفينة فوجد "رعد" بانتظاره هناك... ربت على كتفه ليطمئنه ويذكره بما أتفقا عليه.

- لا تقلق سيدي "نعمان" سوف أنفذ ما طلبت بكل دقة.
- لا تنسى يا"رعد" إن لم يقدر الله لى العودة خلال الأيام التي اتفقنا عليها عليك أن تعود، وكن محافظًا على الأمانة فهى أغلى ما عندى وأنت تدرك ذلك تمامًا.
- نعم أعلم ذلك.. لا تقلق فليكن النصر حليفًا لك وتعود إن شاء الله.
- أقترب الليل لابد وأن نرسو بالسفينة حتى أستطيع أن أدخل في وقت متأخر من الليل، وفي سكون المملكة.

بدأ"رعد"بالفعل في في تنفيذ الخطوات؛ لترسو السفينة خلف باب العزيمة قبل بزوغ الفجر في سماء المملكة.

لم تستطع أن تتجاوز صدمتها، ولكنها أرادت أن تخفيها عن"غزل" فقالت:

- نعم صحيح ليس لدى عم"علام"أبناء يبدو أنى قد اختلط علىَّ الأمر....

نطقت"أسيل" تلك الكلمات المعدودة وهى تهم بالرحيل؛ لتعود إلى غرفتها وتحاول أن تخلد إلى النوم، ولكن أي نوم يأتيها وكل ذلك الفضول يساورها.... يوم بعد يوم تزيد الأسرار أمامها... لم تكن المهمة بذلك اليسر الذي تخيلته... أن تقترب من"كهرمان"وتقتلها بالسم... وتحقق انتقامها وثأرها، ثم تعود للحياة مع أختها دون أن يعلم أحد شيئًا.... كانت تبدو خطة مرتبة وسهلة، ولكنها لم تكن تضع في حسبانها ما قد يلاقيها من ألغاز داخل ذلك القصر....

عادت"بتول"إلى المنزل قبل أن يتأخر الوقت أكثر، فالحديث مع الخالة "زمردة" كان جميلًا والجلوس معها ومع ديم كان يذكرها نوعًا ما بشكل حياتها مع والدتها وأختها...

أحيانًا يعوضنا الله عنما نفقده بشكل آخر تطيب به قلوبنا وكفي بالله عليمًا بذات الصدور.... ورغم أن حال"ديم" كان يؤلم قلبها إلا أنها قررت أن تتخذها أختًا ثانية لها لعل كل منهما تجد في الأخرى سلوى عنما تفتقده في الحياة...

اقتربت اللحظة الحاسمة ترك"نعمان" سفينته بعد أشهر عديدة لم يبارحها فيها قط... كان يحمل حقيبة صغيرة على كتفة بها ما يلزمه.... أول خطواته على الجزيرة لم تكن يشوبها أي تردد، ولكن كلما اقترب أكثر من باب"العزيمة" تمنى بالفعل أن يمنحه ما سمى على اسمه... بعضًا من العزيمة مازالت تلزمه لاختراق حواجز لم يتخطاها أحد قبله... وصل أمام الباب.. أخذ نفسًا عميقًا ليهدئ من عواصف نفسه الداخلية... ثم شرع في العمل.

أخرج حبلًا وخطافًا حديديًا وفي خفة ألقاه في الهواء مصوبًا إياه نحو أعلى طرف في الباب، وبالفعل ثبته وبدأ تسلق الحبل والنزول من الجانب الأخر بحبل مزدوج، كان مجهزًا في طرف الخطاف الحديدي ...الآن هو داخل المملكة.

_ "نورسين"..أنا بالفعل داخل المملكة؟!!

كاد أن يصرخ فرحًا، وهو يحدث نفسه بتلك الكلمات السابقة، ولكن سرعان ما تدارك الأمر، وتحدث هامسًا لنفسه ليذكرها:

_ لم يحن موعد الاحتفال بعد، مازال أمامى عمل كثير.

ثم أخرج من حقيبته خريطة توضح مكان القصر...دقق فيها جيدًا وحسب خطواته ثم أعاد الخريطة بداخل الحقيبة، وهم بالبدء في التحرك لولا أنه سمع صوت أقدام تقترب نحوه بأقصى سرعة.

بدت لها الليلة طويلة من كثرة ما أصابها من تفكير، ومع كل ذلك الإرهاق لم تستطع النوم إلا دقائق قليلة قرب بزوغ الفجر...ثم استيقظت على صوت ضجة عارمة وأصوات عالية ..فخرجت من غرفتها مسرعة لتعرف سبب كل ذلك؛ فوجدت حالة من الفوضى في كل مكان والجميع يتحرك بسرعة.. وجدت أمامها "أيار" وتبدو عليها علامات الذعر؛ لذا يبدو أن ما حدث أمر جلل.

- سيدتى"أيار"ماذا حدث؟ ...ماكل تلك الفوضى؟
- الحراس قبضوا على شخص اخترق أسوار المملكة ودخلها...

يبدو أن تلك الليلة أبت أن تنقضى دون أن تمنح "أسيل" صدمة جديدة.

بعد حالة عاصفة من التوتر وسرعة التحركات في كل الاتجاهات من أفراد الحرس، وكل العاملين بالقصر؛ هدأت الأجواء قليلًا، والكل اتخذ موقعة في الحراسة، وعم سكون طفيف بعد أن أمرت"كهرمان"بإلقاء الدخيل بإحدى غرف القبو بالقصر لحين النظر في أمره...

أدركت "أسيل" أن تلك الليلة خالية من النوم والراحة، وعامرة بالفكر والفضول... لم يكن قد مضى عليها وقت كبير في العمل بالقصر، ولكنها سريعة البديهة والملاحظة والتركيز، وتلك الصفات ساعدتها كثيرًا في حفظ مداخل ومخارج القصر... استطاعت بخطوات هادئة أن تتسلل إلى داخل قبو القصر؛ لتبحث في داخلها عن ذلك الدخيل... لا شك أن روحها كانت تنتفض

ببعض من همسات الخوف منه، ولكن يغلبها الفضول أكثر والشوق لمعرفة من ذا الذي يملك كل تلك الشجاعة، التي تمكنه من اختراق جزيرة"الخيزران" والدخول داخل حدود المملكة...

تظاهرت"كهرمان" أمام الجميع بالقوة حين علمت بأمر الاختراق، وأنه الآن في تلك الليلة يبيت على أرض"نورسين" رجلًا غريبًا لا تعلم عنه شيئًا، ولا عن سبب ذلك الجنون الذي دفعه لفعل ذلك...تساءلت كثيرًا عن أي نية تراه يحملها بنفسه، وأتى إلى تنفيذها في غسق الليل...كانت لمحات القلق والخوف بدأت تخونها وتظهر ممتزجة بملامحها حينها أمرت الجميع بالعودة إلى أماكنهم وانقضاء الليل في سكون، وفي الصباح تخبرهم ماذا قررت بشأنه...ذلك القرار الذي لم تتوصل إليه حتى الآن ... هل يجدر بها قتله أم أنه يتوجب عليها الآنتظار حتى تعلم سبب قدومه وتعلم من هو.... ربما في الصباح يدركها القرار السليم.....

خطوة بعد أخرى وغرفة تلو الأخرى، وعيناها تبحث في كل اتجاه عنه....ذلك الشغف الذي كان يملأ روح"أسيل"قد فاق كل حد...تتسارع بداخل عقلها الاستنتاجات والتخيلات، وكأنها تتوقع رؤية كائن غير بشري من فرط الآنعزال، الذي فُرض عليها وعلى غيرها من أهل "نورسين" توقعت أن شكل البشر خارجها مختلف.

كل تلك الأفكار توقفت فجأة وربما توقف معها الزمان، حين وقعت عيناها على ذلك الشاب المُلقى على الأرض في إحدى الغرف المغلقة قضبانها بالأقفال الغليظة....بدا لها فاقد الوعى ربما من شدة الصراع بينه وبين حرس المملكة يكون قد تلقى ضربة عنيفة أفقدته وعيه...لم تكن ملامحه واضحة لها فتشجعت واقتربت من القضبان الحديدة لباب الغرفة مطمئنة بكل تلك الأقفال الموجوده به، ثم رفعت يدها قليلًا التي كانت تحمل بها مصباح صغير ينير

لها الدروب والخطوات.... ملامحه تبدو طيبة وهيئته لا توحى بأنه لص...ثم سرعان ما تداركت ما يرتديه من ثياب.

إنها ثياب بحار تشبه إلى حد قريب ما كان يرتديه والدها في أسفاره ورحلات الصيد، التي كان يذهب بها أيامًا طويلة؛ ليعود بعدها إلى بيته يحمل من الخيرات والسعادة ما يفوق قدرة القلب والروح على حمله....كل ذلك الذي بدا لها من إشارات بعثت بقلبها نسائم الاطمئنان وخيطًا رفيعًا من الأمل، لم تكن تعرف مصدره بعد....

بدأ"نعمان"يستفيق رويدًا رويدًا...يفتح عينيه ببطء ليتبين أين هو...كانت "أسيل"مازالت واقفة في مكانها بعد أن عاد الزمان إلى دقاته المعتادة، وسريانه الغامض بركاب الأيام والأحلام...وقع بصره عليها فجاهد نفسه على الوقفوف وبالفعل استطاع مع ما يشعر به من ألم مبرح برأسه إثر ضربة قوية من أحد الحرس، الذين كان يحاول الفرار منهم.... وقف وذهب إليها باتجاه باب الغرفة المغلق، وحين اقترب تراجعت هى بشكل لا إرادى خطوتين للخلف... ربما يكون خوفًا أو ترقبًا لما سوف يقوله ذلك الغريب...

- لا تخافي يا فتاة أنا لست لصًا...
- إذن من أنت؟!!
- اسمى"نعمان" أعمل بحارًا، من نعومة أظافرى وأنا بالبحر لا أعرف سواه، ولم ولن أكون لصًا أو تمتد يدى لشيء لا أملكه، وما جئت إلى هنا بنيه الشر... أنا فقط يلزمنى شيئًا هامًا جدًا لا يوجد في أي مكان سوى هنا بتلك المملكة... ورغم أنى أعلم أن ذلك مُحال لكن صدقينى لا أملك سبيلًا أخرًا...

بدت لها كلماته في غاية النبل والوضوح، ولكن لا يعنى ذلك إلا أن تكون حذرة منه... تدارك هو بدوره صمتها وتفكيرها فيما يقول فبادرها بسؤال يكسر حاجز السكون بينهم، وربما يجعلها تتحدث إليه:

- ما أسمك؟!
- أوضح لى ما هو الشيء الذي تحتاجه من مملكتنا أولًا قبل أن أجيبك عن أي سؤال....

- سوف أشرح لكِ كل شيء... معى هنا في حقيبتي.... ما هذا؟!! أين حقيبتى؟!! ياويلى أين الحقيبة إن بها كل شيء.... ساعديني أرجوكِ ساعديني...

- حسنًا اهدأ قليلًا حتى لا يسمع الحرس صوتك... سوف أخرج أبحث عنها ربما أجدها في ذلك المكان، الذي تم القبض عليك فيه.. فقط ادعو الله ألا يكون الحرس قد عثروا عليها...

لم تكن تعلم تحديدًا ماهو الشيء الذي دفعها إلى تصديقه، بل ومساعدته أيضًا، ولكنها قد فعلت ووعدته بذلك، وما اعتادت أبدًا أن تخلف وعدًا

- ابق هادئًا هنا وأنا سأخرج الآن قبل أن يسطع نور الشمس، وتصبح حركتى أصعب... لا تقلق سوف أعود لك مرة أخرى بمجرد أن أستطيع ذلك....
- شكرًا لكِ يا....

التفتت إليه"أسيل"بعد أن كانت اتخذت بالفعل خطواتها نحو الذهاب وتركه إلى أن يحين موعد القاء...

- "أسيل".... اسمى"أسيل"....

لم يعد يكترث كثيرًا لأي شيء يحدث على أرض"نورسين" بل أن حالها كله لم يعد يعنيه، كل مايعنيه حقًا زوجته وابنته ولا شيء أخر يستطيع أن يجذب انتباهه.... هذا الصباح طوال طريق ذهابه إلى عمله لم يستمع "علام"إلى حديث أهل المملكة عن ذلك الدخيل، الذي اخترق حواجزها فجر اليوم، وما بين تضارب في الأقوال والاستنتاجات انشغل العامة بالبحث عمن يكون؟ وماذا حدث... في قرارة نفسه كان"علام" يرأف بحالهم فهو يعلم أن شدة الآنعزال الذي فُرض عليهم أعوامًا متتالية قد صنع حاجزًا بينهم وبين الحياة، وكأن الكون كله تلك المملكة فقط... مضى في طريقه يرد السلام فقط دون المشاركة في موجة التكهنات والاستنتاجات التي كادت تبتلع عقول البشر من حوله...

حين أغلقت باب غرفتها شعرت وكأنها قد استنفذت كل مخزون الشجاعة والقوة، التي كانت تختزلهم بروحها لمثل تلك المواقف، التي لم تكن في الحسبان... ليلة صعبة ونهار قضته تبحث عن حقيبة "نعمان" في المكان الذي وصفه لها، حيث قبض عليه الجنود قبيل الفجر... بحثت بكل طاقتها وتركيزها، حتى وجدتها بالفعل ملقاة على الأرض، ويبدو أن أحدًا لم ينتبه لها؛ فأسرعت بأخذها وإخفائها بملابسها، والعودة سريعًا إلى القصر قبل أن يشعر أحد بعدم وجودها وخاصة"أيار".... جلست هادئة بعض االوقت تحاول استعادة توازن نفسها التائهة بين متاهات الزمان والمكان.

نظرت إلى الحقيبة وهى تندهش من حالها...لماذا فرحت هكذا عندما عثرت عليها، ولماذا منذ البداية وعدته بالمساعدة وهى لا تعلم عنه شيئًا... ربما يكون لصًا وسوف يروى لها أكاذيب، وربما إن صدقتها تعرضت لأذ بسببه

هى في غنى عن ذاك الأذى... فكرت للحظات أن تفتح الحقيبة وتعلم ما بداخلها، ولكنها تذكرت ما علمها إياه أبيها... حفظ الأمانة... نعم هذه الحقيبة الآن أمانة لديها حتى تسلمها لصاحبها وحينها هو له مطلق الحرية في أن يطلعها على ما بها... وإن كان لصًا بالفعل هذا لا يلغى حقيقة أنها تخصه وأمانة لابد أن ترد إليه... اليوم قد بدأ ولابد أن تبدل ثيابها وتتجهز ليوم عمل عادى، ولكن أولاً سوف تخفي الحقيبة جيدًا حتى لا يراها أحد وينكشف كل شيء....

- ما بالك يا"أسيل"أصبحتى تعتادين الإخفاء كثيرًا هذه الأيام....

حدث نفسها بتلك الكلمات الممزوجة بابتسامة أنارت وجهها الرقيق، والتي كانت قد اشتاقت إليها قسماته منذ زمن ليس ببعيد...

مازال رأسه يؤلمه ولكنه اعتاد التحمل، كل شيء م يؤلمه، الآن حقًا والقلق... هل بالفعل تلك الفتاة سوف تساعده، وإن حدث وفعلت ذلك هل تثق به..... بل السؤال الأحق الآن هل ستعود له مرة أخرى، أم أنها سوف تخشى الأذى الذي ربما يأتيها بسبب معاونتها له...كل ذلك وأكثر كان يدور بمخيلة "نعمان" وليس أمامه سوى الآنتظار...

أما عن الجناح الملكى للقصر فقد كان يحمل في الأفق أفكارًا حائرة وقرارات لم يبت فيها بعد...لم تكن"كهرمان" قد حسمت قرارها بشأن "نعمان"...بداخلها فضول يدفعها لعدم قتله حتى تتبين سبب وجوده على أرض"الخيزران" وأيضًا أن أبقت عليه فهى بحاجة إلى مبرر أمام أهل المملكة لتوضح لهم سبب إبقائها عليه...كانت تفكر وتبحث عن مخرج لتلك الحيرة وأمامها تقف "أيار" دون أن تشاركها برأي أو فكرة...فقط تفكر في صمت حتى اخترق ذلك الصمت طرقات باب الجناح، كانت "أسيل" تطلب الأذن للدخول.... وبالفعل دلفت إلى الداخل بعد أن أذنت لها الملكة بذلك... وماهى إلا لحظات

قليلة حتى لمحت "أسيل" تلك الحيرة التي تملأ قسمات وجه "كهرمان" ولكن ليس من قدرها أن تسأل فانتظرت حتى تحدثت "كهرمان" قائلة:

- "أيار"
- أمر مولاتى الملكة.
- أعلنوا أنى سوف أتحدث إلى أهل المملكة غدًا؛ لأعلمهم بقرارى بشأن الدخيل

هنا سرت رجفة خوف بقلب"أسيل" غير مفهوم سببها، ولكن ربما خشيت من أن يصيب "نعمان" مكروهًا بقرار"كهرمان" الذي لم يعرفه أحد، وكان ذلك الخوف مصدر شجاعة لقلبها ولسانها، الذي نطق دون سابق ترتيب فقالت:

- مولاتى "كهرمان"هل تأذنين لى بالحديث؟
- قولى ماعندك.
- أمس سمعت من أحد الحرس أثناء حالة الفوضى التي حدثت عند اختراق المملكة، أن ذلك الدخيل يبدو عليه من هيئته أنه بحار، ربما ذلك صواب أو خطأ ولكن إن كان ذلك صحيح فنستطيع أن نستغل وجوده بالمملكة استغلالًا مفيدًا...

يبدو أن الحديث قد راق لكهرمان؛ فأشارت إلى"أسيل"لتكمل فكرتها وتوضح لها كيف تكون تلك الاستفادة.

ما كان عليه أن يكتفي بالسكن في أقصى أطراف المملكة... ربما كان ينبغى عليه أن يترك الجزيرة كلها، ويأخذ معه زوجته وابنته ويهرب خارج حدود ذلك السجن الكبير... كان يفكر"علام" في ذلك وهو جالس بالبستان الخارجى

للقصر، بعد أن أنهى نصف عمله تقريبًا...ربما لم يفت الأوان بعد...بإمكانه الهرب في أي وقت ويبدو أن ذلك الميعاد قد حان ويكفي ما مضى...

جلس"رعد"داخل إحدى غرف السفينة، بعد أن أطمأن على أمانة "نعمان"أنها بخير وكما ينبغى أن تكون...راودته أفكار كثيرة وقلق أكثر على حال قائده، وتمنى لو أنه يستطيع أن يطمئن عليه، ولكنه تذكر كل تعليماته وتحذيراته وتذكر أيضًا وعده له بتنفيذها؛ لذا فهو لا يملك سوى الآنتظار...

انقضى اليوم وبانت الخيوط الأولى من الليل، كان انتظار"أسيل" قد أوشك على النفاذ...تنتظر الفرصة السانحة لتذهب لنعمان؛ وتعطيه حقيبته ويكملا حديثهما، وأيضًا لتُعلمه بفكرتها التي طرحتها على "كهرمان" وبالكاد تقبلتها، ويبقى أن تعلن عنها في صباح اليوم التالى ....مع سكون الحركة في القصر اتخذت خطواتها الهادئة سبيلًا للوصول إلى القبو، ولقاء "نعمان" الذي تبدلت ملامح اليأس التي كادت أن تتملك من قسمات وجهه إلى ملامح سعادة، حين رأي"أسيل" تقترب من الغرفة المحبوس بها وفي يدها حقيبته...

- شكرًا لكِ... أين وجدتينها؟
- كانت ملقاة على الأرض، في المكان الذي قُبض عليك فيه...تفضل

أخذها "نعمان" من بين فراغات قضبان الباب الحديدى للغرفة...وفتحها سريعًا ليخرج منها أوراقه وخرائطه وكل شيء يخص مهمته التي جاءت به إلى"الخيزران" ثم بدأ الحديث:

_ لم أتِ إلى هنا بغرض السرقة، أو بنية شر لأحد كل ما في الأمر أنى أبحث عن تلك الزهرة التي علمت أنها موجوده هنا فقط...

ثم مد يده بقصاقة ورق مرسوم عليها زهرة تشبه تلك التي كانت في بستان القصر، التي كانت تجلس أمامها"كهرمان"...تذكرتها "أسيل" فور أن رأتها

في الورقة، ولكنها انتظرت أن يكمل حديثه أولًا، ثم تخبره عما تعرف.... وبالفعل استطرد قائلًا:

- كما سبق وأخبرتكِ أنا بحار، ولا أعرف من الحياة سوى مهنتى تلك، التي هى حياتى كلها... لا أذكر أني قضيت على اليابسة ربع مقدار ما قضيته بالبحار... الصيد والإبحار ومعانقة نسائم الطبيعة كل صباح وسبر أغوار المغامرة كل مساء هى حياتى... قضيت ما مضى من عمري كذلك، وما سيتبقى لا أتمنى أن أقضيه إلا على نفس المنوال... لذا أأكد لكِ أنى ما أتيت إلى هنا إلا من أجل تلك الزهرة...
- وما حاجتك الشديدة لها؟! والتي جعلتك تجازف كل تلك المجازفة وتأتى إلى "نورسين" وأنت بالطبع تعرف قوانينها، طالما بحثت وعلمت أن الزهرة هنا!!!
- لا أملك من الحياة سوى أخي الذي ما أن أدركت الحياة وجدته أمام عيناي، أب وأخ وعائلة كاملة...استطاع أن يعوضنى عن فقدان أبى فكان بمثابة الأب والأخ والصديق بل أنى لا أجد لحياتى معنً بدونه.... هو الآن في حالة سبات عميق، وحين بحثت في كل مكان عن علاج له أخبرنى أحد الحكماء أن ذلك المرض لا يأتى مرة واحدة دون سابق إنذار، بل إن له دلائل تطوره مع الوقت حتى يصل بالآنسان إلى حالة السبات تلك...اختبرت أشياء كثيرة لتشفيه دون جدوى حتى أخبرنى حكيم آخر عن تلك الزهرة وقدرتها على إيقاظ أخى وشفائه من مرضه، ورغم أن ذلك غير مؤكد إلا أني تمسكت بخيوط الأمل، فما عدت أملك سواها.... وحين علمت أنها موجودة هنا على أرض"الخيزران" لم أتردد في المجازفة، ربما يحالفنى الحظ وأستطيع أن أطيب بها مرض أخى... تلك الزهرة

تدعى(ليماس) أي زهرة البحر...وإن أستطعت أن أجدها مع كل الخطوات التي لابد أن أطبقها لصناعة الدواء اللازم ....

مع كل حرف ينطقه"نعمان" بكل ما فيه من صدق ومعانى نبيله لقوة العلاقة والحب بينه وبين أخيه يزداد إعجاب"أسيل" به أكثر، وترغب في معرفته أكثر وأكثر.

يبدأ كل شيء بلمعة في العين مصاحبة لنظرة شاردة تبحث من مستقبل قلب يبدو أنه تعلق بأخر بين ليلة وضحاها... هو ذلك جنون العشق الذي كانت تحدثها عنه "بتول" كلما أنهت قراءة رواية من رواياتها، ولم تكن حينها تصدقها، ولكن يبدو أن الحديث صحيح، وقلبها ينبئها بشيء في الأفق سوف يكون....

صوت خطوات قادمة... ربما حرس... أخرجها ذلك الصوت من شرودها، وهمت بالحديث لنعمان عن فكرتها التي وافقت عليها الملكة لولا أن الصوت أقترب بأكثر، وكان لابد لها من الاختباء... في الثوان المعدودة المتبقية قالت له:

- لا تقلق أنا أعلم أين نجد (ليماس)... فقط الآن استمع إلى جيدًا.... ما عليك سوى ألا تعترض على ما تحكم به الملكة عليك... أنا أعددت كل شيء وسوف أتى مرة أخرى وأخبرك عن التفاصيل، ولكن احرص على إظهار الطاعة مهما تطلب الأمر.

امتلأت ساحة القصر الرئيسية بالكثير من أهل المملكة، بعد أن تجمعوا حسب الموعد الذي أعلنت عنه "كهرمان" لتلقى عليهم كلمة توضح كل شيء

بخصوص الدخيل... مضى وقت كبير لم تشهد تلك الساحة تجمعات للعامة من أهل المملكة، ربما منذ نهاية عهد الملك "تاج الدين"... كم شهدت هذه الساحة احتفالات ومناسبات مبهجة حين كانت المملكة مفعمة بالحياة، ونابضة بربيع مزهر وقلوب لا تعرف خوف ولا حزن ... أما الآن فهى خاوية طوال الوقت تشبه فقط أرض مضى عليها خريف شديد وترك خلفه بقايا أوراق جافة وحطام ذكريات....

ربما لم يكن يستجيب أهل المملكة لذلك التجمع، لولا أنهم باتوا شغوفين لمعرفة حقيقة أمر ذلك الدخيل، وأيضًا معرفة قرار ملكتهم وحكمها عليه.....

بعد أن كانت هناك همسات وتكهنات واستنتاجات تطوف يمنة ويسرة ساد سكون جلي حين ظهرت"كهرمان" في منصتها العالية، وبجانبها حرسها وكبيرة وصيفاتها"أيار".... وعلى جانب أخر من أطراف الساحة ظهر"نعمان" مقيد اليدين، ويحيط به أفراد من حرس القصر من كل اتجاه....

ذلك المشهد كان يثير في نفس"أسيل"- التي كانت تقف وسط عامة أهل المملكة تنتظر مثلهم ما سوف يكون – بعضًا من الخوف والقلق خشية أن تغير"كهرمان" قرارها وتؤذى" نعمان"... ما هى إلا دقائق معدودة ويتضح كل شيء....

امتقع وجه"زمردة" وسرت في جسدها برودة ربما نابعة من فرط اندهاشها مما أخبرها به زوجها...كانت تستمع إليه وبالكاد تستطيع أن تستوعب ما يقول...

- نهرب؟!!!.... تقول نهرب يا "علام"؟!!!! إلى أين نذهب ولماذا؟

- أهدئى حتى أستطيع أن أشرح لكِ مقصدى... قرارى ذلك ليس وليد اللحظة ولكن كنت أفكر فيه كثيرًا، وأتردد أكثر وحين حدث اختراق الملكة وأصبح بها دخيل... أوحى لى ذلك بإتمام ما كنت أفكر فيه.... ليس لنا هنا شيء يازوجتى الغالية فلماذا نبقى؟... نأخذ ابنتنا ونذهب إلى أرض جديدة، وحياة جديدة نمحو فيها كل ذكرى وألم قد مضى.....
- حسنًا ولكن كيف؟
- لا تقلقى أنا فكرت في كل شيء... فقط ماعليك سوى أن تجهزى أشيائنا الهامة ونرحل الليلة في السكون قبل الفجر...

كان يبحث بعينيه يمينًا ويسارًا عن ذلك الوجه، الذي لم يألف سواه هنا على تلك الأرض الغريبة، وبين كل هذه الوجوه التي يراها لأول مرة.... كانت شجاعة"نعمان" على حالها، ولكن ربما لأنه اعتاد وجود من يشاركه ما هو فيه فكان يبحث عن"أسيل" بين الناس حتى وقع نظره عليها فاطمأن قلبه وانتظر ما سوف تقوله الملكة.....

بدأت"كهرمان" حديثها بشكل إلى حد ما ودي، لكنه لا يخلو من العلو والتباهى بملكها:

- أتحدث إليكم لأخبركم أن حدود "نورسين" قد تم اختراقها من قبل ذلك الدخيل، الذي تم القبض عليه فور فعلته تلك.... كنت قد قررت أن أطبق عليه الحكم المعروف لكل من تسول له نفسه اختراق حدود المملكة... وهو الموت... ولكنى فكرت قليلًا بأهل مملكتى ورغبت في أن أقدم لكم هدية صغيرة... تم الحكم على هذا الدخيل بأن يكون في تلك الساحة الرئيسة للقصر كل ليلة ليروى لمن يرغب منكم في

الاستماع عن بلاد خارج مملكتنا وجزر وبحار وأُناس وشعوب وثقافات وحكايات مختلفة عن حياتنا ودنيتنا داخل"نورسين " وبذلك تكونوا قد سافرتم وذهبتم إلى أماكن كثيرة وأنتم بمكانكم..... سوف تدوم تلك الأمسيات لمدة ثلاثين ليلة على أن يرحل الدخيل دون أن نصيبه بأذى في فجر الليلة الثلاثين ولا يعود مرة أخرى وإلا نفذنا فيه عقوبة الموت.

تعالت صيحات أهل المملكة بالمدح والثناء لمليكتهم، التي ربما تغيرت كثيرًا وبدأت تفكر في حالهم....في ظاهر الأمر كان كذلك أما عن باطنه فهى أرادت أن تشعرهم بذلك وتلهيهم قدر المستطاع عن حياتهم البائسة، وربما حتى لا يفكر أي منهم في ترك المملكة والمغامرة بحياته، هدأت نفس"أسيل"بعد أن نفذت"كهرمان" فكرتها، التي سوف تمنح"نعمان" مزيدًا من الوقت، و يبقى أمنًا على حياته على أرض"الخيزران".

تفقد"علام"حال القارب الصغير، الذي كان يخبئه خلف المنزل، وكان حريصًا تمامًا على ألا يراه أحد... ربما كان يعلم أنه سوف يحتاجه يومًا ما، وها هو ذاك اليوم قد أتى.... الليلة وقرب بزوغ الفجر سوف يرحل مع أسرته ولن يعود إلى"نورسين" مرة أخرى أبدًا... وجد القارب بحاله جيدة ومهيأ للإبحار...وداخل جدران المنزل كانت تعد زوجته كل شيء للرحيل...لم تحرك"ديم" ساكنًا، فقط تابعت ما يحدث وفهمت ما هم مقبلين عليه دون أن يترك ذلك أثرًا في نفسها سلبًا أو إيجابًا...إن كانت لا تعنيها الحياة بأكملها فهل يشغلها إلى أين يذهبون!! أي مكان سوف تبقى فيه ستظل تتشبه بالحياة حتى تتركها عن طيب خاطر، وتغدو روحًا لا تتعذب بآلام قلبها في كل يوم ولحظة.

قطع الغرفة ذهابًا وإيابًا قرابة المائة مرة.... بِمَ كانت تفكر"أسيل"حين اقترحت تلك الفكرة... لا ينكر أنها أعطته مزيدًا من الوقت والحرية داخل أرض المملكة، ولكن من أين له أن يروى تلك الحكايات...نعم هو بالفعل هو بحار وسافر إلى بلدان كثيرة، ولكن ليس لديه موهبة الحكى والرواية...توقف عن التفكير حين استمع لصوت خطوات تشبه خطواتها...أصبح الآن يتبينها وينتظرها، وحين ظهرت ملامحها جلية أمام ناظريه باغتته نبضة قلب، لم يكن يعرف ترجمة لمعانيها، فهو لم يعشق من قبل ولم يسع لأن يكون من العاشقين...

أصاب"بتول"الملل بغياب أختها الذي طال هذه المرة...لم تزرها منذ عدة أيام... طمأنت نفسها بأنها ربما يكون لديها عمل كثير، وذلك الذي شغلها عنها ولم تكن تعرف"بتول" أي شيء عن الدخيل الذي تتحدث عنه المملكة كلها...ربما لأنها تحيا بين الكتب ولا تخرج من منزلها إلا للضرورة لا تخلطت بأحد فلم تعرف الأخبار الجديدة...قررت أن تذهب إلى"ديم" ولكن ليس الليلة فهى قد بدأت في قراءة كتاب جديد ترغب في إنهائه، ثم تذهب غدًا لزيارتها وتهديها إياه؛ لأنها تعرف أنها سوف تود قراءته..ليتها تدرك أنه ربما في الغد تكون"ديم" قد غادرت المملكة، ولن يكتب بينهم لقاء أخر.....

حال "نعمان" أثار في نفسها استغرابًا تُرجم ذلك الاستغراب في ابتسامة زينت قسمات وجهها، وهي تحاول أن تُهدئ من روع قائلة:

- لماذا كل ذلك القلق؟!!... مجرد حكايات ترويها للناس ويستمعون إليك في كل ليلة، وفي الصباح لك مطلق الحرية في التجول خارج غرفتك كما سمحت لك الملكة، وذلك يعطيك قدرًا من الحرية ومتسعًا من الوقت لتحقيق هدفك.

- نعم صدقتى القول والتفكير ولكنى لا أجيد الرواية...لم أفعل ذلك من قبل، وأيضًا لابد أن تكون حكاياتى ذات طابع شائق حتى تجذب الناس لمتابعتها، وإلا غيرت الملكة قرارها وانتهى كل شيء.....
- لا تقلق كان ذلك في حسبانى حين فكرت في تلك الفكرة...أختى "بتول" قارئة محترفة، ولديها مكتبة عامرة بالروايات والكتب والقصص، سوف أذهب إليها وأتيك ببعض مما تحتويه مكتبتها، وأنت ما عليك سوى القراءة وأن تحكى في الليلة التالية ماقرأت....

راقت الفكرة"لنعمان" كما راق له نبض قلبه الذي بات معلقًا بروح "أسيل"النقية، وتلك الروح التي أصبحت بالفعل معلقة بوجيب قلب "نعمان".... ها هى قصة عشق تلوح في أفق"نورسين" فهل يُقدر لها الكمال أم تُقتل في مهدها..... وإن قُدر لها الحياة فمن منهم سوف يجذب الآخر في طريقه... هل يأخذها"نعمان" خارج المملكة وخارج مخطط انتقامها من"كهرمان"أم تجذبه"أسيل"إلى حياتها ويشاركها مخططها.

استمعت"بتول" إلى صوت طرق باب المنزل؛ هبت مسرعة لتفتح الباب وقد علمت أنها لابد وأن تكون "أسيل"، وقد كانت محقة ...

- "أسيل" اشتقت إليكِ كثيرًا يا أختى... لماذا كل ذلك الغياب؟!!!
- دعينى ألتقط أنفاسى وأروى لكِ كل ما حدث.

كانت أمسية طويلة روت فيها كل شيء حدث لأختها"بتول"التي لم تكن تعرف بالفعل أي شيء عما جرى على أرض المملكة...التي اندهشت بدورها من كل

ما حدث، وليس لها به علم، كأنها لا تقطن تلك المملكة... كما راقت لها فكرة "أسيل" وراق لها ما يبدو على وجهها من تغيير فسألتها مشاكسة إياها:

- أرى شيئًا مختلفًا فيكِ يا"أسيل"... أهو قلبك الذي تغير أم ماذا يا أختاه؟!!!

- لا ليس بى شيء.

- بل هو قلبك... أُقسم على ذلك... تسلل العشق إلى نياطه؛ فباتت أختى من العاشقين.

ضحكت"أسيل" وقامت الأختان ينكزان بعضهما بعضًا كما كانتا تفعلان في طفولتهما حين تشاكس كل منهما الأخرى....

_ دعكِ من كل ذلك الآن دورك أيتها القارئة المحترفة لتعطينى كتبًا يقرأها"نعمان".

_ سوف أعطيكِ مجموعة صغيرة حتى لا تلفتى الانتباه أثناء عودتك إلى القصر حاملة كتبًا كثيرة.... وحين ينتهى من قراءتهم أعيديهم وخذى غيرهم..

_ نعم معكِ حق ..أصبتِ القول.

_ تفضلى ثلاث روايات، وكنت سأعطيكِ الرابعة لولا أنى أعرتها لصديقتى التي حكيت لكِ عنها سابقًا..."ديم" ولن تخمنى من تكون...

_ من ...أنت ذهبتى لزيارتهم بالفعل...ماذا عرفتى عنهم؟؟

- والد "ديم" اسمه"علام "ويعمل ببستان قصر الملكة"كهرمان"لابد وأنك تعرفينه.

حين سمعت"أسيل" ما أخبرتها إياه أختها؛ تذكرت واحدة من أهم علامات الاستفهام التي حان وقت وضع إجابة لها؛ فأسرعت تسأل "بتول":

- هل تعرفين العنوان جيدًا؟
- نعم أنا ذهبت إلى هناك مرتين، وكنت أنوى زيارتهم غدًا... هو منزل في أقصى أطراف المملكة.
- إذن هيا بنا...
- إلى أين؟؟؟
- لزيارتهم.
- لقد تأخر الوقت يا أختى فكيف نذهب لزيارة أحد في مثل ذلك الوقت المتأخر من الليل... علاوة على ذلك فإن المسافة بعيدة وحين نصل ربما يكون قد اقترب الفجر.
- لا يهم لابد أن نذهب إليهم الآن فلدى ما يجب أن أعرفه....

كانت أسرة"علام" بالفعل قد تجهزت، قد أعد هو القارب بالقرب من أحد أسوار المملكة، في مكان مهجور من الحراسة لعدم أهميته... لملمت "زمردة" الأشياء الهامة فقط، حتى لا تثقلهم الأحمال في رحلتهم المجهولة السبيل والقصد.... أما عن حال"ديم" فكان كما هو بلا زيادة أو نقصان....

رافقت"بتول"خطوات أختها رغم اندهاشها من إصرارها على الذهاب إلى منزل"ديم" الآن، ولم تكن تعلم أن المقصود بتلك الزيارة هو عم "علام" وليس صديقتها الجديدة...

توقف المشهد لبضع ثوان من الوقت، الجميع كانوا في حالة سكون؛ لتدارك الموقف فحين وصلت"أسيل" و"وبتول" إلى المنزل، كان كل أفراد الأسرة خارجةً حاملين بأيديهم حقائب تنذر بالرحيل، أو بمعن أدق الهروب....بعد تدارك الموقف دعاهم"علام" إلى الدخول، فدخل الجميع وأغلقوا باب المنزل؛ لينفتح باب أخر كان قد أُغلق على أسرار دفينة حان لها موعد الافصاح والمعرفة....

أخبرت"أسيل" "علام" بسؤالها عن ابنته وبكل شيء يساورها من شكوك تجاه غموضه، وكيف أنه ليس له أبناء و"ديم"ابنته....

- سوف أروى لكِ كل شيء من البداية... ربما حان الآن موعد كشف الأسرار...

جلس الجميع في سكون وترقب لما سوف يفصح عنه"علام" إلا زوجته فهى تعرف كل شيء، وقد شاركته إياه لحظة بلحظة...في حين رافقت "بتول" "ديم"إلى غرفتها ليجلسا سويًا وتنشغلان بقراءة أحد الكتب حتى لا تستمع "ديم" إلى الأحداث مرة أخرى، وربما ذلك يزيد حالتها سوءًا...لم يكن الفضول يغلب"بتول" كثيرًا؛ لأنها كانت تعرف أن "أسيل" سوف تروى لها كل شيء فيما بعد....

بدأ "علام" حديثه من الخيوط الأولى للرواية:

- كان لى أخ توفي منذ سنوات عديدة هو وزوجته، وتركا لى ابنهم أمانة في عنقى... ربيته واتخذته ابنًا لى، وكان الله قد قدر لى أنا وزوجتى ألا ننجب أبناءً فكان هو نعم الابن ومنبع سعادتنا ونبض الحياة، التي كانت خالية من معالم السعادة بحرماننا من الأبناء...

حين أشتد عوده علمته مهنتى ومهنة والده وجده... كنت آخذه معى كل يوم إلى بساتين القصر، يعمل معى ويتعلم كل يوم شيئًا جديدًا... حتى أصبح شابًا يسعد كل من يراه أن يتعامل معه ويصادقه من حسن خلقه وروحه النقية... كان اسمه "ريحان" وهو بالفعل يشبه الريحان في طيب أثره..... لم أكن أتخيل أن أحيا يومًا دونه، وكنت أنتظر اليوم الذي أراه فيه يؤسس حياةً مستقلةً، ويتزوج ويهبنى أحفادًا أسعد بقربهم في نهاية عمرى... وبالفعل يوم أن أخبرنى أنه يرغب في الزواج من فتاة تعلق بها فؤاده فرحت كثيرًا، وشعرت أن حلمى أوشك على التحقق والتجسد أمامى، كحقيقة لطالما تمنيتها... وحين علمت من تكون طاب لى الفرح أكثر فكانت تلك الفتاة هى"ديم" حيث كانت إحدى وصيفات"كهرمان" وكانت تشبه"ريحان" في كونها يتيمة الأب والأم، ولم يعد لها أحد يهتم بها ويرعاها ويمنحها ما فقدته من حب ودفء أسرى... فرحنا كثيرًا بارتباطهما وكنا نردد أنا " وزمردة" أن الريحان لا يرتوى إلا بالديم (المطر الهادئ الدائم في سكون)... كانت حقا فتاة مفعمة بالحياة والمرح، وكان كلاهما يعشق الآخر ولا يتمنى من الدنيا إلا إسعاده...ثم حانت الخطوة الصعبة وهى أن يذهب "ريحان" إلى القصر مثله مثل كل الشباب حين يرغبون في طلب الفتاة، وخاصة أنه يطلب عروس من داخل قصر"كهرمان" ...بالفعل تم الطلب و فُرضت عليه الرحلة القاسية التي تنص عليها قوانين المملكة المستبدة...لم يجزع أو يخش الموت بل أنه كان واثقًا من عودته سالمًا وإتمام الزواج... ودعناه وتمنينا له كل التوفيق، وانتظرنا وانتظرنا وانتظرنا العودة دون جدوى، حتى جاء ذلك اليوم المشؤوم الذي استدعتنى فيه كهرمان واستدعت "ديم" أيضًا؛ لتخبرنا أن مصادرها من الحرس مرافقى " ريحان" في رحلته، قد عادوا وأخبروها بوفاته... هنا لم نحتمل أنا و"ديم" الخبر، وانفجرنا كبركانين ثائرين في وجه "كهرمان"،

ونعتناها بالظالمة المستبدة، وأنها قاتلة؛ فأمرت "كهرمان"حراسها بقتل"ديم" جزاء تجاوزها، أما أنا فلم تقوى على أن تأمر بقتلى؛ لأن والدها الملك"تاج الدين"كان يولينى مكانةً خاصةً وأوصاها بى خيرًا، وربما ذلك هو الجزء الذي تبقى من إنسانيتها حين حفظت وصية والدها ولم تؤذينى، ولكنى خفت أن تنفذ قرارها وتقتل "ديم"فقلت لها:

"إن قررت قتلها فاقتلينى أنا أيضًا أو اصفحى عنها"

بالفعل تراجعت عن قرار قتلها بشرط أن آخذها وأذهب، ولا ترى وجهها مرة أخرى وإلا قتلتها وقررت أن يقتصر عملى بالبستان الخارجى للقصر ولا أتجاوز البوابة أبدًا... ومنذ ذلك الحين و"ديم" ترفض الكلام رغم أنها غير مصابة بعلة تمنعها من الحديث، ولكن مرض القلب والروح أشد علة تصيب الإنسان.... ومنذ تلك الأحداث ونحن نحيا أنا و"زمردة" و"ديم" في أطراف المملكة بعيدًا عن العيون؛ حتى لا يرى أحد" ديم"ويعلمون أن الملكة تراجعت في قرار قتل أحدهم، فهى أعلنت للمملكة أنها قتلتها جزاء تجاوزها أمام الملكة؛ حتى تبقى عبرة لأهل المملكة جميعهم...

كلمات"علام"زادت من رغبة"أسيل" في الانتقام من"كهرمان"ربما أيضًا كلما زادت ضحايا تلك الظالمة زاد الحق في القصاص منها، ولكن يبقى سؤال يفرض نفسه، هو بالفعل ما سألته "أسيل"لعلام:

- كيف تحولت تلك المرأة إلى ذلك الكيان المنعدم الرحمة والإنسانية؟؟
- يا ابنتي لا تستهينى بالقوة الكامنة خلف قلب المرأة الواهن بالعشق..

جملة علام الأخيرة طرحت علامة استفهام جديدة بنفس"أسيل"التي سألته فور النطق بها:

- ماذا تعنى كلماتك تلك يا عم "علام"؟!
- "كهرمان" كانت حالها مثل حال كل فتاة تسعى للسعادة والحب، وكانت بحق فتاة طيبة الصفات تحب الجميع ولا تحمل ضغائن لأحد... تنشر الفرح أينما ذهبت ولم يكن أحد يخشى أن تملك مقاليد الحكم بعد وفاة والدها الملك"تاج الدين"...كل ذلك التحول حدث لها بعد العشق... نعم "كهرمان" أحبت بكل ما أُوتيت من قلب وتبدل ذلك الحب بحب أقوى من رجل كان يليق بالفعل أن يبقى بجوارها مدى الحياة، وتبقى بقلبه طوال العمر...

كان بحارًا ولديه سفينته التي تبحر في كل صوب واتجاه، ثم تعود بقلبه إلى محبوبته بعد كل رحلة وفي إحدى المرات لم يعُد...طال انتظارها له ولكنه لم يعُد، وعلى قدر عشق المرأة للرجل تأتى غيرتها وجنون قلبها، إن شعرت أنه ذهب عنها لامرأة أخرى وما عاد يهواها، وذلك كان ظن"كهرمان"وإن كان غير مؤكد، ولكنها عاشت بذلك الألم بروحها حتى تملك منها فصارت على تلك الحال التي لم تكن حالها أبدًا...أبت الأقدار أن يتحقق الحلم...

فبعد أن علم كل أهل المملكة بتلك القصة الساحرة صاروا يتساءلون أين ذهب، ولماذا لم تتم زيجتهم التي كانت بالفعل تم الإعلان عنها وانتظارها لتعم السعادة على قصر الملكة؛ وينال العامة بعض من رحيقها...وإلى الآن لا أحد يعلم أين ذهب ذلك العاشق الذي لم يُتمم قصة عشقه.....

أنهى"علام"حديثه وظلت"أسيل" تفكر فيما قال وتتدارك مع مرور الوقت تلك الحقائق التي لم تكن تعرف عنها شيئًا، والتي بررت لها قطرات الدمع التي كانت تذرفها عين"كهرمان"وهى نائمة... ذلك دمع روح متألمة... وهى

بدورها روت له كل شيء عن خطتها وما حدث لوالدها وكل ما تعرفه عن"نعمان" فبات يعرف كل شيء وأفصحت له"أسيل" عن احتياجها له، فهو بمنزلة والدها، وطلبت منه ألا يذهب ويتركها فانصاع لما تمنت وقرروا جميعا البقاء، ومواجهة ما سوف تحمله لهم الأقدار.

بعد تلك الليلة سارت الأيام والليالى تمضى الواحدة بعد الأخرى....كل شيء يسير في نسقه و"نعمان" يبذل قصارى جهده في القراءة ويروى للناس في الليل الروايات والحكايات، وصار بينه وبين الناس موده وتواصل وحب يليق بطيب روحه، التي ذابت بها"أسيل"عشقًا وبادلها هو عشقًا أقوى منه، وأفصح كلاهما للآخر عن ذلك، واستطاع "نعمان" بالفعل أن يثنيها بعض الشيء عن فكرة الانتقام، أو حتى تأجيلها لحين انتهاء مهلته داخل"نورسين" وحتى تحل تلك المشاكل التي تحيط بهم من كل اتجاه...كان"نعمان"ينتظر الوقت المناسب من حين لآخر وبمساعدة "أسيل" ليخرج متسللًا من المملكة ويذهب إلى سفينته ليطمئن على حال أخيه وحال مساعده "رعد"، ويُطلعه على مستجدات الأحداث ويتابع سير علاج أخيه بعد أن استطاعت"أسيل" أن تقطف بعضًا من زهور "اليماس"بصعوبة شديدة دون أن تدري"كهرمان"ولكنها كانت واهمةً ف"كهرمان"كانت قد وضعت"أسيل""تحت مراقبة شديدة بعد أن أخبرتها "أيار"بأنه يبدو بالأفق قصة عشق تولد بين"أسيل" و"نعمان" فقررت أن تجعلهما بالفعل عبرة لكل من تسول له نفسه أن يخالف قوانينها وأوامرها، ولكنها تركت لهما متسعًا من الوقت حتى تراقبهما وتعرف كل شيء ثم تنزل بهم أشد العقاب.

- لا أدري لماذا إصرارك هذه المرة أن ترافقيني إلى السفينة...أنا بالفعل أخشى عليكِ أن يراكِ أحد معى وتنكشف أسرارنا.

قال"نعمان" ذلك هامسًا وهو يتحدث إلى"أسيل" خشية أن يسمعهم أحد.

- كل مرة تذهب دونى وهذه المرة لن أتركك تذهب لحالك..... كما أننى أرغب في رؤية أخيك، وأرغب أيضًا في تجربة الخروج خلف تلك الأسوار... رجاءً لا تحرمنى من مرافقتك.

لم يستطع أن يرفض رجاءها ولكنه أيضًا لم يستطع أن ينسى مخاوفه، ولكن لا يوجد خيار آخر فليحدث ما يحدث....لم يكن كلاهما يعرف أن خلفهما شخص يتبع خطواتهما وكلماتهما لحظة بلحظة، حتى بعد أن خرجا من المملكة ووصلا السفينة...ذلك الشخص كان "كهرمان" نفسها ....وصلت إلى السفينة دون أن يدري أحد منهما، وظلت تتجول بها بخفة حركة أثناء انشغال"نعمان"بالحديث إلى"رعد"؛ ليعرفه بأسيل ويطمئن منه على حال أخيه.

وصل بها تجوالها إلى غرفة مغلقة، شعرت بفضول لتعرف ما بداخلها فشرعت بفتح الباب رويدًا رويدًا، دون أن تصدر صوتًا يرشد من بالسفينة إليها وبالفعل نجحت في ذلك...ظهر لها بداخل الغرفة رجلًا نائمًا في سبات عميق لا يصدر أي حركة، رغم أنها بالفعل اتخذت خطواتها داخلها، ولكنه لم يستيقظ على إثر تلك الخطوات فقررت أن تقترب أكثر وأكثر؛ حتى اتضحت الملامح جليةً أمام ناظريها وروحها وقلبها وكل الحواس التي استيقظت بها دفعة واحدة دون سابق إنذار....

- "سلطان".

نطقت باسمه ثم سقطت دون حراك، وكأنها فارقت الحياة أو ربما ذهبت إلى حيث ينتمي هو.....

استطاعت بالكاد أن تفتح عينيها بعد الإغماءة التي أصابتها لبضع دقائق من الوقت، وحين استجمعت النظر رأت أمامها"نعمان" و"أسيل" اللذين ذهبا إلى حيث أرشدهم صوت سقوطها، ثم حاولت"أسيل" إفاقتها حتى نجحت في ذلك.....

- "سلطان".....

نطقت كهرمان فور استفاقتها نفس الاسم الذي قالته قبل السقوط، ولكن هذه المرة كررته أكثر وأكثر حتى أجابها "نعمان":

- نعم أنه أخى...."سلطان" وهو سبب قدومي إلى هنا..... اسمحى لى أن أفسر لجلالتك كل شيء....

أومأت كهرمان برأسها إيماءة تعنى له السماح بالحديث، وعيناها تحمل نظرات ممزوجة بمئات الأسئلة..... روى"نعمان"كل شيء وهى تستمع بانصات شديد ثم استطرد قائلًا:

- ولكن اسمحى لى يا مولاتى الملكة أن أسألك هل تعرفين أخى؟؟؟

هنا أنهمرت العبرات تتدفق من مقلتيها دون حواجز، فقط سقطت كل الأسوار والحصون العالية فور رؤية من أحبت.....

- أعرفه؟!!! أنا أحيا به.

إجابتها جعلت "نعمان" و"أسيل" ينظران إلى بعضهما مستنكرين أن تلك هى"كهرمان" بكل جبروتها وقسوتها تحولت في ثوانٍ معدودة إلى امرأة أخرى يبدو أنها أوشكت على الإفصاح عن أسرار قلبها.....رأت ما بالاثنين من حيرة؛ فأكملت حديثها لتفصح عن كل شيء:

- "سلطان" .... سلطان قلبى وعشق روحى الذي لم ولن يعقبه عشق..... الرجل الذي لم أسأم قط من انتظاره، والذي تبعثرت خطاي بغيابه، والآن حين كتبت لى الأقدار لقاءه كان هنا، وبذلك الشكل.....

كلماتها وحالها هذا جعل"أسيل" تتذكر ما رواه لها"علام" ولم يختلف في شيء عن ماتراه الآن ...إذن فهذا هو عشق"كهرمان" الذي حين غاب عنها غابت عنها الحياة..... أما "نعمان" فقد كان منصتًا لحديثها الذي بدوره جعله يتذكر أمرًا هامًا جدًا فتحدث قائلًا:

- نعم فقد أخبرنى أخى منذ سنوات عديدة عن أنه يومًا ما كان ينعم بقصة عشق ليس لها مثل، وأنه أحب فتاة ظلت تحيا بقلبه وروحه طوال العمر، وتغنيه عن عشق سواها من النساء، وحين كنت أسأله وماذا حل بقصة عشقكما هذه؛ كان يجيبنى بأنى سوف أعرف يومًا ما حدث وكان قد ترك معى أمانة أسلمها لتلك المرأة...
- أمانة؟؟؟ ماهى تلك الأمانة؟
- رسالة.... دقية واحدة أبحث عنها لأننى كنت احتفظ بها في مكان أمن خشية أن تضيع.....

بحث "نعمان" لدقائق معدودة داخل صناديق أمتعته، فوجد الرسالة في ذلك المكان الذي يحتفظ بها فيه.

- تفضلى ها هي.

فتحت"كهرمان" الرسالة وبدات تقرأها بصوت مسموع في حضور"نعمان" و"أسيل" فما عادت هناك أسرار...

"مليكة فؤادى ورزقى الطيب من النساء... إذا كنتِ تقرئين الآن رسالتي فهذا يعنى أننى وصلت أرض الخيزران...دعينى أخبرك كم اشتقت إلى تلك الأرض، التي نبض عليها قلبى بعشق عظيم فقط حين أحببتكِ، وعلمك أن تدركِ أنى ما زلت أملك ذلك القلب النابض بحبك، حتى وإن كنت في سبات عميق، أحيا ببرزخ مفقود بين الحياة والموت...في رحلتى الأخيرة قبل فراقنا ظهرت على بعض علامات المرض، وحين سألت الحكماء علمت أن مرضى هذا تظهر علاماته متتالية حتى ينتهى بالجسد في حالة السبات تلك، ولأنى اشفقت على حبيبة عمرى أن ترانى يتملكنى الوهن عامًا بعد عام؛ فيصيب قلبها حزن قررت أن افترق عنكِ حتى لا أُحملك عذاب مرضى، ولكنى قبل الرحيل أهديتك بذور الليماس لأنى أعلم أنك سوف تزرعينها، وتذكرك بما كان بيننا، تلك الزهور فيها دوائى كما أخبرنى الحكماء، وكما أدرك أيضًا أن أخى"نعمان" لن يدخر جهدًا حتى يحصل عليها ويطيب دائى؛ فأعود إليكِ ليكون دوائى من أرض الخيزران، وإن قُدر لى الموت؛ أموت كما تمنيت دومًا على أرض تطأها قدماكِ وتصعد روحى إلى بارئها بالقرب منكِ؛ فتكون نسائمك آخر ما يصافح جبينى...أما إن قدر الله لى الحياة فسوف نعود سويًا من حيث بدأ عشقنا، ليكن أقوى وأصدق وأعذب من ذى قبل"

انهت"كهرمان" قراءة الرسالة ودموعها تنهمر دون توقف، دموع ممزوجة بالفرح والأمل والشجن والحنين، وربما شوق يعادل ما بقلوب كل العاشقين، حتى"أسيل" اشفقت عليها وراحت تربت على كتفيها، وقد تساوت كل منهما في حقيقة أنهما امرأتان عاشقتان فلم يتبق بقلب "أسيل" كراهيةً ولا حقدًا ولا نية انتقام بعد أن غمر فؤادها حب"نعمان" ولم يترك به نقطة سوداء واحدة.....

مضت الأيام والياالى دون أن يعلم أحد داخل المملكة شيئًا مما تغير... "نعمان"يذهب كل ليلة للقائه بالعامة، ويروى الحكايات و"كهرمان" تتسلل إلى داخل السفينة وتتابع خطوات علاج "سلطان"....الجميع كان في حالة ترقب

ودعاء مستمر إلى الله حتى يمن على"سلطان"بالشفاء التام....ومع اقتراب نهاية الثلاثين ليلة، و اقتراب موعد حفل المملكة السنوى استجاب الله لدعواتهم جميعًا النابعة من القلوب الصادقة واستفاق"سلطان"وبدأ في استرداد عافيته مع الوقت حتى أصبح في حال جيدة....

حان الآن موعد طلب الصفح من أهل المملكة...فكرت "كهرمان" مع "أسيل"و"نعمان" و"سلطان" في أن أنسب وقت لذلك هو يوم الحفل حيث يجتمع الناس جميعًا في ساحة الاحتفال ويبدو ذلك مناسبًا لما تنوى "كهرمان"مصارحتهم به.....

أُتراهم يصفحون عما فعلته بهم من ظلم طيلة سنوات، أم أن القدر يخبئ لكهرمان المزيد من المفاجأت.

لا يضير العشق الصادق بضع سنوات من الفراق، فقط إن ظلت القلوب على عهدها الذي قطعته في لحظة عامرة بعشق حقيقى ومشاعر يكاد نورها يُذهب ظلام الليل مهما طال، وهذا ما كان بينهما، قصة عشق "سلطان" و"كهرمان"على قدر ما كانت قوية في بدايتها على قدر ما استطاعت أن تتجدد أكثر قوة حين جمعهما اللقاء.

جلست"كهرمان" تُعد نفسها لما سوف تقوله لأهل المملكة، والذين أصبحوا في حالة ترقب لما سوف تخبرهم به يوم حفل المملكة، وقد حان ذلك اليوم وبات يفصلها عن تلك اللحظة الحاسمة ساعات معدودة، حتى يحل الليل وتبدأ مراسم الاحتفال، حين رآها"سلطان" تشرد بكل تلك الهموم التي لا تستطيع أن تخفيها نظرات عينيها، اقترب منها يربت على كتفيها ويذكرها أنها لم تعد وحيدة بعد الآن:

- لا تقلقى أنا بجوارك....
- ليتك بقيت بجوارى... ليتك ما تركتني لظنونى تقتلنى يومًا بعد يوم وتحُول قلبى إلى ظلام طال قلوب كل من حولى؛ وجعلنى امرأة قاسية ترغب في قتل الحب ونزعه من قلوب البشر أجمعين.
- ظننت أنه القرار الصحيح وما كان قد كان، واليوم علينا مواجهة أقدارنا.

كان دومًا سندًا لها وصوت عقل ونبض قلب لا ينقطع، يمنحها القوة في أشد لحظات ضعفها، ابتسمت في تفاؤل وأمل، ربمًا عليها الآن أن تتمسك بهم مهما حدث.

انقضى الصباح وبدأ الليل ينشر سكونه وسحره في أرجاء المملكة كلها، التي تجمع أهلها من كل حدب وصوب للاشتراك في الحفل، ظهرت "كهرمان" لتتحدث للعامة، ولكن ليس من فوق منصتها العالية كما كانت تفعل بل نزلت إلى ساحة القصر، ووقفت وسط الجميع وروت كل شيء بالتفاصيل وطلبت منهم العفو والصفح عما أصابهم من أذى بسببها.....

كان يقف في الساحة كل أهل المملكة حتى "علام" وزوجته و"ديم" حضروا بعد أن أصرت "أسيل" على حضورهم؛ لأنها أصبحت تعلم أن "كهرمان"التي بينهم الآن امرأة أخرى غير تلك التي يعرفونها.... مضت بضع دقائق من الوقت بدت لكهرمان أشبه بعقود من الزمان، حتى صاح أغلب المجتمعين بالهتاف باسم الملك"تاج الدين"و "كهرمان" وذلك يعنى أنهم بالفعل صفحوا عنها على أن تبدأ عهدًا جديدًا خاليًا من أي ظلم.....

في غمرة السعادة والبهجة التي صبغت الاحتفال بألوان الحياة التي كانوا يفتقدوها، فجأه ظهر"رعد" خلف "كهرمان"وفي حركة سريعة وضع خنجرًا

صغيرًا على عنقها وسط ذهول الجميع وخاصة "سلطان" الذي هم بالاقتراب منها لتخليصها من يد"رعد" إلا أنه تراجع بعد أن سمع كلمات الأخير:

- تراجع ياسيدى فلا أحد يستطيع أن يخلصها منى اليوم.

أسرع "نعمان" يُحدثه:

- لماذا يا "رعد" لماذا؟؟
- إن سامحها كل البشر لن أسامحها أنا، ترغبون جميعًا في معرفت ما أصابنى بسببها، تلك المرأة قتلتنى ولكن الله قدر لى الحياة.....

التفتت عين كهرمان بصعوبة لتراه فقد أخافتها كلماته، رغبت في أن تعرف من هو فملامحه ليست قريبة لتراه وتتحقق منه...

- لا تتعبى حالك في معرفتى فقد عرفتك أنا منذ أن رأيتك على السفينة أول مرة، ورؤيتك تلك أعادت لى ذاكرتى المفقودة، ياسادة هذه المرأة أمرت بقتلى حين عُدت من الرحلة التي تفرضها على كل شاب راغب في الزواج من فتاة يحبها، اجتزت الاختبار وعُدت وحين وصلت إلى المملكة أمرت حراسها أن يقتلونى ويلقوننى في البحر، وبالفعل فوجئت بواحد منهم يضربنى على رأسى بقوة، لم أشعر بعدها بشيء إلا حين استيقظت بسفينة سيدى"نعمان" الذي أكرم ضيافتى وطيب جراحى، ولم يتركنى قط، وحين تذكرت كل ذلك تسلل في ليلة إلى داخل المملكة أسال عن حال من أحببت، فعلمت أنها قتلتها لمجرد أنها أساءت الحديث معها، ربما سامحت في حقى أما حق حبيبتى ومن كانت ستقاسمنى ما تبقى من عمرى فلم ولن أسامح أبدًا فيه أبدًا، سوف أقتص منها أمامكم جميعًا حتى تستريح روح رفيقة قلبى وأثأر لها.

عند تلك اللحظة شق سكون المشهد صوت كان قد غاب كثيرًا عن "نورسين":

- "ريحان" لا تفعل....

حين استمع إلى صوتها أدرك أنها هي.... حبيبته ولكن كيف ذلك أتراه يتخيل؟!!

- "ريحان" أنا هنا....

ثم شقت صفوف البشر أجمعين؛ لتصل إلى عينيه ويتأكد أنها هي... كانت"ديم"التي نطقت فقط حين رأت حبيبها، فعادت لها الكلمات والحياة

- "رعد" هو "ريحان".....

نطق"نعمان" بتلك الكلمات وسط دهشة وفرح، حاله كحال كل الحاضرين.... اجتمعت القلوب في النهاية على السعادة والحب، وتم نزع الحقد والكراهية منها، وأصبح الجميع ينعم بحياة حقيقية كلها أمل يتجدد كل صباح...وفرح يشرق عليه القمر كل ليل... وقدر الله لنورسين أن تعود إلى سابق عهدها وتم فتح أبوابها العشرة، ولن يغلق أي منها مرة أخرى أبدًا....

الآن أنت قرأت عن قلوب عاشت على تلك الأرض؛ وتألمت من معانى العشق وتبعاته، ولكن في النهاية استطاع الحب بقوته الساحرة أن يضئ الدروب المُعتمة.... بالطبع ما زلت تسأل من أنا الذي كتب قصة هؤلاء ليقرأها كثيرون، وربما تفيد قلوبهم بشيء، أنا رفيق الورود"علام" البستانى البسيط الفقير، الذي قدر الله لى أن أحكى عن هؤلاء الذين غمرت قلوبهم مشاعر متباينة ومتصارعة انهزمت جميعها أمام العشق الصادق.

لك أن تعلم أن لا شيء يوقف قطار الانتقام بقدر توقفه في محطة عشق صادق، ينزع ما بالقلوب من حقد وكره فلا يتبقى للقلب سوى نبض حياة..

رجاء حين تنهى قراءة الكتاب عليك أن تعيده إلى ذلك المكان الذي وجدته فيه حتى تبعث الأقدار من يقرأه بعدك))).

أنهى"هو" قراءة تلك الحكاية التي تحمل في طياتها معانٍ كثيرة، يبدو أن القدر قد أرسلهما هو وهى إلى تلك البقعة البعيدة خصيصًا ليعرفانها ويتبينا أن العشق الذي بقلبيهما أحق بأن يحافظا عليه، مهما تطلب ذلك الأمر من جهد.

أنهى القراءة فنظر إليها فإذا بها متكأة على ذراعيه كما كانت تفعل في سابق العهد، ويبدو أن أسوار العناد قد تهدمت كما تهدمت أسوار نورسين منذ أمد بعيد.

هى علمت أن الذي بقلبها أقوى من أي عناد، وهو علم أنه الآن عثر بالفعل على أغلى الكنوز التي ما كان يحلم أن يعثر عليها أبدًا....

(جميعنا نملك بالفعل ذلك الكنز العظيم، ولكن قليل منا من يستطيع أن يزيح عنه الستار ويحظى بثرواته)

obeikan.com

أشرقت شمس الحياة بخيوط أنوارها الطيبة وغمرت شرفتى بنورها البهيج واستيقظ قلبى على إثر ذلك النور، يبدو أنى قد غفوت وأنا أستمع إلى حكايات البدر وأبادله الحديث..... ماذا قلت أنا لتوى؟؟؟ هل حدثنى صديقى حقًا أم أنى عدت إلى هذيانى المعهود بعشقه,,,وإن كان لم يحدثنى فكيف علمت بحكايات هؤلاء، التي بقيت تفاصيلها بوجدانى حتى تلك اللحظة، التي استيقظت فيها مع نور الصباح، أدركنى اليوم الجديد وأنا ما زلت عالقة في ليلتى السابقة، التي رافقنى فيها البدر وإن كان حدثنى حقًا فهل يحدث ذات ليلة ويمنحنى حكايات جديدة ؟؟

سواء كان صديقى روى لي ذلك بالفعل، أو أننى من فرط تعلقى به قد توهمت ذلك، ففي كلا الحالتين الآن بت أعلم يقينًا أن القلب يستحق منا الكثير، والعشق يليق به أن نحافظ عليه فلسنا جميعًا على ذلك الحظ العظيم الذي يجعلنا نحظى بذلك الفرح المُبين، فإن قُدر للقلب وكان عاشق فعليه أن يعلم أي نعمة هو ملاقيها.....

تمت بالحمد الله